

كتاب
التعاقب

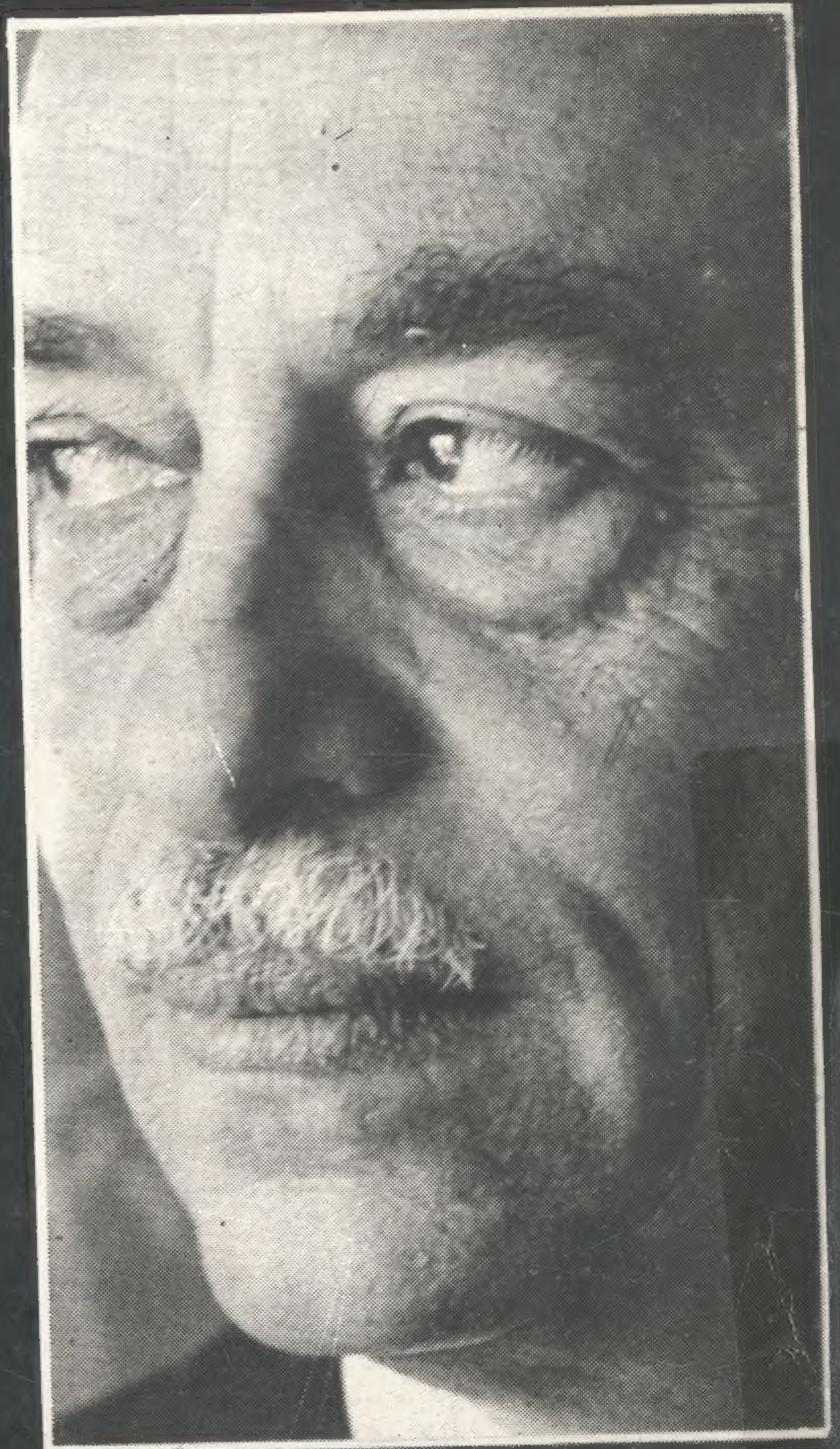
العائلة والسلطة والسياسة في مصر

سيد مرعي

العشيرة.

الامتداد.

الأعوان.



تأليف:

روبرت سبرنج بورج

ترجمة:

محمد سامي

العائلة والسلطة والسياسة

في مصر

سيد مرعسى

العشيرة .. الأتباع .. الأعوان

تأليف

روبرت سبرنج بورج

ترجمة

محمد سامى

الغلاف

الفنان : جميل شفيق



سكرتير التحرير التنفيذي :

نزيه عبد الغنى



مؤسسة دار التعاون
للطباعة والنشر

كتاب
التعاون

رئيس مجلس الإدارة:
محمد رشاد
رئيس التحرير:
سعيد نور الدين

٦ شارع عبد القادر حمزة - جاردن سيتي - القاهرة - تليفون ٣٥٤٣٣١٣

المهندس سيد مرعى

صفحات مضيئة فى

تاريخ العمل الوطنى

يسعد مؤسسة دار التعاون ويشرفها أن تقدم كتاب سيد مرعى ..
العائلة .. والسلطة .. والسياسة فى مصر .. من تأليف الصحفى الأمريكى ..
روبرت سبرنج بورج ..

والكتاب يتضمن كثيرا من الحقائق المضيئة عن المهندس سيد مرعى
وكثيرا من المغالطات والمعلومات الخاطئة لطبيعة جمع المؤلف لبيانات الكتاب
من مصادر عديدة بعضها مغرض ولم يلتزم بالحقيقة ووجدها فرصة للإساءة
للمهندس سيد مرعى .

فى البداية .. فان اسرة دار التعاون تسجل بكل حقائق التاريخ ان مولد
هذه الدار وانتشارها ودعمها تم بمساندة قوية وايمان لاحدود له من المهندس
سيد مرعى .. ولأستاذنا الجليل الراحل محمد صبيح مؤسس دار التعاون
وصاحب فكرة تأسيس دار متخصصة فى الصحافة الزراعيه والتعاونية ..
ولتكون المنار الهادى فى بلد زراعى تعاونى .. ونموذجا يحتذى به العالم
العربى والدول الافريقية .

ومجلدات وصحف مؤسسة دار التعاون على امتداد ٣٤ عاما سجل
ناصح للتاريخ الوطنى .. والدور الرائد الذى لعبه المهندس سيد مرعى فى
تطبيق الاصلاح الزراعى حتى أصبح نموذجا رائدا لكل دول العالم .. وفى
النهوض بالزراعة المصرية .. وفى دوره السياسى المضىء عندما تولى منصب
الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى فترة من اصعب
فترات العمل الوطنى فى مصر .. وفى نجاحه الكبير بشهادة المعارضة عندما
تولى رئاسة مجلس الشعب ومنصب مساعد رئيس الجمهورية .

المهندس سيد مرعى شخصية عامة .. ومن ابرز الشخصيات الوطنية
التي لعبت ادوارا بارزة فى مجال الزراعة والسياسة المصرية .. والشخصيات
العامة والمفكرون والفلاسفة على امتداد تاريخ البشرية يتعرضون دائما للنقد

والافتراءات والشائعات والمعلومات والبيانات المفترضة .. وهذا قدر كل من يتصدى للعمل العام .

لقد سجل لنا الله عز وجل في كتابه العزيز (القرآن الكريم) كيف تعرض الانبياء حتى خاتم النبيين سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام وهم يدعون الى رسالات السماء للايذاء والافتراءات وواصلوا رسالاتهم انطلاقا من الايمان الكامل باهدافها السامية .

ان قيام « دار التعاون » بترجمة ونشر الكتاب .. ليس بهدف التشهير بالمهندس سيد مرعى بل بهدف عرضه وتقنيده بعد ذلك ونشر كافة الحقائق بعد انتهاء النشر في لقاء شامل معه .. بعد ان انتشرت اول الكتاب في مصر .. واتسعت دائرة الشائعات عما احتواه من بيانات وحقائق .

ولولا ان المهندس سيد مرعى من ابرز الشخصيات الوطنية المصرية .. ما كان هذا الكتاب والصحافة العالمية تنشر يوميا عشرات الكتب عن الرؤساء والملوك والشخصيات العامة وتتضمن كثيرا من الحقائق وكثيرا من الافتراءات .

لقد عشت بالقرب من وزراء الزراعة والإصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى في مصر على امتداد ٣٤ عاما ابتداء من المهندس سيد مرعى إلى كل من الدكتور والاساتذة محمد نجيب حشاد وعبد المحسن أبو النور ومحب زكى وعثمان بدران ومحمود عبد الآخر ومحمد بكر أحمد ومصطفى الجبلى ومحمود داود وعبد العظيم أبو العطا حتى الاستاذ الجليل الدكتور يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الاراضى الذى تفوق على الجميع في دعمه ورعايته وربطتني بهم كل علاقات التقدير والاحترام والمحبة ووجدت جريدة التعاون منهم جميعا كل الدعم والمساندة والايمان بلا حدود بدور الصحافة التعاونية الزراعية المتخصصة وتحفظ لكل منهم كريم رعايتهم وتعاونهم الصادق مع أسرتنا للصحفية .

إن المهندس سيد مرعى جزء غالى من تاريخ العمل الوطنى في مصر وسطر بأعماله المجيدة في شتى المجالات صفحات مضيئة ستظل وساما على صدره وموضع فخر لكل مصرى .

إن المهندس سيد مرعى له مكانته الخاصة في قلوب الاسرة الزراعية والفلاحية لأنه شخصية متميزة .. يتمتع بقدرات وجاذبية خاصة .. وكانت له قدرة عجيبة على اكتساب محبة الفلاحين والزراعيين .

المهندس سيد مرعى صاحب مدرسة في الزراعة والسياسة وترك بصمات عميقة في كل المجالات التي شرفت بقيادته الحكيمة والأمانة .

المهندس سيد مرعى .. ليس شخصية محلية .. بل شخصية مرموقة على المستوى العربى .. وعلى المستوى الدولى حيث اختير بالاجماع رئيسا لمجلس الغذاء العالمى الذى تولى رئاسته بعد ذلك الدكتور يوسف الى . المهندس سيد مرعى سجل فكره الزراعى فى العديد من المؤلفات العلمية التى تعتبر مراجع اساسية للباحثين فى مجال الزراعة والاصلاح الزراعى واستصلاح الارضى .

وهو اول من دق ناقوس الخطر عام ١٩٧٤ فى كتابه الهام الذى ألفه بالاشتراك مع المهندس سعد هجرس بعنوان « اذا اراد العرب ، لازمة الغذاء فى العالم العربى وقدم استراتيجيات متكاملة للخروج من هذه الازمة .

لقد اختار الزعيم جمال عبد الناصر المهندس سيد مرعى وزيرا للزراعة والاصلاح الزراعى بعد عدوان ٥ يونية ١٩٦٧ واستطاع بخبراته المتميزة ان يحقق معدلات قياسية فى انتاج جميع المحاصيل وقدم تيسيرات للفلاحين وبذل جهدا كبيرا لحل مشاكلهم .

لقد احدث تغييرا جوهريا على اجهزة وزارة الزراعة والتعاونيات ونظام التسويق التعاونى وعلاقة بنك التسليف بالفلاحين وعمل على توضيح معالم الصلة بين كافة اجهزة الفلاحين وانها وجدت لمصلحتهم ولهم حتى انصرف الجميع لزيادة الانتاج الذى حقق مافاق كل التوقعات طوال فترة ما بعد العدوان .

وفى عهده تمت اول تجارب تهجير الفلاحين من الدلتا .. والمنوفية بالذات الى الاراضى المستصلحة الجديدة .. فى ابيس وغيرها واثبت عدم صحة مقولة ان الفلاح ينفر من الهجرة ومغادرة مسقط راسه ..

وقد عشت التجربة فى القطار الذى نقل ٥٠٠ اسرة من ٥ قرى بالمنوفية الى منطقة ابيس مع الحاج رشاد عمران القيادة التعاونية اللامعة الآن .. ومع استاذ محمد صبيح والدكتورة هيفاء الشنوانى والمرحومين المهندس حلمى عبد البر والمهندس سيد مرعى محمود فوزى وغيرهم من القيادات الزراعية .

والمهندس سيد مرعى صاحب تجربة نواج لتنظيم الملكيات الزراعية .. وعشت جلسات حوار ممتعة بينه وبين الشيخ برج رئيس الجمعية بالقرية .. وكان وراء تنفيذ افكار الدورة الزراعية والتجميع الزراعى والتصنيع الريفى

وتحسين الاراضى .. وتأسيس صندوق موازنة اسعار الاسمدة ورعاية العمال الزراعيين واسلوب تأجير الاراضى .

وكان يؤمن بدور النظام التعاونى فى النهوض بالزراعة والريف وانه سلاح صغار الفلاحين ذوى الامكانيات الاقتصادية الضعيفة .

ويرى ان عصر الطعام الرخيص انتهى .. وسيتحول فى الغد القريب الى انتهاء الطعام اصلا من العالم .. اذا لم يتم تدارك الامر بسرعة ومواجهة قضية الامن الغذائى بالحسم الكامل .. وفى تصوره ان التنمية الشاملة فى مجال الزراعة لابد ان تكون تنمية عربية فى تمويلها وعالمية فى اساسها وترتبط بالمتغيرات العالمية .

ويشيد المهندس سيد مرعى بسياسة الاصلاح الاقتصادى التى يقودها بنجاح .

الرئيس مبارك والخطوة الطموحة للتنمية الزراعية والانجازات الزراعية الكبرى التى تمت طوال السنوات العشر الأخيرة .

وكان يؤمن أن الظروف اختلفت منذ إصدار قانون الاصلاح الزراعى وحتى اليوم ولا بد من تحقيق العدالة الاجتماعية والتوازن بين المالك والمستأجر .

تحية وتقديرا من أسرة التعاون للمهندس سيد مرعى القيادة الوطنية النظيفة ذات التاريخ المضى والتى تعزز بها مصر كلها .

وقد بدأ مركز الدراسات التعاونية والزراعية بدار التعاون فى اعداد سلسلة عن قيادات العمل الزراعى والتعاونى فى مصر وستبدأ السلسلة بكتاب عن كل من المهندس سيد مرعى والدكتور يوسف والى فكلاهما تولى قيادة القطاع الزراعى لسنوات طويلة فالأول تولى منصب الامين الاول للاتحاد الاشتراكى والثانى تولى ومازال يجمع بين قيادة القطاع الزراعى ومنصب الأمين العام للحزب الوطنى الديمقراطى .

ونأمل أن يكون هذا الايضاح ردا مبدئيا على عتاب كثير من القراء .. ونحن على ثقة من تفهم المهندس سيد مرعى لدوافع النشر .. وانه شخصية كانت ومازالت موضع التقدير والاحترام كواحد من الرواد الذين يعتز بهم العمل الوطنى فى مصر .

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو حصيلة اهتمامى بمجتمع الصفوة السياسية فى مصر وهم الرجال المحيطون بالرئيس والمقربون منه والذين يساهمون بشكل أو بآخر فى صناعة القرار السياسى .

ولا شك أن ثقافة مجتمع الصفوة السياسية من الثقافات الجديرة بالاهتمام والبحث .. وقد بدأت البحث والتنقيب فى هذا المجتمع منذ بداية السبعينات حيث كان من حسن حظى اختيار موضوع هذا الكتاب اثناء قيامى باجراء ابحاثى لنيل الدكتوراه فى هذا الموضوع .

وقام مركز الأبحاث الدولى التابع لجامعة ستانفورد الأمريكية بتقديم الدعم المالى اللازم لى لقضاء عامى ١٩٧١ - ١٩٧٢ فى القاهرة .

وقدمت جامعة مكارى بسيدنى باستراليا منحة اخرى لى لاستكمال ابحاثى فى القاهرة فى عام ١٩٧٧ .. وعلى مدى الزيارتين والفترة الطويلة التى قضيتها فى القاهرة قام مركز الأبحاث الأمريكى فى القاهرة بتقديم كافة التسهيلات اللازمة لاقامتى .

وقد ساعدتنى منحة جامعة مكارى الاسترالية فى قضاء عدة أسابيع فى لندن عام ١٩٧٨ لاستكمال هذا العمل بمكتب المعلومات القومى البريطانى .

وكان لجامعة بنسلفانيا الفضل ايضا فى اخراج هذا العمل للنور حيث أتاحت لى زيارة القاهرة فى صيف عام ١٩٨٠ كما كان لمعهد هوفر دور كبير ايضا فى ذلك .

واود هنا أن أوجه شكرى وامتنانى لأفراد عائلة مرعى وخاصة سيد مرعى وأسرته الصغيرة الذين التقيت بهم كثيراً واستمر كل لقاء على مدى ساعات امدونى خلالها بالكثير من المعلومات دون أن يعرفوا الهدف من هذا الكتاب .

وأتمنى أن تقبل عائلة مرعى أسفى على المضايقات التى قد يتعرضون لها نتيجة نشر هذا الكتاب والذى ساعدنى فى إخراجه للنور كثير من المصريين .

وقد أمدتني جامعتا بنسلفانيا للصحافة وسيراكوس للصحافة أيضا بالكثير من المعلومات في هذا الكتاب وأعفيهم من مسئولية أي أخطاء قد ترد فيه حيث أتحمل مسئوليتها وحدي .

وأوجه شكرى وامتنانى للسيد جوف ويتلام رئيس وزراء استراليا السابق لحرصه على كتابة مقدمة هذا الكتاب .

روبرت سبرنج بورج

مقدمة المترجم

المؤكد أن المهندس سيد مرعى شخصية سياسية جدية بالاعتبار .. وعلى الرغم من اختلاف النقاد حول سياساته إلا أن ذلك لا ينفي أنه سياسى بارع محنك إستطاع اختراق الصفوف الأمامية في عصرين متنافرين وربما يرجع ذلك لأنه اقتحم عصر الثورة ومعه رصيد سياسى من العصر الملكى بالإضافة لعوامل شخصية أخرى كثيرة .

ولا ينكر أحد أن مكانة العائلة الاجتماعية أحد عوامل صناعة السياسة في عدد كبير من المجتمعات ولكنها وحدها لا تكفى لضمان نجاح مشوار حياته السياسية مما يعنى أن هناك ظروفًا وملابسات تؤثر على مشوار الحياة وكما يحلو للبعض أن يقول إن تركيبة الشخصية « تصنع قدر الإنسان .. بينما يقول البعض الآخر إن الذكاء يساعد كثيراً الشخص المحظوظ .

وهناك حقائق لا يمكن تجاهلها ومنها أن « الطموح » ليس عيباً في « السياسى » إنما العكس هو الصحيح .

وأن تحالف السياسيين أمر لا بد منه وأنه عصب الحياة السياسية سواء في مصر أو دول أوروبا أو الولايات المتحدة وأن هذه التحالفات السياسية ستظل باقية بقاء الإنسان على كوكب الأرض .

ومما لا شك فيه أن سيد مرعى قد نجح في استغلال مبدأ عبد الناصر الخاص « بتوازن القوى على المسرح السياسى » أقصى استغلال ممكن لفرض نفوذه وفلسفته على غرفة صناعة القرار أو « المطبخ » باللغة الدارجة لرجال السياسة .

وقد تلقى سيد مرعى في بداية مشوار حياته السياسية بعد يولييه عام ١٩٥٢ دعماً كبيراً من الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل أحد أقطاب مجتمع الصفوة السياسية في العصر الناصرى .

وربما يضع البعض سيد مرعى في إطار وقالب معين .. لكن خبراء السياسة يؤكدون أنه لا يمكن الحكم على أى سياسى قبل مرور عشرات السنين لأن التقييم العادل يتطلب أحداثاً جديدة في ظروف أخرى للمقارنة والوصول لتقييم أفضل في النهاية .

والمؤكد أن « السياسى » يجلس هنا ولا يعرف أن هناك مؤرخين ونقاداً يرصدونه وإذا عرف ذلك فإنه يكون قادراً على الحركة .

وعلى أى حال فقد انتهى دور سيد مرعى مع « اغتيال » السادات مما يعنى أن القدر يرسم خطوطاً فاصلة لا يمكن تعديها بالرغم من أن سيد مرعى سياسى داهية .

وكل كلمات الشكر والامتنان لا تكفى أستاذنا الأستاذ عز الدين كامل الصحفى
ومستشار تحرير جريدة التعاون الذى أمدنى بخبرة السنوات الطويلة فى مجال كتابة
الأعمال السياسية .

وأوجه شكرى أيضاً للأستاذ محمد صيفى الصحفى ومستشار مؤسسة دار
التعاون الذى صحح الكثير من معلومات هذا الكتاب خاصة أنه عاصر تلك الفترة .. وأقدم
شكرى أيضاً للأستاذ أحمد مصيلحى مدير عام تحرير جريدة التعاون الذى بذل الكثير من
الجهد حتى يرى هذا العمل النور .

وأقدم شكراً خاصاً للأستاذ محمد إدريس سكرتير عام الاتحاد التعاونى الزراعى
المركزى ورئيس اتحاد الفلاحين الأفارقة - وصاحب الثقافة والاطلاع الواسع - باعتباره
صاحب فكرة هذا الكتاب .

ولا يسعنى إلا أن أهدى هذا العمل إلى أرض مصر الطيبة وشعبها الطيب وخاصة
فلاحها العظيم .

محمد سامى

مقدمة الكتاب

ليس هناك شك أن سيد مرعى أحد السياسيين المصريين القلائل الذين يستحقون الكتابة عنهم لكونه أحد أعضاء مجتمع الصفوة السياسية البارزين في مصر وأحد رموز نظامى عبد الناصر والسادات .

ويمكن القول إن مجتمع الأعيان أو ملاك الأراضى قد أمد مجتمع الصفوة السياسية بكثير من أعضائه على مدى هذا القرن .. ولكن كانت ثورة يوليو هى الخط الفاصل أو الأسوار العالية أمام مجتمع الأعيان للوصول لمجتمع الصفوة السياسية .

ولكن سجلت الأحداث عودة أصحاب الجذور العائلية العريقة ليمارسوا دورهم السياسى فى أعقاب تولى السادات السلطة .

وبالنسبة لسيد مرعى فقد اقتحم عالم السياسة فى العصر البائد كأحد أبناء الأعيان .. وتمكن من مواصلة هذا المشوار كخبير زراعى فى عصر عبد الناصر وخبير سياسى فى عصر السادات .

ومن العدل أن نقول إن سيد مرعى وعائلته لا يمثلون كل الأشكال والطبقات الاجتماعية الأعضاء فى مجتمع الصفوة السياسية ولكن كان لهم دور بارز فى هذا المجتمع .

جوف ويتلام

رئيس وزراء استراليا الأسبق

السبب الأول

معاذ بن عبد

ويسجل التاريخ أن القبائل العربية البدوية كانت حريصة على أن تهرب من مناطق الجفاف والقحط إلى مناطق أخرى يتوفر فيها أهم عناصر الحياة وهي المياه .. وتعد محافظة الشرقية - وهي الجزء الشرقي من الدلتا المصرية - مدخل أو معبر القبائل البدوية التي تفد إلى مصر من الجزيرة العربية .

وترجع أصول عائلة مرعى إلى نصر إبراهيم نصر شيخ قبيلة نصر والذي قرر أن يرحل مع قبيلته من منطقة نجد بالجزيرة العربية إلى منطقة منيا القمح التي تقع في المنطقة الغربية لمحافظة الشرقية وذلك - بالضبط - في بداية القرن الثامن عشر .

ويعد مرعى إبراهيم نصر من أجداد سيد مرعى . وقد ولد هذا الجد في نفس وقت غزونا بليون لمصر عام ١٧٩٨ وكان من الأثرياء حيث كان يعمل في تجارة الأخشاب ثم قرر أن يستثمر أمواله في شراء الأراضي الزراعية في منطقة العزيزية - وهي إحدى قرى منيا القمح .. وقد توفي مرعى إبراهيم نصر في فترة تمرد أحمد عرابي ١٨٨١ - ١٨٨٢ وكان يمتلك ٢٥٠ فدانا من أجود الأراضي الزراعية مما جعله أكبر مالك للأراضي الزراعية بالعزيزية .

وقد عرفت هذه العائلات أن الوصول لقمة النظام السياسى في مصر يبدأ من القرية بشراء أكبر قدر ممكن من الأراضي الزراعية والعمل بقدر الإمكان على شغل منصب العمودية .. وأصبح مرعى إبراهيم نصر عمدة للعزيزية خلفا لشقيقه الأكبر .

والجدير بالذكر أن مرعى إبراهيم نصر قد بدأ يتردد على سوق روض الفرج بالقاهرة كتاجر أخشاب جملة وتجزئة وكدارس أيضاً في جامعة الأزهر لبعض الوقت . وكان متأثراً بالشيخ محمد عبده كأحد دعاة الإصلاح .

وقد حرص مرعى إبراهيم نصر على أن يعلم ابنه الأكبر حسنين القراءة والكتابة بالمنزل والا يحصل على قسط وافر من التعليم حتى لا ينسلخ عن الحياة الريفية .. وكان حريصاً أيضاً على أن يلقيه دروساً في السياسة حتى يصبح ممثلاً للعائلة بالعزيزية .

وأرسل مرعى إبراهيم ابنه الأصغر من زوجته الأولى ويدعى حسين إلى باريس للدراسة تمهيداً للالتحاق بكلية الهندسة لكنه لم يكمل دراسته وعاد للقرية .

وأنجب مرعى من زوجته الثانية ابنه فوزى والذي درس الحقوق في باريس ولكنه توفي في سن الخامسة والثلاثين .

وولد أحمد مرعى الابن الأصغر لمرعى إبراهيم نصر قبل وفاة والده بعشر سنوات ولم يجد حتى من يشجعه على الالتحاق بالدراسة الثانوية فبدأ يعلم نفسه بنفسه الانجليزية والفرنسية وفنون الزراعة وتربية الحيوان . وبدأ يستغل أرباحه من الزراعة في التوسع في شراء الأراضي الزراعية .

وقد حرص أحمد مرعى على نقل أسرته للقاهرة والاستقرار بمنطقة العباسية عام ١٩١٩ لتيسير سبل التعليم للأبناء .. وظل يتوسع في شراء الأراضي الزراعية حتى أصبح أكبر مالك للأراضي الزراعية في أسرة مرعى والجدير بالذكر أن أحمد مرعى هو والد سيد مرعى .

الباب الثاني

الشخصية السياسية
في العهد البائد

وقد كان سيد مرعى مثل الكثيرين من شباب جيله حيث نشأ في القرية ثم انتقل للقاهرة في سن السابعة ليعيش طرازا مختلفا من أسلوب المعيشة يعشقه أغلب شباب هذا الجيل وهو أسلوب حياة المدينة بصالوناتها ونواديها وأصوائها التي تخطف الابصار والعيون .

ورغم أن سيد مرعى قد بدأ يعتاد أسلوب الحياة الغربية بالقاهرة إلا أن قراراته واختياراته لم تكن ملكا له حيث كانت ترتبط بولائه لوالده أحمد مرعى الذي كان يرتبط بالأرض والزراعة إرتباطا وثيقا .

وبينما حرص الشقيق الأكبر حسن على تجنب ضغوط الوالد واختار أن يدرس الهندسة وليس الزراعة كما كان الوالد يتمنى .. فقد اتجه الوالد أحمد مرعى إلى سيد وهو الابن الثانى فى الترتيب لمحاولة إقناعه لتولى شئون المزرعة والعمل السياسى نائبا عن هذا الفرع من العائلة .

وحصل سيد على البكالوريا - الثانوية العامة - بتفوق وكان ترتيبه السابع عشر على مستوى الجمهورية وكان يتمنى الالتحاق بكلية الطب حيث كان يتخيل نفسه دائما فى رداء الاطباء الابيض لكنه فوجئ بإصرار أبيه على الالتحاق بكلية الزراعة .

وفى الصراع بين الارادتين : إرادة الأب وإرادة الإبن .. لم يجد الأب أمامه إلا أن يهدد ابنه ببيع كل اراضى العائلة بكفر الأربعين وبيع قطع الثروة الحيوانية التى يمتلكها فى مزاد علنى إذا لم يوافق على الالتحاق بكلية الزراعة .. وبذلك انتصرت إرادة الأب .

وحصل سيد مرعى على بكالوريوس الزراعة بتفوق من جامعة القاهرة حيث كان ترتيبه الخامس ثم السابع ثم الأول ثم الرابع على مدى سنوات الدراسة بالكلية وفى فصول دراسية يزيد عدد الدارسين فيها على مائتى دارس .

وكان يتوقع الحصول على منحة دراسية للدراسات العليا - والتى تمنح للتفوق - فى بريطانيا أو الولايات المتحدة للحصول على الدكتوراه وهروبا من حياة الريف .

وأمام التحدى الجديد الذى يواجهه الأب لم يجد معه سبيلا إلا الاتصال بعميد الكلية لإلغاء المنح الخاصة بكلية الزراعة للدراسة فى الخارج فى ذلك العام .

والنتيجة واحدة على أى حال فقد عاد سيد مرعى إلى كفر الأربعين ليبدأ مشوار حياته الجديد كمالك للاراضى الزراعية ومشرفا على ممتلكات العائلة .. مع وعد من الأب بأنه سيكون له حق خوض الانتخابات البرلمانية محاطا بدعم العائلة بوصفه الإبن الأكبر الذى خضع لإرادة أبيه .

وخلال مشوار التعليم بالقاهرة كان سيد مرعى كفيhre من أبناء العائلات الريفية البارزة لا ينتمى لآى حزب سياسى ولا يشارك فى آى مظاهرات طلابية حيث كانت الأنشطة السياسية من اختصاص عائلاتهم .

ولذلك يمكن اعتبار الطبقة المتوسطة السفلى التى ينتمى إليها جمال عبد الناصر وأنور السادات هى العمود الفقرى للحركة الطلابية وأحزاب الكفاح الوطنى وهى طبقة لم تجد آى منافسة من قبل افراد طبقة العائلات البارزة .

وقد كان زواج سيد من ابنة عمه سعاد أحد مظاهر التسليم بالتقاليد والعرف السائد وكانت فلسفة هذا الزواج هى جمع شمل العائلة لضمان مساندة سيد كمرشح عن العائلة فى الانتخابات .

وقبلت سعاد هذا الزواج بدوافع التضحية فقد نشأت فى المدينة وتعلمت فى المدرسة الفرنسية الخاصة بمصر الجديدة وهى ضاحية القاهرة الراقية .

ولتشجيع سعاد على ترك مصر الجديدة والحياة فى كفر الأربعين قام أحمد مرعى ببناء فيلا على الطراز الإيطالى - وهو الطراز المعمارى المعروف فى أبنية القاهرة فى ذلك الوقت ليقم فيها العروسان .

وفضل سيد مرعى الانضمام للسعديين والابتعاد عن الوفد .. وبينما كان النقراش باشا حريصا على ترشيح أكبر عدد ممكن من الأعيان من خلال السعديين لتوفير الاعتمادات المالية لحزبه فقد ساند سيد مرعى فى دائرة العزيزية الذى نجح فى هذه الانتخابات ليبدأ مشواره السياسى وربما يرجع ذلك لمقاطعة حزب الوفد لهذه الانتخابات عام ١٩٤٤ .

وكان من المؤلف أن يصبح مرعى ناخبه فى سيارته الخاصة للقاهرة لقضاء مصالحهم ضمانا لولائهم وتأيدهم وبدأ يقوى صلاته بمشاىخ القرى لتأمين منصبه الانتخابى .

ورغم كل هذه الترتيبات والاستعدادات .. حدث ما لم يكن فى الحسبان فى الدورة الانتخابية التالية حيث تم تشكيل حكومه جديدة للإشراف على الانتخابات وتولى محمد هاشم وزارة الداخلية .

ومحمد هاشم هو جار سيد مرعى بالشرقية وقد حاول هاشم الاستيلاء على قطعة أرض حكومية ومنعه سيد مرعى من تحقيق ذلك ووجدها فرصة للانتقام منه فى انتخابات عام ١٩٤٩ .

ومما زاد الطين بلة أن فؤاد سراج الدين كان قد عرض على سيد مرعى أن يتم ترشيحه نائبا عن الوفد ولكنه صدم برفض مرعى ولذلك كان حريصا على هزيمته وانضم هاشم وسراج الدين والأخوان المسلمون فى مواجهة سيد مرعى .

وفي يوم الانتخابات قام محمد/هاشم وزير الداخلية بنقل وحدة من جنود الشرطة من صعيد مصر إلى العزيزية وقاموا بمحاصرة القرى وإيداع مشايخ القرى الموالين لمرعى في السجن للسيطرة على الأصوات الانتخابية ومنع مؤيدي مرعى من الوصول لصناديق الانتخاب .. وبذلك نجحت قوات وزارة الداخلية في تأمين نجاح زكى دياب مرشح حزب الوفد في الانتخابات .

ويمكن القول إن وزن الاسرة الاقتصادية يؤثر على فرص أبنائها في الحصول على وظائف سياسية .

والشئ المؤكد أنه لا توجد قواعد تضمن للخبراء الحصول على وظائف سياسية وإنما النجاح السياسى يتطلب من الفرد أن يقوم باتصالات شخصية مكثفة تضمن له وجود حليف واحد على الأقل - يتألق نجمه - في ظل المتغيرات السياسية . وبذلك يمكن التسليم بأن الاسرة أحد عوامل النجاح وضرورة لتحقيقه ولكنها وحدها لا تكفى لتحقيق هذا النجاح .

ولابد من الإشارة إلى أن بعض الأفراد يقومون بجنى ثمار انتمائهم للأسرة ومثال ذلك حين تولى المهندس سيد مرعى الاشراف على الاصلاح الزراعى وبدأ يمارس عمله في مجالس إدارة عدة شركات زراعية - في أعقاب ذلك - تلقى مرعى شقيق سيد مرعى دعوات للعمل في مجالس إدارة ثلاث شركات مختلفة للقطن بينما تولى عمر شقيق مرعى أيضا مهام منصب عضو مجلس إدارة شركة مصر لتصدير القطن وأيضا عضو مجلس شركة مصر للألبان بالإضافة لعدة شركات أخرى تعمل في مجال تصنيع الغذاء .

ويجنى أفراد الاسرة الثمار بالدعم المباشر وغير المباشر أو بامتطاء صهوة الجواد خلف نجم الاسرة المتألق .

الباب الثالث

المائسة في
علم السياسة

الفصل الأول

روابط المصاهرة مع عائلات ذات نفوذ

حرصت عائلة مرعى على ربط مصيرها بمصير عائلات اخرى عريقة بالمصاهرة او الزواج وهى عائلات نصير وعبد اللاه وشامس وصدقى وحبش . وبحلول حقبة او فترة الأربعينات اصبحت لعائلة مرعى صلات شخصية قوية مع قيادات احزاب الوفد والاحرار الدستوريين والشعب والحزب السعدى .. ولم تنس العائلة كذلك الارتباط بالتنظيمات السياسية الراديكالية كتنظيم مصر الفتاة والاخوان المسلمين .

وكان لهذه الزيجات الناجحة تأثير كبير على نجاح الاسرة في ظل متغيرات جديدة وهى مرحلة حكم جمال عبد الناصر . .

وكان رجال الصفوة السياسية في مصر - في بداية حكم عبد الناصر - يعرفون بروابط المصاهرة بين عائلتى مرعى ومحيى الدين وان الامر يتعدى روابط المصاهرة الى نشاط اقتصادى وسياسى مشترك وتحولت هذه الروابط الى تحالف قوى . والواقع ان هذا التحالف قد اصبحت هدفا للخصوم السياسيين منذ الثلاثينات .. وحتى في مصر اليوم تحرص العائلات الكبيرة على عدم الاعلان عن روابط المصاهرة حتى لا يبدو ان هناك علاقات اسرية تربط بين هذا او ذاك مع الوضع في الاعتبار ان عائلة محيى الدين ليست عربية بل يرجع اصلها للاتراك المقدونيين .

وخلال الحرب العالمية الثانية تمت ثلاث زيجات بين عائلتى مرعى ومحيى الدين حيث تزوج ابراهيم ابن فاطمة وهى كبرى بنات حسنين مرعى من ابنة عم زكريا محيى الدين .. وتزوج جمال شقيق ابراهيم مرعى من سامية محيى الدين شقيقة زكريا .. وبعد اشهر قليلة تزوجت مها شقيقة ابراهيم وجمال مرعى من سيد محيى الدين شقيق زوجة ابراهيم .

وبعد الاطاحة بالحكم الملكى في يولييه ١٩٥٢ تم اختيار سيد مرعى للتفاوض مع الحكام العسكريين الجدد ممثلا للحزب السعدى الذى ينتمى اليه . وكان قد عرف ان زكريا محيى الدين ضمن مجلس قيادة الثورة عن طريق الاذاعة .

وتم استدعاء مرعى الى مقر المجلس العسكرى الثورى فى فيلا على النيل .. وفى هذا الاجتماع شرح مرعى لمحمد نجيب القائد الصورى للمجموعة أبعاد موقف الحزب السعدى ..

وقد لاحظ مرعى انه منذ أن بدأ حديثه أن هناك ضابطا شابا ذا أنف معقوفة يقاطعه باستمرار .. وقد اثارت هذه المقاطعة غضب سيد مرعى فألح الى انه اذا استمرت هذه المقاطعة فإن وجوده لأمعنى له ولن يتمكن من توضيح الموقف لنجيب .

ولتفادى هذا الموقف الحرج أعلن زكريا محيى الدين ان الاجتماع قد تأجل وقام زكريا يرافقه مرعى لخارج الغرفة موضحا ان الضابط ذا الأنف المعقوف هو جمال عبد الناصر وأنه القوة المحركة الحقيقية للأحداث الدرامية فى الفترة بين ٢٢ - ٢٦ يولييه وان اللواء نجيب ليس أكثر من واجهة ..

وأثبت زكريا محيى الدين - وهو أحد رجال الصفوة السياسية الاقوياء - فى هذا الموقف انه من الممكن ان يكون مفيدا لسيد مرعى كقناة اتصال يمكن من خلالها اقتحام اسوار الضباط الذين يحيطون بعبد الناصر .

وترجع علاقة سيد مرعى بزكريا محيى الدين الى صداقته الحميمة لعبد العزيز شقيق زكريا الأكبر الذى تخرج فى جامعة القاهرة وعمل بعدها مباشرة بوزارة الزراعة ..

وبعد تعيين مرعى وزيرا للزراعة عام ١٩٥٧ بدأت ترقيات عبد العزيز محيى الدين تسير بسرعة الصاروخ وفى عام ١٩٥٩ تم اختياره كأحد خمسة وكلاء لوزارة الزراعة ..

وترك مرعى الوزارة ثم عاد اليها بعد ذلك بنحو عشر سنوات فى اعقاب تشكيل وزارى جديد . وعرض مرعى على عبد العزيز محيى الدين منصب نائب وزير الزراعة لكنه تردد فى قبول هذا المنصب على اعتبار انه منصب غير مستقر وأنه قد يتعرض فيه لهزات الكراسى الموسيقية وقرر مرعى ترقيته لمنصب وكيل اول وزارة الزراعة وهو منصب مخلق ومخترع حديثا فى ذلك الوقت ..

وعندما وصل عبد العزيز لسن التقاعد - أى بعد ذلك بنحو ثمان سنوات تم اختياره مستشارا لشركة سيبا جيى للكيماويات وهى وظيفة اعداها له سيد مرعى . وحرصت عائلتا مرعى ومحيى الدين على تكتم اخبار الزيجات بينهما واخفائها حتى عن رجال الصفوة السياسية حتى انه كان من الممكن عقد زيجة جديدة او حدوث حالة طلاق دون ان يلاحظها احد .

ويمكن القول إن هناك روابط مصاهرة تربط بين عائلتى مرعى وصبرى وهى عائلة على صبرى رئيس الوزراء الاسبق .

وكانت لهذه المصاهرة مظاهر إيجابية وأخرى سلبية حيث كان واضحاً أن هناك منافسة واضحة بين سيد مرعى وعلى صبرى حيث كان الشابان يتميزان بالطموح السياسى .

وبعد أن نجح عبد الناصر ورفاقه فى الاستيلاء على السلطة وبدأ اسم على صبرى يتردد كواحد من الضباط الأحرار بدأ سيد مرعى يعمل على إبعاد شبح العداء المتبادل بينه وبين على صبرى .. وبعلاقته المتميزة مع اسماعيل الاخ الأكبر لعل صبرى - وهو رجل الأعمال المشهور الذى كان يعمل بشركة السكر - بالإضافة لعلاقة مرعى المتميزة أيضاً بذو الفقار صبرى الضابط بالقوات الجوية والذى يقوم فى بعض الأحيان بمهام دبلوماسية لعبد الناصر ..

ورغم أن سيد مرعى قد قام بتعيين عمر صبرى الاخ الرابع لعل صبرى سكرتيراً خاصاً فور توليه رئاسة لجنة الإصلاح الزراعى إلا أن التوتر فى العلاقات بينه وبين على صبرى كان مستمراً ولاوقت فيه للمهادنة .

وفى عام ١٩٦١ تم استبعاد سيد مرعى من التشكيل الوزارى وتم وضعه فى منزله تحت الحراسة نتيجة لدسائس أعضاء المجلس العسكرى « كمال الدين حسين » « وعبد الحكيم عامر » .. فقام عمر صبرى بتقديم استقالته احتجاجاً على ذلك وطلب من أخيه على صبرى التدخل دفاعاً عن سيد مرعى فاستجاب على صبرى لطلب أخيه .

ولابد من الاعتراف بأن على صبرى قد قام بانعاش المستقبل السياسى لسيد مرعى فى مارس عام ١٩٦٢ عندما صدر قرار بتعيينه عضواً بمجلس إدارة بنك مصر . ومع ذلك اختلفت مصالح الرجلين مرة أخرى فى نفس العام أى عام ١٩٦٢ حيث بدأ على صبرى وقتها بتوجيه دفة الحكم جهة اليسار وظهر أثر ذلك فى السياسة الداخلية والخارجية .. وبدأ يعمل مع عبد المحسن أبو النور وزير الزراعة والإصلاح الزراعى فى ذلك الوقت على إجراء تجارب فى محافظتى كفر الشيخ وبنى سويف بشأن تعميم المزارع الجماعية .

وقد كان مرعى يعارض فكرة المزارع الجماعية ولا يؤمن بالاشتراكية كمبدأ .. ولذلك بدأ فى صراع آخر من خلف الكواليس مع على صبرى عندما تولى سيد مرعى منصب سكرتير أول الاتحاد الاشتراكى العربى .. وبات واضحاً أن هناك اختلافات شخصية وسياسية وعقائدية بين الرجلين لاتسمح حتى بعقد هدنة .

وهناك سؤال يتردد فى الأذهان : ماذا كان يحدث لو أن على صبرى خرج منتصراً فى صراعه مع الرئيس السادات فى بداية حكمه ؟

ولاشك ان هناك ما يدعو للاعتقاد بان سيد مرعى كان سيتعاون مع صبرى على الفور ويقطع علاقته بالسادات . وعلى اى حال فقد ظلت الاسرتان مترابطتين حتى بعد احداث ثورة التصحيح .

وبعد القبض على صبرى واعوانه قام سيد مرعى باعداد وظيفة لشقيقه عمر صبرى بمنظمة الاغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة .

وقد استفاد سيد مرعى من علاقة مصاهرة غير مباشرة بين عائلته وعائلة اباطة الشهيرة بالشرقية في تدعيم علاقته باحمد اباطة الاخ غير الشقيق للشاعر الكبير عزيز اباطة .

وكان سيد مرعى يخوض الانتخابات على مدى عشر سنوات في نفس القائمة مع سامى اباطة وهو ابن شقيق احمد اباطة في دائرة منيا القمح وكان سامى اباطة يخوض الانتخابات كعامل ويخوضها مرعى كفلاح وفقا للدستور .

وجاء تصنيف سامى اباطة كعامل لانه كان يعمل ببنك التنمية والائتمان الزراعى بمحافظة الشرقية - مع الوضع في الاعتبار ان هذا البنك كان تحت سيطرة وزارة الزراعة والاصلاح الزراعى والتي كان سيد مرعى وزيرا لها .

وقد كان مرعى كسياسى يعمل منذ نهاية الاربعينات على الوصول للصحافة عن طريق اسرة اباطة وذلك لاهمية الصحافة لمستقبله السياسى .

وعلى اى حال فقد اخطأ وجيه اباطة بتأييده لعلى صبرى بعد وفاة عبد الناصر .. وسدد ثمن هذا الخطأ بقضاء فترة عقوبة مخففة في السجن .

ولكن يبدو ان سيد مرعى كان يعرف جيدا ما يريد اصدقاءه وحلفاؤه فقد قام بتعيين سيدتين من اسرة اباطة في السكرتارية الخاصة به في مجلس الشعب في الفترة بين عامى ١٩٧٤ - ١٩٧٨ .

وتعد عائلة مشهور من عائلات محافظة الشرقية التى ارتبطت مع اسرة مرعى بروابط المصاهرة .. حيث كان لنبوية نصير زوجة فوزى ثم احمد مرعى اخت وهى نفيسة نصير التى تزوجت سالم مشهور وانجبا فتاة تزوجها ابن عمها مشهور احمد مشهور .

وقد كان لمشهور احمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس الاسبق نفوذ كبير في عصر السادات .. وبدأ مشهور يعمل جنبا الى جنب مع عثمان احمد عثمان وسيد مرعى بالاضافة لشخصيات اخرى كانت تتغير من وقت لآخر ومنهم منصور حسن وزير الاعلام الاسبق في عام ١٩٧٨ وكانت هذه المجموعة تشكل فريقا يمثل اكثر الرجال نفوذا حول الرئيس السادات .

وبالرغم من ان مشهور كان رئيسا لهيئة قناة السويس فإنه بدأ يوسع نفوذه لقطاعات تكنولوجية وسياسية اخرى في مصر .

وقد تم انتخاب عبد الله احمد مشهور شقيق رئيس هيئة قناة السويس - عام ١٩٧٦ عضوا بمجلس الشعب عن دائرة الاسرة بالشرقية وهي دائرة مشتل السوق واصبح عضوا مرموقا في حزب الوسط الذي ينتمى له الرئيس السادات .

وقد حرصت عائلتا مرعى ومشهور على عدم الظهور معا في اى مكان عام .. وكانت اتصالاتهما تجرى بحرص .. إنه الحرص الا تلت الصداقة بين الاسرتين نظر العامة .

وهناك ارتباط بين عائلتي مرعى وعلوان .. وعائلة علوان عبارة عن ملاك اراض .. ورجال اعمال ومشايخ طرق صوفية ومن خلال المشيخة الصوفية اصبح للعائلة هذا النفوذ السياسى ومنهم الشيخ محمد علوان .

وبدأت خطوات جادة لتقليص نفوذ الدين ورجاله بعد استيلاء الضباط الاحرار على السلطة في مصر .. وشملت هذه الخطوات الشيخ محمد علوان .. وقام الضباط الاحرار باعداد محكمة ثورية خاصة لمحاكمته .

ولكن بعد صراع بين عبد الناصر ونجيب على السلطة .. اصبح عبد الناصر في حاجة الى الشعبية والعلاقات العامة .. واقنعه سيد مرعى ان الحد الاقصى من الشعبية يمكن ان يتحقق من خلال توزيع عقود تملك الاراضى على الفلاحين .. واقترح على عبد الناصر ان يقوم بزيارة لقرية المنشية القريبة من بلبس وهي مسقط راس الشيخ محمد علوان .

واقنع سيد مرعى ايضا الشيخ علوان بأن عليه ان ينسى مافات وأن يساعد عبد الناصر في مهمته - وبالفعل وافق على مضمض وجمع الفلاحين لمساندة عبد الناصر .. والحقيقة ان هذه الزيارة قد حققت نجاحا عظيما ونقلتها وسائل الإعلام في عناوينها الرئيسية .

وفي مقابل ذلك قام عبد الناصر بتعيين الشيخ علوان شيخا لمشايخ الطرق الصوفية وتم زفاف هدى ابنة حسن شقيق سيد مرعى والدكتور أسامة علوان ابن شقيق الشيخ محمد علوان .

وخلال عامى ١٩٦١ - ١٩٦٢ حلت المصائب بأسرتى مرعى وعلوان .. ففى مطلع عام ١٩٦١ تم إبعاد سيد مرعى من الوزارة وتم وضعه فى منزله تحت الحراسة .. وفى مطلع عام ١٩٦٢ تم القبض على عمر مرعى والشيخ محمد علوان بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم .

وتمت محاكمة عمر مرعى بمحكمة عسكرية وحكم عليه بالإعدام بينما تم وضع الشيخ محمد علوان تحت الحراسة في منزله .

واستغل الشيخ علوان علاقته بالمشير عبد الحكيم عامر لرفع الحصار المفروض حوله وانقاذ عنق عمر مرعى من اسنان الديناصور .

ولم تكن هناك علاقة طيبة تربط بين سيد مرعى وبين المشير عامر ولذلك لم يحرص الأخير على التدخل لانقاذ عمر مرعى الاخ غير الشقيق لسيد مرعى لكن نجح عامر مع ذلك في تخفيف حكم الاعدام الى السجن لمدة ٢٥ سنة مع مصادرة ممتلكاته .

وقد قضى عمر مرعى سنتين بالسجن قبل وضعه تحت الحراسة في بيته وفي عام ١٩٧١ ظهرت شمس يوم جديد حيث تم رفع الحراسة عنه وكذلك إعادة ممتلكاته .

الفصل الثانى

العائلة شبكة للاتصالات

ويمكن القول إن العائلة قد أتاحت فرصا للمناصب السياسية لأفرادها فقد منحت العائلة أفرادها فرصة الاتصالات غير المباشرة برجال الصفوة السياسية في مصر وهى مجموعة من الصعب الاقتراب منها بغير هذا الأسلوب .

وهذه العلاقات يمكن ان تنشأ من خلال روابط المصاهرة أو من خلال علاقات الصداقة أو من خلال المشاركة في مشروع تجارى .. إنها ببساطة علاقات تنشأ لتحقيق المصالح للطرفين .

وهناك أمثلة على التحالفات السياسية قصيرة الأجل خلال العصر البائد وفي عصر عبد الناصر وعصر السادات . ويتم في العادة وقف العمل بهذا التحالف عندما يتحقق الهدف منه .

وفي الأربعينات على سبيل المثال بعد زواج أحمد مرعى نجل حسنين مرعى . من راوية علوبة قام سيد مرعى بفتح قناة اتصال مع على محمد علوبة شقيق راوية والذي كان يعمل بقطاع القطن . وكان سيد مرعى وقتها نائبا في البرلمان عن محافظة الشرقية للمرة الأولى في حياته .

وكان القطن في ذلك الوقت هو المحصول الاقتصادى رقم واحد في مصر حيث كان يجلب نصف الدخل القومى المصرى من الصادرات ولذلك كان القطن موضوعا هاما ومثيرا في المناظرات البرلمانية .

وفي نفس الوقت كان مرعى النائب البرلمانى الشاب والمهندس الزراعى يشق طريقه في المنافسة البرلمانية معتمدا على الموضوعات الزراعية التى تهم الفلاحين .

وعندما كان سيد مرعى يتعامل مع أسئلة تتعلق بإنتاج وتسويق القطن كان يعتمد على معلومات وإحصائيات وزارة المالية التى يعده بها صهره على محمد علوبة .

وبعد هزيمة سيد مرعى في انتخابات عام ١٩٥٠ لم يعد لديه أى وازع سياسى للمحافظة على قناة الاتصال مفتوحة مع على علوبة .

وخلال الدورة البرلمانية الوحيدة التي قضاها سيد مرعى كنائب قبل حكم عبد الناصر حرص كل الحرص على توثيق صلاته بالمجموعة البرلمانية بمحافظة الشرقية من خلال استغلال علاقات العائلة وصلاتها .

وعندما استولى الضباط الاحرار على السلطة عام ١٩٥٢ حرص أعضاء أسرة مرعى على قطع العلاقات والصلات مع السياسيين الذين ينتمون للعصر البائد .. مع الحرص أيضا على إحياء علاقات أخرى مع الأفراد الذين يهيمنون على السلطة . وبالإضافة لروابط المصاهرة بين عائلة مرعى وبين عائلات اثنين من الضباط الاحرار من عائلة محيى الدين وهما زكريا وخالد .. فقد حرصت العائلة على المصاهرة مع عائلة على صبرى وعائلة وجيه أباطة أحد الضباط أيضا .. أكثر من ذلك كانت لعائلة مرعى روابط مصاهرة مع عائلة كمال الدين حسين وهو أحد الأعضاء ذوى النفوذ في مجلس قيادة الثورة .

وتقع ممتلكات عائلة حسين في بنها بالقرب من الممتلكات والأراضى الزراعية الخاصة بأسرتى مرعى ونصير .

وكان والد كمال الدين حسين وفديا وكان من كبار ملاك الاراضى في المنطقة وكان كثيرا ما تعتمد عليه عائلتا مرعى ونصير لموازنتهما في الانتخابات البرلمانية . وقد تزوج شقيق كمال الديز حسين من بنت أخت نبوية نصير الزوجة الثانية لأحمد مرعى .

وبعد الاستيلاء على السلطة عام ١٩٥٢ أصبح كمال الدين حسين عضوا بارزا في الحكومة الجديدة وقد اختار أحد أفراد عائلة الشواربى ليكون سكرتيرا خاصا له مع الوضع في الاعتبار أن عائلة الشواربى وثيقة الصلة بعائلة مرعى .

وفي بداية الستينات تزوج محمد نصير - نجل إبراهيم نصير شقيق نبوية - إبنة عبد اللطيف بغدادى .. لتشكل رابطة مصاهرة بين عائلة مرعى وبين عضو آخر من أعضاء مجلس قيادة الثورة . ويمكن أيضا إضافة زواج « حسن » نجل سيد مرعى من نهى إبنة الرئيس السادات .

وهصدق أو لاتصدق أنه بحلول عام ١٩٧٥ أصبح لعائلة مرعى روابط مصاهرة مع عائلات أربع أعضاء بمجلس قيادة الثورة . مع الوضع في الاعتبار أن مجلس قيادة الثورة يتكون من ١٢ عضوا .

وقد عرفت عائلة مرعى أهمية الصحافة لتحقيق النفوذ ولذلك استغلت روابط المصاهرة للوصول لصاحبة الجلالة . وذلك من خلال عائلة أباطة التى يعمل بعض أعضائها بالصحافة بجريدة الاهرام ومجلة المصور بالإضافة إلى محمد سيد أحمد وهو الصحفى البارز بجريدة الاهرام واحد دعاة الماركسية .

وكانت علاقة المصاهرة بين أسرة مرعى بالصحفى سيد أحمد من خلال بهية صدقى زوجة على مرعى حيث أن والدته بهية - زوجة إسماعيل صدقى - هى ابنة باشا سيد أحمد الصحفى بالأهرام .

والمعروف أن عائلتى صدقى وسيد أحمد من العائلات الغنية بمحافظة الغربية وهم يتشابهون مع عائلة مرعى فى المستوى الاجتماعى وعلى هذا الأساس جمعت الصداقة بين سيد مرعى ومحمد سيد أحمد .

وهناك نماذج من الزيجات أو روابط المصاهرة بين عائلة مرعى وأصحاب النفوذ فى مصر بعد عام ١٩٥٢ ومن هذه النماذج زواج عائشة شقيقة عمر مرعى ابن عم سيد من محمد عيد ابن عم عثمان أحمد عثمان صاحب شركة المقاولات الشهيرة وصاحب النفوذ السياسى الضخم على مدى عصرى عبد الناصر والسادات .

ويمكن أن نقول إن روابط المصاهرة بين أصحاب النفوذ تقوم بتجديد شباب مجتمع الصفوة السياسية فى مصر حيث أن هذا المجتمع كبير وغير متجانس مما لايشجع على قيام علاقات شخصية بين أعضائها ولذلك يمكن لعلاقات المصاهرة أن تتيح الاتصال الشخصى والذى له أهمية سياسية واقتصادية كبيرة .

ولكن يجب أن يوضع فى الاعتبار أن روابط المصاهرة لاتمنع تحول اثنين من أصحاب النفوذ إلى عدوين لدودين حيث حدث صراع مرير بين كمال الدين حسين وسيد مرعى رغم وجود هذه الروابط .

والشئ المؤكد أن روابط المصاهرة ليست أكثر أهمية من عوامل أخرى مثل المصالح الشخصية .. وعندما تتضارب هذه المصالح يصبح الصدام أمراً حتمياً . إنها دهاليز السياسة بلارتوش أو تجميل .

ومما يؤكد هذا الكلام أنه مع وجود روابط مصاهرة بين سيد مرعى وعثمان أحمد عثمان من خلال محمد عيد ابن عم عثمان إلا أن الرجلين كانا فى مواقع التنافس كعضوين فى حاشية الرئيس .

وكانت المنافسة بين سيد مرعى وعثمان لصالح عبد الناصر واستفاد منها كثيرا الرئيس السادات مع الوضع فى الاعتبار أن نجمى سيد مرعى وعثمان كانا متآلفين فى عصر السادات أكثر منه فى عصر عبد الناصر .

ورغم وجود الرجلين فى حاشية الرئيس فقد كانا متنافرين ولا تربطهما أى صداقة أو تحالف سياسى سوى تأييدهما المشترك للنظام الحاكم .

وإذا كان الصراع يمكن أن يحدث رغم وجود علاقات مصاهرة .. فإن هذا الصراع يمكن أن يحدث بين أفراد العائلة الواحدة ومثال ذلك علاقة محمد أبو نصير بباقى عائلة مرعى .

وبعد محمد أبو نصير حفيد أكثر أفراد عائلة نصير إسرافاً وتبذيراً .. وكان يعيش مع والديه في منزل ملاصق لمنزل أحمد مرعى بمنطقة العباسية بالقاهرة .

وقبل أن يصل محمد أبو نصير لمرحلة الشباب شبت النيران في المنزل الذي يقيم فيه مع والديه وأدت النيران لمصرع كل من في المنزل فيما عدا محمد أبو نصير الذي ذهب ليعيش في منزل أحمد مرعى .

ويبدو أن الفتى محمد أبو نصير قد نشأ وترعرع ومعه حقد وحسد دفن تجاه عائلة مرعى وأصبح ينتظر الفرصة للاستفادة من أقاربه الاغنياء .

وجاءت الفرصة عام ١٩٥٤ حين تم تعيين حسن مرعى وزيرا للاقتصاد والصناعة وبدأ يدبر الامر لتعيين محمد أبو نصير وكيلا للوزارة .

ومن خلال هذه الوظيفة بدأ محمد أبو نصير حملة شائعات ضد حسن مرعى وهو من قام بدعوه - وببساطة - استقال حسن مرعى وشغل محمد أبو نصير وظيفته .

وبعد هذا الحدث ببضعة أعوام انضم أبو نصير لتحالف على صبرى ضد عائلة مرعى .. والجدير بالذكر أن قلوب أفراد العائلة يعتصرها الالم حتى اليوم وهى تذكر ماحدث من محمد أبو نصير .

ولاشك أن حدوث صدع أو شرخ من هذا النوع في العائلة يكون مكلفا حيث يستغله الخصوم السياسيون .. لكن يمكن القول إن هذه الخصومات ليست الا بعض الآثار الجانبية للترابط والاخلال العائلى .

وفي بداية المشوار السياسى لسيد مرعى كان للروابط والعلاقات الاقليمية بمحافظة الشرقية أهمية كبيرة له . لكن مع انهيار البرلمان فى عام ١٩٥٢ وتركيز السلطة فى ايدى الصفوة من الضباط تراجعت أهمية روابط وعلاقات محافظة الشرقية .

وقد تم إحياء البرلمان مرة اخرى فى عصر الرئيس السادات وصاحب ذلك إعادة توزيع السلطة والنفوذ بانتزاعهما من الطبقة الدنيا واستحواذ الطبقة العليا أو العائلات الغنية العريقة عليهما .

وأدى شغف وحب الرئيس السادات للحياة الريفية لإحياء العلاقات بين العائلات الغنية فى الريف .

والجدير بالذكر أن سيد مرعى قد أصبح عضوا فى البرلمان لأول مرة فى عامى ١٩٤٤ - ١٩٤٥ وكان مرعى وقتها يذهب للبرلمان كما يذهب للنادى حيث كان يتعامل فى البرلمان مع الاصدقاء ومن تربطه بهم روابط المصاهرة .

وكانت عائلة مرعى خلال هذه الفترة قد ارتبطت بالمصاهرة أو تنوى ذلك مع عائلات سبعة نواب من اجمالى ١٦ عضوا بالبرلمان . وشملت روابط المصاهرة عائلة ابازة وكان من بين افرادها أربعة أعضاء فى البرلمان .

وقد تميزت اول انتخابات برلمانية فى اكتوبر عام ١٩٧١ فى أعقاب تولى الرئيس السادات لمهام الرئاسة بعودة تمثيل العائلات البارزة بمحافظة الشرقية فى البرلمان . والجدير بالذكر أنه من بين ٢٤ مرشحا كان بينهم سبعة مرشحين ينتمون لهذه العائلات . وقد نجح سيد مرعى دون منافسة فى مركز منيا القمح . ونجح حسين على حمدى سالم فى موطنه بأبو كبير حيث تعيش عائلة سالم .

ونجح صلاح الطاروطى - وهو المحامى البارز والمعروف فى القاهرة - فى دائرة فاقوس حيث ينتمى لاحدى العائلات الغنية والبارزة على مدى ثلاثة أجيال .

واستطاع عبد الله أحمد مشهور أحد أفراد عائلة مشهور العريقة - والتي ترتبط بعائلة مرعى بالمصاهرة - أن يحصل على مقعد فى البرلمان عن دائرة مشتول السوق . بينما نجح شقيقه مشهور أحمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس فى الحصول على مقعد البرلمان بمنطقة نفوذه بالاسماعيلية .

وتم انتخاب محمد أمين عامر - وهو أحد أفراد عائلة عامر العريقة بفاقوس - نائبا عن دائرة أبو حماد .. بينما انتخب منصور الاحمد منصور عميد عائلة منصور - التى تتولى رئاسة الطريقة الاحمدية الشاذلية الصوفية بالشرقية - نائبا عن دائرة كفر صقر .

ويمكن القول إن كل هؤلاء النواب نجحوا فى دوائر محافظة الشرقية عام ١٩٧١ قد أعيد انتخابهم مرة أخرى عام ١٩٧٦ .

وقد خاض سيد مرعى وسامى ابازة الانتخابات البرلمانية معا بدائرة منيا القمح وكان سامى ابازة يخوض الانتخابات كعامل تاركا الصفة الاخرى لحليفه مرعى .

بينما خاض الدكتور شامل ابازة المعركة الانتخابية لأول مرة - وهو ابن عم سامى ابازة وشقيق ثروت ابازة الكاتب المرموق بالاهرام ونجل إبراهيم الدسوقي ابازة البرلمانى البارز وأحد قيادات حزب الاحرار الدستوريين .

وأصبح هناك سبعة من ٢٤ نائبا بمحافظة الشرقية ينتمون لعائلات ملاك الاراضى فى انتخابات عام ١٩٧١ ثم فى انتخابات عام ١٩٧٦ وهو نفس ماحدث فى انتخابات عام ١٩٥٧ قبل أن يبدأ عبد الناصر تجاربه فى الاتحاد الاشتراكى .

والوقائع تؤكد اختلاف الممارسات السياسية بين برلمان ١٩٥٧ وبرلمان ١٩٧٦ .. فقد سيطر ضباط الجيش على برلمان ١٩٥٧ مما يفسر عدم قيام النواب من ملاك الاراضى فى تلك الفترة بأى دور هام فى البرلمان .. ولكن بدأ هؤلاء النواب يتألقون عقب سيطرة الرئيس السادات على السلطة .

وخلال الدورات البرلمانية فى عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٦ كان أمر الله بليغ رئيسا للمجموعة البرلمانية بمحافظة الشرقية وصلاح الطاروطى نائبا للرئيس . وكان كلا الرجلين من العلامات البارزة فى البرلمان .

وكان النائبان سامى وشامل أباطة من النواب البارزين أيضا ضمن المجموعة البرلمانية لمحافظة الشرقية وكانا يشكلان معا سلاح سيد مرعى الذى يستخدمه عند الحاجة وكان لهما دور كبير فى الجلسات البرلمانية بين أعوام ١٩٧٦ - ١٩٧٨ .

وقد كان سامى أباطة أحد المنظمين الأساسيين للسياسات البرلمانية من خلال حزب الوسط الذى أسسه السادات ثم من خلال الحزب الوطنى الديمقراطى .. وبالإضافة لذلك كان رئيسا للجنة الشباب بالمجلس .

ويعد عبد الله مشهور أحد القيادات غير الرسمية لمجموعة محافظة الشرقية البرلمانية وربما يرجع ذلك لمكانة شقيقه مشهور أحمد مشهور كأحد أعضاء حاشية الرئيس السادات مع عدم تجاهل التحالف الذى يربط عائلتى مرعى ومشهور .

ويمكن أن نقولها بصراحة إن علاقات المصاهرة والروابط بين العائلات كان له تأثير كبير على مشوار مرعى السياسى خلال العصر البائد وخلال عصر الرئيس السادات . ولم يكن لهذه الروابط أى أهمية خلال عصر عبد الناصر حيث كانت السلطة مركزية ولم يكن البرلمان أكثر من واجهة .

الباب الرابع

التحالفات السياسية
خارج نطاق العائلة

الفصل الأول

شـِـلة الجامعة

« كانت شلة الدراسة بالجامعة تضم عزيز قدرى .. والمرحوم عبد القادر العبد .. وحسين مراد .. وحافظ عوض .. ومصطفى الفار .. وعبد العظيم شحاته وآخرين » .

« سيد مرعى »

ويقول سيد مرعى : منذ تخرجى فى كلية الزراعة حتى الآن .. أحرص على أن ألتقى بأصدقاء الجامعة كل ثلاثاء بمنزلى بالهرم .. إننا نلتقى كأُسرة - ولا يهم فى ذلك الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها أى منا - ونناقش جميع الأمور بالروح الصادقة للأسرة المصرية .

وقد بدأ سيد مرعى تعليمه فى كُتَّاب العزيزية حيث تعلم القراءة والكتابة على مدى عامين وتعلم خلال هذه الفترة أيضا تلاوة القرآن الكريم :
وعندما وصل إلى سن السابعة سافر مع عائلته للقاهرة ليعيش فى منطقة العباسية حيث بدأ تعليمه الأساسى بمدرسة السيدة نفيسة الابتدائية ثم انتقل إلى مدرسة الحسينية الابتدائية التى حصل منها على شهادة الابتدائية عام ١٩٢٨ وكان ترتيبه الأول على الفصل الدراسى الذى كان يدرس فيه .
ويمكن اعتبار مدرستى السيدة نفيسة والحسينية - فى ذلك الوقت - فى عداد المدارس الخاصة بمصروفات اعتبارية فقط أو إسمية .

والتحق بعد ذلك بمدرسة فؤاد الأول الثانوية وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٣٣ وكان زملاء الدراسة بمدرسة فؤاد الأول ينتمون لعائلات يمكنها تحمل نفقات التعليم مع وجود زملاء ينتمون للطبقة الأقل المتوسطة واعتات العائلات التى تنتمى للطبقة الأخيرة - الأقل من المتوسطة - تقديم تضحيات مالية لتوفير التعليم للأبناء ويعنى ذلك أنه من بين ٢٥٠ دارسا حصلوا على الشهادة الثانوية عام ١٩٣٣ طلاب

ينتمون للطبقة الأقل من المتوسطة . وقد التحق أنور السادات - على سبيل المثال - والذي كان أبوه يعمل موظفا حكوميا بمدرسة فؤاد الأول عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ قبل أن ينتقل لمدرسة أخرى .

وعلى أى حال فإن أغلبية زملاء الدراسة بمدرسة فؤاد الأول وثيقو الصلة بسيد مرعى وينتمون لنفس الطبقة التى تنتمى إليها عائلة مرعى .

وكان فكرى مكرم عبيد من أبرز زملاء الدراسة وهو الشقيق الأصغر لمكرم عبيد - وهو من القيادات القبطية لحزب الوفد - الذين انشقوا عنه عام ١٩٤٢ وقام بتشكيل حزب خاص به أطلق عليه « الكتلة » ولذلك كان فكرى مكرم عبيد صديقا حميما لسيد مرعى .

والجدير بالذكر أن فكرى مكرم عبيد كان أمينا للحزب الوطنى الديمقراطى عام ١٩٧٨ وهو الحزب الذى أسسه الرئيس السادات .

وكان محمود أبوزيد - أحد زملاء - الدراسة أيضا على غرار فكرى مكرم عبيد حيث كان زعيما سياسيا وفديا نشطا بمدرسة فؤاد الأول .

ويمكن ان نلاحظ بين زملاء الدراسة فى الصور المدرسية صدقى محمود والذى تقلد بعد ذلك منصب قائد القوات الجوية ثم اعتقل فى أعقاب هزيمة يونيه - بالضبط فى ٦ يونيه عام ١٩٦٧ .

وكان من بين زملاء الدراسة أيضا أحمد التونى السياسى البرلمانى فى عصر الرئيس السادات وعبد العزيز محيى الدين وشقيقه الأصغر زكريا اللذين انتقلا لمنطقة العباسية مع سيد مرعى بعيداً عن ممتلكات العائلة بمحافظة الشرقية .

وباستثناء عبد العزيز محيى الدين زميل الدراسة بالمرحلة الثانوية ثم الجامعة لم يكن لسيد مرعى صلة مباشرة بأصدقاء الدراسة الثانوية .

لقد كان سيد مرعى أكثر ارتباطاً بزملاء الدراسة بكلية الزراعة الذين تخرج معهم عام ١٩٣٧ . وربما يرجع ذلك لوصولهم لسن النضج وإدراك قيمة الصداقة .. مع عدم إغفال حقيقة هامة جداً وهى أن مجموعة طلاب كلية الزراعة فى ذلك الوقت كانت أكثر تجانساً وربما يرجع ذلك لتجانس أصولهم الاجتماعية عن مجموعة أصدقاء المدرسة الثانوية على اعتبار أن التعليم الجامعى فى ذلك الوقت كان لا يتحمله إلا القادرون أو الموسرون .

وكمهندسين زراعيين كان عليهم أن يبدأوا مشوار الحياة العملية فى ميادين متقاربة ويمرور السنوات يشق كل منهم طريقه من خلال الوظيفة الحكومية أو أعمال أخرى .

وقبل التخرج مباشرة في كلية الزراعة كان على زملاء الدراسة القيام برحلة ميدانية لمدة شهر كدورة تدريبية . وقد كان لهذه الرحلة تأثير كبير على سيد مرعى وزملائه حيث عاشوا معاً بعيداً عن محيط العائلة .

إن هذه الرحلات الدراسية التي يتم خلالها تبادل الخبرات العلمية تؤدي إلى تكوين المجموعات - والتي تكون بديلاً عن العائلة - وهي المعروفة باسم الشلل . وقد وجد زملاء الدراسة في هذه الشلل كل فضائل الولاء والانتماء كما هي موجودة بين أفراد العائلة .

وكان الرئيس السادات يقضى اسعد لحظات حياته مع الشلل التي كان يقوم بتكوينها في الكلية الحربية مما يعنى أن الشلة تجلب السعادة لأفرادها . وقد كان جمال عبد الناصر يعمل من خلال شلة يجمعها مع الولاء له أو الولاء لعبد الناصر لكنه أدان أفراد شلته في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ .

وكان عبد الناصر يشكو أن المشير عبد الحكيم عامر كان ضابطاً كفوً وشخصية ممتازة ولكن شلة ورفاق السوء هم السبب في اخفاق وفشل عامر في حرب ١٩٦٧ .

وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٧٠ تحدث الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء في خطاب له بالبرلمان في أعقاب وفاة عبد الناصر مؤكداً أن مرض النظام السياسى في مصر يرجع للشللية والمخ الدكتور فوزى إلى الشلل والمقصود بها مجموعات المصالح الصغيرة التي تتكون من نفس حروف مرض « الشلل » والتي يقصد منها العجز وكلاهما وصف لنفس المرض وتؤدي إحداها إلى الاخرى كنتيجة محتمة ومحقة .

وقد كانت الشلة التي ينتمى إليها سيد مرعى مكونة من خريجي كلية الزراعة عام ١٩٣٧ وكان الاشخاص القريبون من سيد مرعى حتى ولو لم يكونوا من أفراد الشلة يعرفون أفراد شلة مرعى بالإسم كما لو كان أفراد الشلة هم أفراد العائلة . وبسؤال القريبين من سيد مرعى لم يختلفوا حول أسماء أفراد الشلة .. ولكنهم اختلفوا فقط فيما يتعلق بمدى قرب أحد أفراد الشلة . من فرد آخر من أفرادها أو ما يعرف بالثنائيات داخل نطاق الشلة الواحدة

وقد كان مصطفى الفار زميل دراسة لأحمد مرعى والد « سيد » وعائلة الفار من عائلات كبار ملاك الاراضى بمحافظة كفر الشيخ وعلى هذا الأساس كان مصطفى الفار - الابن - يعرف عائلة مرعى جيداً قبل أن يلتقى بسيد مرعى بجامعة القاهرة . وخلال سنوات الجامعه الاربع حدث تقارب بين سيد مرعى ومصطفى الفار واصبحا صديقين حميمين . ولذلك لم ينقطع الاتصال بينهما حتى بعد التخرج . ويلتقيان مرة كل اسبوع على الاقل في القاهرة أو الاسكندرية أو كفر الأربعين .

وقد استفاد سيد مرعى كثيراً من اتصالات عائلة مصطفى الفار خلال مشواره السياسى حيث كان اثنان من عائلة الفار بمجلس الشيوخ وفردان آخرا من العائلة بمجلس النواب .

وكان محمد دسوقى الفار عم مصطفى هو أكثر افراد عائلة الفار لمعانا وكان ينتمى للسعديين مثل باقى افراد العائلة . وانتخب عضوا فى البرلمان فى الدورات ١٩٣٨ - ١٩٤٤ - ١٩٥٠ .

وقد قدم مصطفى الفار زميل الدراسة سيد مرعى لعمه السياسى المرموق الذى تخرج فى المدرسة الثانوية الزراعية فى دمنهور وانضم للحزب السعدى وشق طريقه حتى وصل إلى البرلمان حيث كان السعديون وقتها يشكلون الحكومات فى الفترة بين ١٩٤٥ - ١٩٤٩ .

وكان سيد مرعى وقتها مهندسا زراعيا حديث التخرج خاض الانتخابات لأول مرة فى حياته وأصبح عضوا فى اللجنة الزراعية البرلمانية ويريد أن يصنع لنفسه شهرة كخبير فنى متخصص فى قطاع الزراعة .. وكان محمد دسوقى الفار سعيداً بمساعدة سيد مرعى ودعمه لتحقيق هذا الهدف .

وقد قام محمد دسوقى الفار من خلال موقعه كرئيس للجنة الزراعية بمساعدة ودعم ابن أخيه « مصطفى » الذى كان يعمل بوزارة الزراعة .

والجدير بالذكر أن شقيق - حافظ عوض - أحد اعضاء شلة سيد مرعى هو الذى قام بتعيين مصطفى الفار بإدارة المسح بوزارة الزراعة حيث كان مديراً لهذه الإدارة .. وبعد ذلك بدأ مصطفى الفار يتتبع نجم عمه الصاعد من خلال البرلمان . وبدأ يجنى ثمار نجاح عمه . وفى عام ١٩٤٧ أصبح مصطفى الفار أصغر وكيل وزارة فى تاريخ وزارة الزراعة .

ويمكن القول إن عائلة الفار التى كانت تتمتع بنشاط سياسى ملحوظ فى العصر البائد - كما يطلقون عليه - قد عانت فى فترة التحول خلال حكم عبد الناصر حيث قامت سلطات الإصلاح الزراعى بالتحقيق مع اثنين من أفراد العائلة بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى عام ١٩٥٢ وتم مصادرة ٣٢٣ فدانا من ممتلكات العائلة بكفر الشيخ .

وقد حاول محمد دسوقى الفار أن ينقذ مستقبل العائلة السياسى عام ١٩٥٧ فقرر أن يخوض المعركة الانتخابية . ويبدو أن هذا الترشيح جاء ضد رغبة النظام الحاكم .

وكان النظام الحاكم الناصرى يرى أهمية نجاح عدد لا بأس به من الموالين له فتم ترشيح أحد اقارب محمد الجيار سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر ومترجمه الخاص واكتسح الانتخابات طبعاً .

والمثير أن مصطفى الفار - صديق سيد مرعى - قد قام بترشيح نفسه في الانتخابات النيابية عام ١٩٧٦ .. لكن يبدو أن نفوذ العائلة قد اضمحل وانكمش بدائرة دسوق بكفر الشيخ .

ورغم السنوات العجاف التي مرت بعائلة الفار في أعقاب تولى عبد الناصر السلطة الا أن مصطفى الفار لم يشعر بهذه السنوات العجاف والفضل في ذلك يرجع لوجوده في شلة خريجي كلية الزراعة حول سيد مرعى حيث تم انتدابه مستشارا لمرعى بوزارة الاصلاح الزراعى إلى جانب عمله بوزارة الزراعة والتي كان مرعى وزيرا لها أيضا .

بعد ذلك قام مرعى بتعيين مصطفى الفار رئيسا لمجلس إدارة بنك التنمية والائتمان الزراعى .. وعندما وصل مصطفى الفار لسن التقاعد أو المعاش عام ١٩٧٢ قام مرعى بتعيينه مستشارا بمنظمة الاغذية والزراعة .

وفي عام ١٩٧٤ أصبح سيد مرعى رئيسا لمجلس الشعب فقام بإلحاق الفار بوظيفة مستشار لجنة الزراعة بالمجلس .

وقد استطاع عضو آخر بشلة سيد مرعى وهو حافظ عوض أن يجنى هو الآخر ثمار النجاح ويستمتع بمشوار حياة عملية طيبة بفضل الشلة وآخرين .. وينتمى حافظ عوض لعائلة من عائلات ملاك الاراضى بمحافظة الدقهلية وكان كبير عائلة عوض من الاصدقاء المقربين أيضا لأحمد مرعى والد سيد مرعى . وقد التحق حافظ عوض بوظيفة مشابهة لوظيفة مصطفى الفار في نفس الادارة وهى إدارة المسح بوزارة الزراعة فور تخرجه في الجامعة وكان شقيق حافظ عوض مدير هذه الادارة .

وفي عام ١٩٥١ إنتقل حافظ لوزارة الشؤون الاجتماعية .. وصدق أو لا تصدق أنه بعد عامين فقط أصبح مديرا للجنة العليا للاصلاح الزراعى التي كان يرأسها سيد مرعى وتمت ترقية حافظ عوض عام ١٩٥٧ لمنصب مدير عام بوزارة الاصلاح الزراعى وبعد ذلك بعام واحد أصبح مديرا عاما للاصلاح الزراعى .

وكان مصير حافظ عوض مرتبطا بمصير سيد مرعى حيث طرد عوض من وزارة الاصلاح الزراعى في الاول من يناير عام ١٩٦٢ بعد خروج سيد مرعى من التشكيل الوزارى في اكتوبر عام ١٩٦١ .

وعلى الفور قام كمال رمزى استينو وزير التموين وأحد خريجي كلية الزراعة عام ١٩٢٤ بإعداد وظيفة لحافظ عوض كوكيل لوزارة التموين .

ثم عاد سيد مرعى مرة أخرى إلى الوظيفة السابقة كوزير للزراعة والاصلاح الزراعى فعرض على حافظ عوض أن يرد له وظيفته بوزارة الاصلاح الزراعى .. لكن

فضل عوض أن يظل في أمان بوزارة التموين حتى أحالته للتقاعد عام ١٩٧٥ بعيدا عن لعبة الكراسى الموسيقية .

وشواهد التاريخ تؤكد أن أغلب أفراد مرعى عايشوا مشوار حياتهم العملية في دواوين الحكومة .. الا أن اثنين من أعضاء الشلة قد فضلا ممارسة الاعمال الحرة وهما محمد سلماوى وحسين مراد .

وينتمى محمد سلماوى لعائلة من كبار ملاك الاراضى بدسوق بمحافظة كفر الشيخ .. وقد عمل كمستورد لطائرات رش المحاصيل الزراعية بالكيماويات .. وكانت هذه الطائرات تباع لوزارة الزراعة والاصلاح الزراعى .

ويعد حسين مراد عضو الشلة الوحيد الذى ينتمى لمجتمع مدينة القاهرة وكانت بداية معرفته بسيد مرعى خلال الدراسة بمدرسة فؤاد الاول الثانوية .

وقد بدأ مراد عمله عام ١٩٣٧ فى الجمعية الزراعية الملكية . وعمل بعد ذلك بعدة شركات زراعية قبل ان يعمل بشركة جاناكليس وهى شركة مصرية يونانية - تم تأسيسها فى بداية هذا القرن - وكانت تعمل فى البداية فى استصلاح اراضى غرب الدلتا وانتاج النبيذ من العنب الذى يزرع فى هذه المنطقة .

واصبح مراد نائبا لرئيس شركة جاناكليس بعد تأميمها فى اواخر الخمسينات - او وضعها تحت سيطرة وزارة الزراعة - والتى كان مرعى وزيرا لها فى ذلك الوقت . وفى عام ١٩٦١ وبعد خروج سيد مرعى من الوزارة تم القبض على حسين مراد وسجن لفترة وجيزة بتهمة إساءة استخدام المال العام بوزارتى الزراعة والاصلاح الزراعى ..

وقد بذل احمد مراد ضابط الجيش وشقيق « حسين » جهدا كبيرا لانقاذ أخيه - بعلاقته بالصفوة من الضباط اصحاب النفوذ . والمعروف ان احمد مراد كان معروفا وفى هذه الفترة كرئيس لنادى الجزيرة وهو المكان المفضل لتجمع الاعضاء القدامى والجدد للمجتمع الراقى .

ولا شك ان هوايات حسين مراد وباقى اعضاء الشلة قد زادت من تلاحم الشلة حيث تولى حسين مراد رئاسة نادى الفروسية المصرى فى بداية السبعينات فى الوقت الذى زاد فيه تألق سيد مرعى .

وفى نفس الوقت كان أمين زاهر - صديق سيد مرعى المقرب - لايزال رئيسا للمؤسسة الزراعية المصرية وهى الوكالة الحكومية المسئولة عن تربية الخيول العربية واستخراج شهادات النسب الخاصة بهذه الخيول .

ورغم أن أمين زاهر كان خبيرا فى الخيول الا انه كان العضو الوحيد من اعضاء الشلة الذى لم يكن مهندسا زراعيا . وقد توثقت الصلة بينه وبين سيد مرعى من خلال خبرته بالخيول حيث كان مرعى وزاهر وحسين مراد يملكون اسطبلات للخيول .

ويقضى عشاق الخيل الثلاثة مرعى وزاهر ومراد بعض وقتهم فى نادى السيارات .. (نادى السيارات الملكى سابقا) .. الذى يرأسه مصطفى الفار . وفى المناسبات يرتاد اعضاء الشلة النادى الثقافى والذى كان يعد صالونا ثقافيا فى عصر ما قبل الثورة .. وقد سدد هذا النادى ثمن شهرته غالبا حيث تم الاستيلاء على الجزء الاكبر من المقر الخاص به - وهى الفيلا المطلّة على النيل - نظرا لكراهية رجال الثورة لرموز العهد البائد .. وقد كان عضو الشلة حافظ عوض رئيسا للنادى الثقافى بالقاهرة لفترة طويلة .

وكانت الصفوة السياسية فى مصر تعرف اعضاء شلة سيد مرعى فردا فردا .. وعندما فقد سيد مرعى نفوذه عام ١٩٦١ قام مجموعة من ضباط مجتمع الصفوة السياسية وهم عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وعبد المحسن ابو النور وآخرون بالعمل على تقليص نفوذ سيد مرعى بإبعاد اعضاء الشلة عن وظائفهم .

وقد ذكرنا من قبل انه تم ايداع حسين مراد السجن وتم طرد حافظ عوض من وزارة الاصلاح الزراعى ولكنه تمكن من العمل بوزارة التموين . وبينما كان امين زاهر يعمل وكيلًا لوزارة الاصلاح الزراعى .. حيث عينه مرعى - الا انه فقد وظيفته وفى النهاية إلتقطه كمال رمزى استينو ليعمل بوزارة التموين بينما ترك القدر مصطفى الفار والذى كان وكيلًا للوزارة - ليلقى مصيره .. وبذلك اتضحت ابعاد الصورة التراجيدية التى تعكس قمة البؤس والشقاء عقب تولى عبد المحسن ابو النور منصب وزير الزراعة .

ويعد عزيز قدرى صهر سيد مرعى احد افراد الشلة وكان مديرا لشركة جوت بلبيس - وهى الشركة التى كانت عائلة مرعى تمتلك جزءا منها - والتى تم تأميمها حديثا .

وقد مر عزيز قدرى بلحظات قلق قبل العاصفة التى أطاحت به من منصبه كمدير للشركة .

ويمكن القول على أى حال إن هذه الشلة كانت أقوى من أى قوى أو نفوذ حاولت الاطاحة بها وتفكيكها نتيجة السياسات المتطرفة فى بداية ومنتصف الستينات فى مصر .

الفصل الثانى

الشلة السياسية

وقد تعرف سيد مرعى لاول مرة بالكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل عام ١٩٥٣ عن طريق الصحفى عبد النور والذى كان صديقا مشتركا لكل منهما حيث كان عبد النور يعمل مع هيكل فى مجلة اخر ساعة وكان عضوا بارزا فى حكومة السعديين فى نهاية الاربعينيات .

وكان يربط كلا من مرعى وهيكل الاعجاب المتبادل بذكاء ونشاط كل منهما خاصة ان الرجلين من ملاك الاراضى .. وكان يجمعهما عامل الطموح كمدنيين لهما هدف مشترك وهو اقتحام الحكومة التى يسيطر عليها العسكريون .

وقد كان هيكل كدينامو سياسى بلغ حد الكمال يرى ان سيد مرعى وامثاله من الشباب المدنيين يمكن ان يكون لهم دور فى هذه الحكومة كخبراء ونجح هيكل بالفعل فى ان يجمع هؤلاء المدنيين حوله والعمل كمتحدث باسمهم .

ونظرا لأن هيكل على دراية بطبيعة العسكريين الذين تحولوا لسياسيين فقد استطاع ان يقتحم اسوارهم ويضع نفسه فى موقع ظاهر واستراتيجى .

وكان سيد مرعى وغيره من اهل الخبرة من المدنيين فى اشد الحاجة لشخصية مثل هيكل لانه فى حد ذاته قناة جيدة للوصول لمجتمع الصفوة السياسية .

ويمكن القول ان هذا التحالف التكتيكى بين المدنيين قد اكتمل تماما عام ١٩٥٦ وذلك بتشكيل حكومة جديدة فى شهر يوليو من ذلك العام شارك فيها اربعة من التكنوقراطيين او اهل الخبرة من مجموعة هيكل لاول مرة حيث تولى سيد مرعى منصب وزير الدولة للاصلاح الزراعى وتولى عزيز صدقى وزارة الصناعة ومصطفى خليل وزارة المواصلات وعبد المنعم القيسونى وزارة المالية .

وبذلك تكونت نواة شلة المدنيين التى كان ينضم اليها من وقت لآخر اعضاء من مجتمع الصفوة السياسية امثال محمود فوزى وانور السادات واسماعيل فهمى .

وقد كانت هذه الشلة اكثر من مجرد تحالف سياسى تكتيكى حيث كان افرادها يلتقون بصفة منتظمة وكان لصدقى ومرعى وخليل صلات ترجع لايام الدراسة فى جامعة القاهرة وربطت الصداقة ايضا بين قرينتى صدقى ومرعى .

وكانت الاجازات الاسبوعية تربط بين افراد الشلة وعائلاتهم وضيوف آخرين سواء في مزرعة هيكل او مزرعة سيد مرعى المجاورتين لاهرامات الجيزة حيث يستمعون لام كلثوم او احد كبار المطربين او الموسيقيين وفي فصل الصيف تنتقل نفس الشلة للاسكندرية حيث يستأجرون كبائن متجاورة على البحر .

وكانت هذه الشلة تتبادل المصالح والمكاسب فيما بينها ومنها ان سيد مرعى قد عهد الى صديقه المقرب عادل الصيرفى - وهو المهندس الزراعى الثرى الذى عينه مرعى رئيسا للمؤسسة الزراعية المصرية . مهمة الاشراف على تطوير مزرعتى هيكل بالمنصورة .

وكان تبادل المصالح يشمل تغطية هيكل الصحفية لانشطة مرعى وصدقى فى جريدة الاهرام ووضع صفحات جريدة الاهرام تحت تصرفهما فى أى وقت حتى فى حالة عدم توليها لمناسب وزاوية .

ونظرا لقرب هيكل من عبد الناصر أصبح من اليسير عليه ان يمد افراد الشلة بمعلومات خاصة وحيوية لايعرفها غيره مع تقديم نصيحته وخبرته التى لها نفع كبير لهؤلاء المدنيين المتربصين والمتعطشين للسلطة .

لكن ذلك لاينفى ان الطموح والمنافسة والصراعات من الامور التى كادت تطيح بالشلة وتمزقها اربا حيث كان هناك شروع فى صدام وتوتر فى العلاقات بين مصطفى خليل وعزيز صدقى حيث انهما مهندسان والتنافس بينهما امر وارد وقائم .

وفى عام ١٩٦٤ شن مصطفى خليل نائب رئيس الوزراء ووزير المواصلات حملة انتقادات ضد سياسات صدقى فى قطاع التصنيع . وقد حدث نفس الشئ بين عزيز صدقى وسيد مرعى حين وضعهما السادات فى الحكومة فى موقعين متنافسين . وحدث صراع آخر بين مرعى والقيسونى حول السياسات الاقتصادية .

وفى الوقت الذى استمرت فيه اتصالات مرعى بهيكل كانت الشلة تتعرض لعوامل التفكك بفعل الصراعات . ولكن الشئ الذى لم يكن فى الحسبان هوالصدام بين السادات وهيكل .

وقد حاول سيد مرعى ان يجد حلولا وسطا لإحداث تقارب بين السادات وهيكل . وقد كان سيد مرعى مدينا بالولاء لكل منهما الا انه اجبر على الوقوف فى صف السادات .

وأصبحت الظروف او مجريات الأمور على ادق تعبير تقتضى حلا مؤلما - يعرفه كل السياسيين جيدا - وهو ان يقطع سيد مرعى اتصالاته بهيكل .. وقد حرص مرعى

على ذلك بالفعل منذ عام ١٩٧٧ الا انه كان يلتقى بهيكل لقاءات عابرة بمحض الصدفة على شاطئ الاسكندرية حيث كان يجمعهما الحوار الممتع والشيق والقصير في نفس الوقت .

وبذلك سقطت آخر روابط شلة المدنيين التي تكونت في منتصف الخمسينات ضحية الظروف السياسية المتغيرة في عصر السادات .

ويمكن التأكيد على ان رجال الصفوة السياسية يضعون كثيرا من العراقيل والمطبات الصناعية والابراج العالية امام طموح أى مجموعة تريد تكوين شلة ثابتة لا تتغير حول الرئيس .. وامام الطموحات التي تتعدى الحدود يقوم الرئيس في الغالب بوضع حدود لمؤوسيه حتى يتمكن من الهيمنة على جميع من حوله .

ويمكن القول إن طموح رجال القمة او هؤلاء الرجال حول الرئيس يقابله ويقف له بالمرصاد حقيقة واقعة وهى حرص الرئيس على الاتصال بمجموعات مختلفة مما يمنع تكوين شلة لا تتغير حول الرئيس .

وعلى ذلك كان هناك تغيير مستمر في افراد حاشية الرئيس السادات وكان هناك تغيير أيضا في علاقات الافراد بعضهم ببعض أسرع كثيرا من المتغيرات التي تحدث في نطاق الشلة التقليدية فيصبح البعيد عن مركز الدائرة او الرئيس قريبا جدا بين يوم وليلة .

وقد كان سيد مرعى مثل باقى افراد الحاشية - ومنهم عثمان أحمد عثمان و مصطفى خليل ومشهور احمد مشهور ومنصور حسن - ينعمون أحيانا بدفء القرب من الرئيس .. وأحيانا تكون المسافة بينهم وبين الرئيس عدة مئات وأحيانا آلاف من الكيلو مترات وفقا لما تقتضيه السياسة .

وحتى لا نعيش في الخيال والرومانسية علينا ان نعرف ان الشلل امر واقع وحتمى ومصيرى حيث تؤثر تأثيرا مباشرا على مستقبل السياسيين من أعضاء هذه الشلة .. واذا كنت تريد ان تعيش الواقعية بكل أبعادها عليك ان تعرف انه من النادر ان ينجح أى سياسى في غياب هذه الشلة .

الفصل الثالث

التبعية السياسية

وهناك نمط آخر يشبه نمط « الشللية » ويطلق عليه « التبعية السياسية » .. ويتكون هذا النمط من مجموعة من الافراد المتساوين وبينهم شخص اكثر نفوذا وبريقا ولذلك يدور هؤلاء الافراد في فلك صاحب النفوذ .. ويمكن اعتبار هؤلاء الاتباع الحاشية الخاصة برجال الصفوة السياسية .

وقد كان نمط التبعية السياسية منتشرا في عصر عبد الناصر .. وكان مجدى حسنين - على سبيل المثال - يشكل في حد ذاته دولة داخل دولة في مديرية التحرير . وكان عبد الحكيم عامر يفعل نفس الشيء في القوات المسلحة . بينما حول على صبرى الاتحاد الاشتراكي العربى لعزبة خاصة به . وقد فعل سيد مرعى نفس الشيء بالاستعانة برجاله المخلصين في المؤسسات الحكومية بقطاع الزراعة .

وعندما تم تعيين سيد مرعى رئيسا للجنة العليا للاصلاح الزراعى قام على الفور بتعيين بعض افراد شلة كلية الزراعة بهذه اللجنة . وقام ايضا بتعيين افراد آخرين لا تربطه بهم اى علاقات اجتماعية .

وقد أصبح عدد كبير من هؤلاء الموظفين رجالا مخلصين له مع انه لم يكن لاحد منهم الحق ان يحاول تكوين علاقة قوية مع رئيس اللجنة او ان يكون قريبا من الرئيس مثل اعضاء شلة الجامعة مثلا .

وكان المهندس سعد هجرس احد رجال سيد مرعى . وكانت بداية مشوار سعد هجرس حين قامت حكومة الوفد عام ١٩٥٠ بتبنى برنامج لتوزيع ستة الاف فدان على الفلاحين المعدمين تحت اشراف وزارة الشؤون الاجتماعية .

وقد استفاد سعد هجرس من المنحة الدراسية - التى قدمتها الامم المتحدة - والخاصة بدراسة نظم توزيع الاراضى فى اوروبا ولذلك عين مستشارا فنيا لرئيس هذا المشروع .

وتعرف سيد مرعى على سعد هجرس من خلال نقابة الزراعيين وعرض عليه وظيفة باللجنة العليا للاصلاح الزراعى .

وحاول عباس عمار وزير الشئون الاجتماعية وقتها ان يكون له ولوزارته دور في الاصلاح الزراعى فحاول وقف نقل سعد هجرس من وزارة الشئون .

وقد كان لسيد مرعى علاقات افضل برجال الصفوة من العسكريين تفوق بكثير علاقات عباس عمار .. ولذلك تمكن من نقل هجرس ومعه اثنان من افضل الخبراء الفنيين وهما محمود فوزى وعزت صقر من ادارة توزيع الاراضى بوزارة الشئون الاجتماعية .. واصبح الثلاثة من رجال سيد مرعى - الذين يعتمدون في ترقيةاتهم - على تألق نجم سيد مرعى في مجتمع الصفوة . وعمل سعد هجرس كوكيل لادارة توزيع الاراضى باللجنة العليا للاصلاح الزراعى في الفترة ما بين ١٩٥٢ - ١٩٥٦ . وتم ترقيته الى وظيفة السكرتير الفنى لوزارة الاصلاح الزراعى في هذه الفترة . وفى عام ١٩٦٠ أصبح مديرا عاما لهيئة الاصلاح الزراعى - وهى وظيفة - تم فصله منها مباشرة في اعقاب سقوط اسم سيد مرعى من التشكيل الوزارى في اكتوبر عام ١٩٦١ .

وبعد ذلك بسنة واحدة قام سيد مرعى باتصالات مع منظمة الاغذية والزراعة لترتيب وظيفة لسعد هجرس كمستشار للمنظمة في نيجيريا .

وفى عام ١٩٦٣ قام سيد مرعى باعادة حليفه سعد هجرس الى مصر للمشاركة في مشروع تحسين الاراضى في محافظتى المنوفية والمنيا وهى مهمة كلف بها مرعى عن طريق جمال عبد الناصر . وربما يكون اسناد هذه المهمة لسيد مرعى احد وسائل جمال عبد الناصر لإحداث توازن في القوى مع مجموعة على صبرى وعبد المحسن ابو النور في قطاع الزراعة .

وقد عمل على صبرى وعبد المحسن ابو النور وزير الزراعة على تخريب هذا المشروع بحبس ومنع التمويل اللازم له .. وبذلك تسبب سيد مرعى في وقوع هجرس في ورطة كبيرة حيث بدأت شخصيه سعد هجرس تستحوذ على اهتمام عبد الناصر باعتبار انه خير لا يؤدى اى عمل .

وقام عبد الناصر على الفور بنقل هجرس لشغل منصب وكيل وزارة التخطيط للشئون الزراعية .. وبتعيين هجرس في هذه الوظيفة اصبح في امكان عبد الناصر ان يراقب لبیب شقير وزير التخطيط واحد التابعين لعلی صبرى .

وبدا هجرس من خلال عمله بوزارة التخطيط حملة شرسة ضد عبد المحسن ابو النور وزير الزراعة والاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى خاصة فيما يتعلق بخططه الطموحة جدا لاستصلاح الاراضى .

وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ عاد سيد مرعى الى الحكومة . وعلى الفور عرض منصب رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة للإصلاح الزراعى على حافظ عوض صديقه في شلة الجامعة . ولكنه رفض على اعتبار ان قبول هذا المنصب مخاطرة كبرى .

وقبل سعد هجرس العودة لمنصبه حيث يشكل هذا المنصب عزبة خاصة بالنسبة له يديرها بمعرفته . وفي ظل حماية مرعى بدا هجرس يكتف اتصالاته في وزارة الزراعة والتي كان يشغل فيها منصب وكيل الوزارة لسنوات طويلة .

ولكن بدأت علاقات الولاء تتحطم نتيجة طموح سعد هجرس والتي استغلها اعداء سيد مرعى افضل استغلال حيث قام هجرس بترشيح نفسه عضوا بمجلس الشعب بدائرة بلقاس - مسقط رأس عائلته - بمحافظة الدقهلية وفاز بالاغلبية الساحقة .

وبالرغم من ان سعد هجرس أصبح عضوا بمجلس الشعب للمرة الاولى - الا انه وبمساندة ودعم ممدوح سالم رئيس الوزراء وعدو سيد مرعى اللدود - أصبح رئيسا للجنة الزراعة وهي اكبر لجنة بمجلس الشعب .

وخلال العامين ١٩٧٦ - ١٩٧٧ كان ممدوح سالم يساند سعد هجرس الذى احرز تقدما على عدة جبهات حيث أصبح احد نواب رئيس الحزب الوسط وتم انتخابه رئيسا لنقابة الزراعيين ورئيسا لنقابة الزراعيين العرب .

وفي نهاية عام ١٩٧٧ بدأ هجرس حملته الانتخابية لمنصب وكيل مجلس الشعب . ولكن سيد مرعى كان يشغل وقتها منصب رئيس المجلس .. ونظرا لتزايد نفوذ سعد هجرس مع ممدوح سالم - قرر سيد مرعى مساندة جمال العطيفى الذى فاز فى الانتخابات واصبح وكيلا للمجلس .

وبدأ سيد مرعى حملة شرسة ضد سعد هجرس خلال الجلسة التالية لانتخاب العطيفى وكيلا للمجلس .. وظهر التأثير المباشر لهذه الحملة بين اعضاء المجلس حيث بدأ هؤلاء الاعضاء يتهامون بان منصب سعد هجرس كوكيل لوزارة الزراعة يتعارض مع منصبه كرئيس للجنة الزراعة بمجلس الشعب .

وببساطة يمكن القول إن علاقة سيد مرعى بسعد كانت علاقة الوسيلة للوصول للغاية حيث كان مرعى يقوم بحماية سعد هجرس ودفعه للامام عندما تكون الظروف ملائمة - فى مقابل - دعم سعد هجرس له سياسيا ووظيفيا داخل قطاع الزراعة . ويمكن القول بأن العلاقة بين مرعى وسعد هجرس ينقصها روابط الولاء والانتماء والاخلاص التى تتميز بها الشلة .. وتؤكد الوقائع ان سعد هجرس لم يحضر أبدا اجتماعات وجلسات الشلة فى مزرعة سيد مرعى بالمنصورة .

وببساطة اكثر يمكن الحكم على علاقة مرعى وهجرس بانها علاقة وظيفية . وهى علاقة تظل قائمة طالما كان كل منهما فى حاجة للآخر .

وقد حدث تغير فى العلاقة بين مرعى وهجرس نتيجة لعاملين - فى نهاية عقد السبعينات - أولهما ان سعد هجرس كان قد وصل الى أعلى مستوى يمكن ان يصل

اليه بعلاقته بسيد مرعى .. كما ان نفوذ سيد مرعى وقتها كان قد بدأ يقل ويضمحل مما جعل هجرس يبحث عن روابط وعلاقات جديدة تحقق له مزيدا من النجاح .
والعامل الثانى هو تغير بناء ونسيج مجتمع الصفوة السياسية ذاته .
والتطورات التى تلاحقت فى الاقتصاد السياسى للدولة ككل حيث بدأت اسهم القطاع العام تتراجع وبدأ يفقد أهميته بعد حرب ١٩٧٣ وبدأت تلوح فى الافق فرص جديدة للعمل بالقطاع الخاص مما ادى الى زيادة عدد اعضاء وافراد مجتمع الصفوة .
واصبح على رجال الاقتصاد الموجه ان يفسحوا الطريق لنظام جديد تتاح فيه الفرص وهو القطاع الخاص .

وقد كان لشبكة المؤيدين والتابعين قيمة كبيرة ، فى ظل النظام المركزى الناصرى - ومثال ذلك شبكة التابعين التى كان يملكها عبد الحكيم عامر .
وفى الظروف الحالية يصعب تكوين شبكة من الاتباع لان القطاع العام لم يعد يتحكم الا فى نسبة ضئيلة من الاقتصاد القومى .

وقد كان سيد مرعى يرتبط بسعد هجرس كما كان يرتبط بغيره . وهى روابط فقدت قيمتها او نفعا لان القطاع الزراعى لم يعد مطعما فى حد ذاته حيث قلت وتناقصت الفرص والمغانم الاقتصادية والسياسية التى يمكن الحصول عليها من هذا القطاع .

ولم يكن سيد مرعى حريصا على استمرار علاقته بسعد هجرس وآخرين ..
وبدأ يبحث عن علاقات وفرص جديدة من خلال عائلته واتصالاتها بمحافظة الشرقية
والتي بدأت تطفو على السطح مرة اخرى كشبكة لها قيمتها فى مجتمع الصفوة السياسية والاقتصادية .

**العائلة في دنيا
المال والتجارة**

الفصل الأول

قائمة كبار ملاك الأراضي

عندما صدر قانون الإصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ تم اعداد قائمة بجميع ملاك الاراضى الزراعية الذين تعدوا الحد الاقصى للملكية المسموح به فى القانون . ولم يظهر فى هذه القائمة من عائلة مرعى سوى اسمين فقط الاول « أمين » نجل حسين مرعى و « على » نجل فوزى مرعى حيث كان « أمين » يمتلك ١٥٠ فداناً فى الزقازيق و ٥٠ فداناً فى بلبيس .

ومن واقع المعلومات التى تم الحصول عليها من افراد أسرة مرعى نفسها ومن أشخاص آخرين وثيقى الصلة بالعائلة تبين أن قانون الإصلاح الزراعى الثانى الذى صدر عام ١٩٦١ ولم يكن سيد مرعى وقتها فى وضع يمكنه فيه التصرف - مما أدى لظهور أسماء من عائلة مرعى واسم واحد من عائلة نصر فى قائمة الإصلاح الزراعى . وقد يكون القانون الثانى للإصلاح الزراعى ينص على أن الحد الأعلى للملكية الفرد مائة فدان بالإضافة إلى مائة فدان أخرى للأبناء .

وكان « حسين » والد زوجة سيد مرعى واثنان من بناته سميرة وسميحة ضمن أسماء عائلة مرعى التى تضمنتها قائمة الإصلاح الزراعى وقد تم اغفال اسم « سعاد » زوجة سيد مرعى والاخت الثالثة من القائمة وربما تم حذف اسمها لأنها قامت بتحويل ممتلكاتها باسماء أبنائها بينما لم تفعل أختها ذلك .

وظهر اسم « عبد العزيز » عم سعاد فى قائمة الإصلاح الزراعى عام ١٩٦١ وفقد ٥٧ فداناً بينما فقد « حسن » والد سعاد ٣٩ فداناً .

وكان على « أمين مرعى » أن يذعن للتحذيرات ويتخلص من ممتلكاته الزراعية بطريقة أو بأخرى ولكنه لم يفعل ذلك ولذلك ظهر اسمه مرة ثانية فى قائمة عام ١٩٦١ وبذلك يكون قد تم تطبيق قانون الإصلاح الزراعى على « أمين مرعى » .

والوقائع تؤكد أن سيد مرعى قد تعرض لاستياء وغضب أفراد الأسرة « أمين » و « حسن » و « عبد العزيز » الذين وجهوا له كثيراً من اللوم لأنه لم ينبههم لهذا الخطر القريب .

وقد شعر « حسن » على وجه الخصوص انه قد غرر به حيث سأل سيد مرعى قبل ساعات فقط من اذاعة بيان القانون الجديد في الاذاعة عن حقيقة اعداد قانون جديد للإصلاح الزراعى لكن سيد مرعى تهرب من الاجابة على هذا السؤال ! .

وبالرغم من أن عائلة مرعى لم تفقد أكثر من ١٢٥ فدانا على مدى قانون الإصلاح الزراعى ١٩٥٢ - ١٩٦١ في فترة حكم عبد الناصر إلا أن هذه الخسائر أدت إلى شروخ في نفوس أفرادها لكن يبدو أن خسائر فقد الأراضى لم تكن هي كل المشكلة حيث كان هناك تهديد آخر تبدو آثاره في الساحة وهو تحول دفة السياسة جهة اليسار منذ منتصف الستينيات وكان سيد مرعى حامى قلاع العائلة وقتها على الرف أو خارج السلطة بعد صراع مع رجال الصفوة .

وفي شهر مايو عام ١٩٦٦ تم تأسيس لجنة تصفية الإقطاع مما يعنى ابتلاع مساحات جديدة من الأراضى الأمر الذى أثار الرعب في قلوب أفراد العائلة . ويسجل المؤلف الأمريكى إجتماعات العائلة في ساعات الليل المتأخرة وكان سيد مرعى ومعه قيادات العائلة خلال هذه الساعات الطويلة يحددون ممتلكاتهم في محافظات الشرقية والقليوبية والمنوفية على الخرائط المساحية لسرعة التخلص من هذه المساحات بالبيع أو بأى وسيلة أخرى قبل أن تسطو عليها لجنة تصفية الإقطاع . ولكن تتغير الدنيا بين يوم وليلة في أعقاب هزيمة عام ١٩٦٧ وانشغال المشير عبد الحكيم عامر رئيس لجنة تصفية الإقطاع في تفادى الكارثة الكبرى ثم اختفائه من الساحة بموته .

ومع ذلك قررت العائلة التخلص بالبيع من بعض ممتلكاتها الزراعية وتم التركيز على بيع ممتلكات الافراد الذين ظهرت أسماؤهم في قائمة الإصلاح الزراعى عام ١٩٦١ .

وعندما تولى سيد مرعى رئاسة اللجنة العليا للإصلاح الزراعى والتي كان يشرف عليها الرئيس بنفسه قام بتعيين « عزيز قدرى » عديله مديراً للابحاث بهذه اللجنة وبعد ذلك بزمان قصير قام بترقيته سكرتيراً عاماً للجنة وفي عام ١٩٥٦ تم تحويل اللجنة إلى وزارة ولم تعد تصرف مرتبات وحوافز مجزية لموظفيها فلم يعد امام عزيز قدرى إلا أن يترك وظيفته .

وحصل عزيز قدرى على وظيفة أخرى افضل حيث تم تعيينه رئيساً لمجلس ادارة اكبر شركة للجوت في مصر والتي أسسها أفراد عائلة مرعى مع بعض الأصدقاء المقربين .

وأصبحت شركة الجوت المورد الرئيسى للاكياس والعبوات لجمعيات الإصلاح الزراعى والتي كان سيد مرعى - رئيساً لها .

وبعد ذلك بعام واحد قام قدرى بنقل أعمال الشركة من شبرا الخيمة بالقاهرة إلى بلبس بالشرقية حيث توجد ممتلكات العائلة من الاراضى الزراعية .

وبذلك يكون « عزيز قدرى » قد استفاد من سيد مرعى عن طريقين أولهما الاستفادة بموقعه الحكومى وما يمكن أن يقدمه من خلال هذا الموقع من وظائف ثانيهما الاستفادة بما يتيح سيد مرعى من استثمارات .

ولكن باتجاه عبد الناصر نحو التصنيع وتأميم الشركات لم يعد فى إمكان أى شخص أن يتحكم ويسيطر على قطاع بعينه .

وقد تم تأميم شركات الجوت عام ١٩٦١ فقام عزيز صدقى وزير الصناعة واحد حلفاء سيد مرعى وقتها بالابقاء على عزيز قدرى مديراً للشركة وهى وظيفة ظل يشغلها حتى أحيل للمعاش فى بداية السبعينيات .

وفى أعقاب استيلاء العسكريين على السلطة فى مصر وقبل أن تبدأ حكومة عبد الناصر تجاربها البيزنطية كان يمكن لسيد مرعى أن يرأس اللجنة العليا للإصلاح الزراعى ويؤدى بعض أعمال خاصة أخرى من خلال شركات أخرى يعمل بعضها فى مجال مستلزمات الانتاج الزراعى مثل الأسمدة والمبيدات والائتمان كالفرع المصرى لشركة شل وشركة ابوزعبل الزراعية وبنك مصر وكانت عضوية هذه المؤسسات تحقق لسيد مرعى دخلاً سنوياً قدره ١٥ ألف جنيه علاوة على ذلك كان يعمل على مضاعفة مرتبه من وظيفته كرئيس للجنة الإصلاح الزراعى وكذلك مرتبات العاملين باللجنة لتحقيق أجور مجزية للاقارب .

وقد تم تعيين أحمد مرعى زوج أخت سيد مرعى فى وظيفة بشركة ابوزعبل ظل بها حتى أحيل للمعاش .

وبعد أن فقد « حسن » شقيق سيد مرعى منصبه كوزير للاقتصاد والصناعة عام ١٩٥٤ تم إنشاء مكتب استشارى له يقدم المشورة والخبرة لشركة الجوت التى تملكها العائلة ويديرها «عزيز قدرى» .

ويمكن القول إن عائلة مرعى التى انتعشت بعد تطبيق سياسة الانفتاح قد ركزت جهودها خلال فترة حكم عبد الناصر لخدمة مصالح افرادها عن طريق مبدأ «الواسطة» السائد وقد كان «الواسطة» هو عزيز صدقى للابقاء على عزيز قدرى مديراً لشركة الجوت بعد التأميم .

الفصل الثانى

الاستثمارات فى المدينة

وقد واجه سيد مرعى تحد آخر فيما يتعلق بممتلكات بعض افراد العائلة فى الزقازيق حيث كان هناك تهديد بفقد هذه الاراضى فى بداية عام ١٩٧٠ لانشاء جامعة الزقازيق وقد استفاد سيد مرعى من بطء الإجراءات الحكومية فى رفع سعر هذه الاراضى وبالطبع كان الامتنان والعرفان بالجميل والشكر هو المقابل الذى حصل عليه نظير جهوده فى انقاذ بعض افراد العائلة من هذه الورطة .

والشئ المؤكد أن العائلة ليست مؤسسة مالية وانما يمكن القول إن العائلة شبكة اتصالات تحقق لافرادها المكاسب .

وقد شق أفراد العائلة الذين لا يعملون بالزراعة طريقهم من خلال الجهد والعرق أو من خلال استثماراتهم والواقع يؤكد أن عائلة مرعى لاتمتلك بكامل افرادها شركة لامداد افرادها بالوظائف .

ويمتلك سيد مرعى نفسه عدة شركات صغيرة بالاضافة لمجموعة من الخيول العربية والتي يشرف عليها « نصر مرعى » نجل سيد مرعى ويقدر عدد المهور العربية الأصيلة التى يملكها بنحو ٤٢ مهورا عربيا أصيلا باع ثلاثة منها للمربين فى أوروبا والولايات المتحدة وفقا لاحصائيات الخيول العربية فى مصر فى الفترة بين ١٩٧١ - ١٩٧٥ .

ويعد اسطبل « البادية » الخاص بالمهور العربية والذى يملكه سيد مرعى واحدا من أكبر اسطبلات الخيول فى مصر .. ويحقق للعائلة عائدا محترما خاصة فى ظل زيادة الطلب على شراء المهور العربية الاصيلية وزيادة اسعارها . والجدير بالذكر أن ممتلكات سيد مرعى فى القاهرة والدلتا كانت هدفا للارهابيين من معارضى النظام فى نهاية عقد السبعينيات .

وقد نشرت جريدة « السفير » اللبنانية فى عددها الصادر بتاريخ ١١ يوليه عام ١٩٧٩ تصريحاً لتنظيم معارض لحكم السادات يطلق عليه « الضامرون » يعلن فيه عن مسئوليته عن الحريق الذى شب بمنطقة شبرا الخيمة .

والجدير بالذكر أن سيد مرعى يمتلك ثلاثة مصانع للنسيج بشبرا الخيمة وقد دمرتهم النيران وأدت لوفاة ١١ شخصا .

وفي مايو عام ١٩٧٦ شب حريق بمزرعة سيد مرعى بالحرانية وذكر تقرير الشرطة انه ربما يرجع « للعب الأطفال بالكبريت » .

ويركز أفراد العائلة نشاطهم في ميادين بعينها خاصة الزراعة والطب وطبعا لا يمنع ذلك من أن يعمل أحد أفراد العائلة كوسيط لتعيين أحد أفراد العائلة في وظيفة ما أو تحقيق مكاسب لذوى القربى عن طريق أصحاب النفوذ ورجال الأعمال . ويمكن لفرد من العائلة أن يحقق مكاسب لفرد آخر بالعائلة دون اللجوء للغرباء وقد حدث بالفعل عندما قام الدكتور عبد العزيز مرعى عميد كلية الاقتصاد في وقت ما بتعيين الدكتور « أمين عبد اللاه » زوج « بهية » ابنة عمته في منصب بنفس الكلية . وقام صديق وحليف آخر هو مصطفى خليل وكان يشغل منصب وزير الصناعة ايضا بانقاذ « مرعى » شقيق سيد مرعى بالابقاء عليه رئيسا لمجلس ادارة الشركة القومية للورق بالاسكندرية بعد تأميمها عام ١٩٦١ بعد ذلك بخمس سنوات تم تعيينه رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة الكيماويات التى تشرف على كل الشركات الوطنية التى تعمل في هذا المجال .

وفي عام ١٩٦٨ عاد « عمر عبد الرحمن » نجل « عايدة مرعى » من بريطانيا بعد حصوله على زمالة كلية الجراحين الملكية الانجليزية وعلم ان وظيفة طبيب جريدة الاهرام شاغرة فقام بالاتصال بعمه سيد مرعى الذى صاحبه لمكتب الصديق محمد حسنين هيكل ومازال الدكتور عمر عبد الرحمن يشغل الوظيفة للآن ويقوم باحالة المرضى الذين يحتاجون لأخصائيين إلى عيادة الدكتور « محمد » ابن خالته أو الدكتور « قاصرى مدور » زوج أخته .

والشئ الذى لا يمكن تجاهله أن مبدأ « الواسطة » هو مفتاح النجاح الاقتصادى فى ظل المذهب الاشتراكى حيث تسيطر الدولة على وسائل الانتاج وتصبح فى ايدى قلة من الصفوة ولا شك ان عائلة مرعى مثل عائلات أخرى استطاعت ان تحول نفوذ العائلة إلى عملة أخرى يطلبها كل الناس .

ان عائلة مرعى شأنها شأن عائلات أخرى من كبار ملاك الاراضى الزراعية كان لها دور فى الحياة السياسية والاقتصادية قبل يولى عام ١٩٥٢ ثم استمرت فى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية خلال عصر عبد الناصر .

لقد كان الحال يسير على نفس المنوال مع عائلة مرعى حتى أعلن السادات البدء فى تنفيذ سياسة الانفتاح الاقتصادى فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٢ وهى سياسة تعنى فى المقام الأول تشجيع القطاع الخاص بصفة عامة مشابهة للظروف الاقتصادية قبل عام ١٩٥٢ .

الفصل الثالث

إقحام عالم البنوك

وبدأت عائلة مرعى تعمل على تعديل استراتيجيتها بما يتفق مع المتغيرات الجديدة على الساحة وقد بدأ عمر مرعى يبنى ثمار الانفتاح بعلاقته الممتازة بالسعوديين بشغل منصب رئيس مجلس ادارة بنك فيصل الإسلامى وبدأ يبحث عن طاقم كامل يعمل معه حتى انه ألحق احد الارقاب وهو « احمد نصير » البالغ من العمر ٧٠ عاما مستشارا بالبنك مع الوضع فى الاعتبار ان احمد نصير قد نشأ مع عمر مرعى فى بيت احمد مرعى وزوجته الثانية نبوية ووالدة عمر .

وقد قام سيد مرعى بدعم احمد اصداقاء العائلة ليشغل منصب رئيس مجلس ادارة شركة سيبا جيجى وهى اكبر شركة منتجة للكيماويات الزراعية فى مصر وقد ألحق هذا الصديق نصر نجل سيد مرعى بوظيفة كبير مستشارى الشركة فى منطقة الخليج للاشراف على توسعات الشركة بهذه المنطقة كما قام صديق العائلة ايضا باتاحة وظيفة اخرى لحسن نجل سيد مرعى الاصغر وهى الاشراف على انتاج وتسويق معجون اسنان جديد من انتاج الشركة .

وفى عام ١٩٧٤ أصبح « مرعى » شقيق سيد مرعى مسئولا عن العلاقات الاقتصادية بين مصر وإيران .

ومن خلال هذه الوظيفة قام بالاعداد لاستيراد أسطول من أتوبيسات النقل العام من طراز مرسيدس والتي تم تجميعها فى إيران للاستعمال فى القاهرة عن طريق هيئة النقل العام .

وقد اتهم المسئولون عن صفقة الأتوبيسات الإيرانية بالفساد والرشوة خاصة بعد ان تبين ان ثمن الاتوبيس الذى تم تجميعه فى إيران يفوق بكثير سعر الاتوبيس الالمانى من إنتاج شركة مرسيدس نفسها .. وقد حاول زعماء المعارضه « حلمى مراد » و « محمود القاضى » إثارة موضوع الرشوة فى مجلس الشعب .. الا ان انصار سيد مرعى رئيس مجلس الشعب وقتها نجحوا فى اسكات هذه الأصوات .

والشئء المؤكد ان لعائلة مرعى علاقة ما بالبنوك والمؤسسات المالية ترجع لعام ١٩٣٢ عندما عمل احمد نصير ابن عم سيد مرعى بوظيفة إدارية ببنك الائتمان الزراعى والذى أسسه إسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء فى ذلك الوقت فى عام ١٩٣١ وذلك لتخفيف حدة الازمة المالية الطاحنة التى تعرض لها ملاك الاراضى الزراعية فى مصر خلال سنوات الكساد التى سادت العالم .. والمعروف ان احمد نصير كان قد تزوج ابنة إسماعيل صدقى باشا عام ١٩٣١ .

وقد كان هذا البنك تحت إشراف وزارة المالية ثم تغير اسمه إلى بنك التعاون الزراعى ليكون تحت إشراف وزارة الإصلاح الزراعى بعد ذلك ليصبح تحت سيطرة سيد مرعى وأصبح شقيقه « عمر مرعى » رئيسا لمجلس إدارة البنك المصرى العربى .. وقد فقد « عمر » هذه الوظيفة بعد خروج أخيه سيد مرعى من الوزارة بشهور قليلة فى عام ١٩٦١ .

وفى شهر مارس ١٩٦٣ عاد سيد مرعى مرة ثانية إلى الحياة العامة بصدر قرار جمهورى بتعيينه عضوا بمجلس إدارة بنك مصر . أى بعد ١٨ شهرا من العزلة السياسية .

وفى عصر الرئيس السادات أصبح الباب إلى البنوك مفتوحا على مصراعيه أمام عائلة مرعى حيث شغل « حسن » نجل سيد مرعى أول وظيفة له بعد تخرجه فى الجامعة الأمريكية بالبنك العربى الأمريكى فى بداية السبعينيات .. كما احتل « عمر » شقيق سيد مرعى موقعه بلا منافس - طبعا - رئيسا لبنك فيصل الإسلامى .

والشئء المؤكد أن العائلة عامل مهم جدا لأفرادها حيث يحصل عضو العائلة على وظيفة - بالطريق المباشر - من فرد آخر بالعائلة .. أو بالطريق غير المباشر عن طريق الاتصالات أو ما يعرف باسم « الواسطة » .. أى أن العائلة هى الملجأ الأول لأى فرد من أفرادها وهو يبحث عن الوظيفة .

خبير زراعي
في بداية عصر
عبد الناصر

الفصل الأول

الطريق للجنة العليا لإصلاح الزراعي

في يوم ٢٣ يولييه ١٩٥٢ عرف سيد مرعى بقيام الثورة عن طريق بيان الإذاعة الذى تلاه أنور السادات . وقد كان سعيداً حين عرف ان زكريا محيى الدين ضمن الضباط الأحرار وذلك لوجود صلة مصاهرة بين العائلتين رغم أن سيد مرعى لم تكن تربطه أى صداقة بزكريا محيى الدين .

وكان سيد مرعى وقتها يشعر بالقلق فهو لا يعرف ماذا فى ظل المتغيرات الجديدة ؟ .. ولم يكن أمامه إلا تكثيف نشاطه بين رجال الأحزاب الذين يمثلون العصر البائد .

وقد أصدر حزب الوفد بيانا يوم ٢٩ يولييه أى بعد ستة أيام من قيام الثورة أعلن فيه أن الحزب سيقوم بتطهير صفوفه بناء على رغبة الحكام الجدد . وقام مصطفى النحاس باشا رئيس الحزب بإجراء اتصالاته مع الضباط من خلال عيسى سراج الدين ابن عم فؤاد سراج الدين والتقى باللواء محمد نجيب وجمال عبد الناصر وثلاثة آخرين من أعضاء حركة الضباط .

وكان سيد مرعى يخشى وقتها ان تؤدي الاتصالات الى تحالف الضباط مع حزب الوفد .. بينما كان هناك شعور بالتفاؤل يسود قيادات الصف الثانى من مختلف الأحزاب السياسية لاعتقادهم انه قد جاء دورهم ليحلوا محل القيادات العليا لهذه الأحزاب بناء على أوامر الضباط بتطهير الصفوف .

وفى أول لقاء بين ممثلى الحزب السعدى وبينهم سيد مرعى وأعضاء مجلس قيادة الثورة كان الحديث أيضا عن تطهير الصفوف - وعندما نقل أعضاء الوفد لقيادات الحزب السعدى ما قاله العسكريون - إتهمت هذه القيادات القديمه سيد مرعى وغيره من قيادات الصف الثانى بأنهم يتخذون تعليمات العسكريين ذريعة للتخلص منهم حتى يحلوا محلهم .

وحتى يتفادى سيد مرعى هذا الموقف الحرج طلب من مجلس قيادة الثورة تفسيراً لتعليماتهم بشأن « تطهير صفوف الاحزاب » .. لكن المجلس رفض تقديم أى تفسير بخصوص ذلك .

لكن سيد مرعى وجدها أخيراً حيث نجح فى دعوة حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة لمقر الحزب السعدى - عن طريق اتصالاته بذكرى محيى الدين لتوضيح ما يتعلق « بتطهير الصفوف » لابراهيم عبد الهادى رئيس الحزب السعدى .. والمثير ان عضو مجلس قيادة الثورة ردد نفس الجملة : « عليكم ان تطهروا انفسكم » .

وبدأ سيد مرعى يحدد - بالضبط - أبعاد المخطط وهو ان الضباط يريدون تدمير الاحزاب بالكامل بالاستعانة بالصفوف الثانية فيها . ولذلك بدأ يبحث عن مستقبله السياسى بعيداً عن السعديين .

وفى يوم ١٠ سبتمبر أى بعد يوم واحد من اصدار قانون الاصلاح الزراعى .. اتصل عبد الله سالم - اول وزير زراعة فى الحكومة التى شكلها اللواء محمد نجيب - بسيد مرعى صديقه القديم وابن محافظته - محافظة الشرقية - وأشار اليه بضرورة دراسة قانون الاصلاح الزراعى جيداً لتعيينه عضواً باللجنة العليا للاصلاح الزراعى التى تحدد معايير تنفيذ هذا القانون .

وكان جمال سالم عضو مجلس قيادة الثورة يرأس اللجنة العليا للاصلاح الزراعى وكانت تضم فى عضويتها عبد الله سالم وزير الزراعة - ومجموعة من المهندسين الزراعيين - بالإضافة لوزراء الرى والاقتصاد والمالية والاقواف ورئيس مجلس الدولة ومساعدتهم .

والجدير بالذكر ان جمال عبد الناصر إعترض على تعيين سيد مرعى عضواً فى اللجنة على اعتبار انه يشبه الباشوات بملابسه واعتداده بنفسه .. ولكن تدخل على صبرى وذكرياً محيى الدين دفاعاً عن مرعى .. ولم يجد عبد الناصر امامه مفراً من الموافقة .

وفى الاجتماع الثالث للجنة الاصلاح الزراعى تم اختيار سيد مرعى ليقوم بدور كهمة وصل بين جمال سالم رئيس اللجنة وباقى اعضاء هذه اللجنة . وكذلك همزة الوصل بين اعضاء مجلس قيادة الثورة المشرفين على الاصلاح الزراعى وبين اعضاء اللجنة وبذلك اصبح لسيد مرعى نفوذ يفوق نفوذ رئيس اللجنة بل ووزير الزراعة ايضاً . وربما كان ذلك يرجع لان الضباط كانوا يريدون ان تكون اللجنة العليا للاصلاح الزراعى هيئة مستقلة عن وزارة الزراعة حتى لا تتأثر بالبيروقراطية الحكومية .. ولذلك تم نقل مقر اللجنة فى فبراير ١٩٥٢ الى قصر عابدين وهو المركز العصبى للحكومة العسكرية الجديدة .

وعين سيد مرعى رئيسا للجنة في ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ ورجحت كفته على كفة المرشحين لهذا المنصب لأسباب كثيرة متشابكة ومتداخلة .. وكان ابراهيم شكرى من بين المرشحين لرئاسة اللجنة خاصة ان له باعا في الاصلاح الزراعى وقبل ذلك التاريخ بعامين - أى قبل قيام الثورة طالب ابراهيم شكرى في البرلمان بان يكون اقصى ملكية للفرد ٥٠ فدانا فقط من الاراضى الزراعية .. وقد رفض مجلس قيادة الثورة تعيينه رئيسا للجنة حتى لا يشارك احد الثورة في إنجازاتها أو حتى لا يكون لشكرى فضل تطبيق هذا القانون .

وكانت هناك أسماء شخصيات أخرى مرشحة لرئاسة هذه اللجنة . وهى شخصيات شاركت في اعداد هذا القانون - قانون الاصلاح الزراعى - مثل الدكتور راشد البراوى الاقتصادى الاكاديمى واحمد فؤاد اليسارى الشهير .. وقد تم رفض ترشيحهم لنفس السبب الذى تم من خلاله استبعاد اسم ابراهيم شكرى .. وكذلك تم استبعاد أسماء العسكريين امثال جمال سالم وخالد محيى الدين ويوسف صديق لانهم ليسوا على دراية بالزراعة .

لقد كان لسيد مرعى منافسون آخرون في شغل منصب رئيس اللجنة لكن يبدو انه كانت هناك عوامل تنقصهم ويمتاز بها سيد مرعى ومنها الاتصالات وتحديد ما يريده هؤلاء الحكام العسكريون .

ومن بين منافسى سيد مرعى على رئاسة هذه اللجنة عزت عبد الوهاب الذى تم تعيينه في بداية عام ١٩٥٢ رئيس لجنة توزيع الاراضى الصحراوية على المنتفعين .. وكانت هذه اللجنة مكونة من ١٤ عضوا من مختلف الوزارات وكانت توزع الاراضى التى تستصلحها الدولة بواقع خمسة افدنة لكل منتفع وكانت لعزت خبرة بهذا المجال ولكن تنقصه الخبرة السياسية ولذلك لم يع مفهوم الاصلاح الزراعى لدى مجلس قيادة الثورة .

وكان عبد الله سالم ايضا من المرشحين لمنصب رئيس اللجنة .. ولكنه ينتمى للعصر البائد ولذلك تم استبداله بعبد الرزاق صدقى في ديسمبر ١٩٥٢ الذى كان يتطلع للمنصب هو الآخر لكن يبدو ان اتصالاته كانت محدودة فهو لا يعرف من رجال الصفوة السياسية الا « عبد الجليل العمرى » وزير المالية . وجاره في العمارة ولم يكن للعمرى نفسه أى خلفية سياسية .. وكان عباس عمار وزير الشؤون الاجتماعية يطمع في احتلال منصب رئيس اللجنة لكن يبدو انه هو الآخر لم يكن لديه اتصالات عالية المستوى لتحقيق رغبته .

وقد كانت فرصة المرشحين لرئاسة اللجنة من الرجال الذين يمثلون اليسار المتشدد ضئيلة جدا لان اغلب اعضاء مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم جمال عبد

الناصر من المعتدلين .. ولذلك كان خالد محيي الدين ويوسف صديق في اقصى اليسار بحيث لا يمكن اختيار احدهما رئيسا للجنة رغم أنهما شاركا في صياغة قانون الاصلاح الزراعى .

وكان لمجدى حسنين دور كبير في احداث ٢٣ يولييه .. وكان ايضا من اكبر مؤيدى جمال عبد الناصر في سلاح المهندسين بالقوات المسلحة وداخل حركة الضباط الاحرار .. وقد كان لمجدى حسنين صاحب الميول اليسارية اطماع في رئاسة اللجنة . وبالرغم من ان مجدى حسنين كان صديقا لاحمد مراد رفيق السلاح وشقيق حسين مراد صديق سيد مرعى المقرب الا ان مجدى حسنين كان لا يحب سيد مرعى ولا يثق به .

وقد حدثت ازمة بين مجدى حسنين في جانب وبين جمال سالم وسيد مرعى من جانب آخر .. ولم يجد جمال عبد الناصر امامه مفرًا من تعيين مجدى حسنين مديرا لمشروع مديرية التحرير . وهى عزبة يمكنه ان يديرها بمعرفته وبابعد حسنين عن اللجنة اصبح الطريق مفتوحا امام سيد مرعى للسيطرة على هذه اللجنة . ولايمكن القول ان سيد مرعى قد فاز بمنصب رئيس اللجنة بالسلبية والتراخى فقد تبين انه قد حدث اول صدام بين مرعى وجمال سالم في اول اجتماع للجنة العليا للاصلاح الزراعى وكان الخلاف حول نصوص القانون ولم يكن سيد مرعى يعرف بعد ابعد شخصية جمال سالم الزئبقية المتقلبة . وقد كان مرعى يريد ان يوضح التعديلات الضرورية في التشريع التى تعمل على نجاح تنفيذه .. ولكن ثورة جمال سالم جعلت سيد مرعى يغادر قاعة الاجتماع غاضبا .. وبعد فترة قصيرة عاد لجمال سالم هذوؤه .. وفي نفس الليلة سمع سيد مرعى طرقا على باب منزله وفوجئ بجمال سالم الذى جاء ليعتذر .

وبعد اسابيع من هذا الصدام بدأت ترسخ العلاقات بينهما - وعلى اى حال - فقد كان على صبرى من بين اصدقاء جمال سالم القليلين في حركة الضباط الاحرار حيث كانا زملاء دراسة بالاكاديمية الجوية وجمعتهم افكار واحدة يمينية حيث كانا من انصار الولايات المتحدة في ذلك الوقت .. وقد استطاع صبرى ان يقنع جمال سالم ان سيد مرعى ليس اكثر من مشرف على تنفيذ برنامج الاصلاح الزراعى . وعندما اصيب جمال سالم بورم في المخ - لم يكن يغادر فراشه - وكان سيد مرعى حريصا على زيارته بصفة مستمرة وكذلك شقيقه عمر مرعى والذى يعد اكثر افراد العائلة دراية بالدين .

ولكن يؤكد الكثير من المراقبين ان تعيين جمال سالم لسيد مرعى همزة وصل بين اللجنة ورجال الثورة جاء نتيجة حدث وقع قبل اعلان هذا التعيين بأسبوع حيث كان

سيد مرعى - قبل اعلان هذا التعيين - ينوى السفر الى كوم امبو في اجازة مع صديقه يحيى العلايلى وهو من كبار الاعيان وكان ايضا زميلا لمرعى فى الجامعة .. وقد دعا سيد مرعى الصديق جمال سالم لمرافقتهم فى هذه الرحلة ورافقتهم فى هذه الرحلة زوجة يحيى العلايلى التى تتمتع بنصيب كبير من الجمال .. وقد وقع الضابط الملتزم الذى يعيش وحيدا اسير حب تلك المرأة الشابة الجميلة .. وبعد فترة قصيرة تزوجها جمال سالم .

ومنذ بداية عام ١٩٥٢ بدأ سيد مرعى يتولى الاشراف على لجنة الاصلاح الزراعى بالتنسيق مع عضو مجلس قيادة الثورة والرئيس الفعلى للجنة وكانت مخاوف سيد مرعى تتركز فى احتمال تعيين رئيس جديد للجنة بدلا من جمال سالم مما قد يفقده هو الآخر وظيفته باعتباره - اى سيد مرعى - من رجال جمال سالم خاصة ان جمال عبد الناصر كان يرصد هذه التحالفات من خلال تقارير المخابرات التى كانت تصله بانتظام ومنها - مثلا - ان سيارة سيد مرعى كانت تشاهد امام منزل جمال سالم عندما كان مريضا .

ولم يشأ سيد مرعى ان يضع كل مستقبله بين اصابع جمال سالم ولذلك بدأ يبحث عن صحبة اخرى اكثر نفعا - ووجد ضالته اخيرا - انه النجم الجديد الذى بدأ يلمع فى سماء السياسة وهو محمد حسنين هيكل الذى كان يحاول تدعيم علاقته - « بصلاح » شقيق جمال سالم - منذ سيطرة العسكريين على الحكم .

وبعد ان تولى سيد مرعى رئاسة اللجنة العليا للاصلاح الزراعى قام على الفور بجلب اعضاء الشلة وآخرين للعمل فى اللجنة بمرتبات تفوق كثيرا ماكانوا يتقاضونه فى دواوين الحكومة او القطاع الخاص .

وبدأ سيد مرعى يعيد تنظيم اللجنة وفقا لفكره .. وعين محمد صبيح مستشارا صحفيا للجنة العليا للاصلاح الزراعى وقد بدأ محمد صبيح حياته السياسية كرئيس لتحرير جريدة مصر الفتاة .. وبعد قيام ثورة يولييه ١٩٥٢ كان مصير اعضاء حزب مصر الفتاة هو السجن .

وقد قام محمد صبيح بدوره باللجنة العليا للاصلاح الزراعى بتعيين شقيقه محمد صيفى - رئيس تحرير بمؤسسة دار التعاون حاليا - وعضوين آخرين من حزب مصر الفتاة هما عز الدين كامل واسماعيل عامر كمساعدين له بالعلاقات العامة . وفى ربيع عام ١٩٥٢ بدأت حملات الدعاية الناجحة لمشروعات الاصلاح الزراعى التى يقودها محمد صبيح ومعاونوه .

وبدأت الصحف تنشر الموضوعات الصحفية المدعمة بالصور والتي توضح أسلوب توزيع الاراضى على صغار الفلاحين . وكان اسلوب الدعاية يعتمد على نشر صور كبار المسئولين وهم يوزعون صكوك الملكية على الفلاحين المعدمين .

وقد نجح سيد مرعى ومعه محمد صبيح كصحفى كبير فى إبراز الاصلاح الزراعى كمشروع عملاق حتى لم يعد فى إمكان أى من السياسيين وقتها أن يجرؤ على ترحيه النقد لهذا المشروع . إنها الدعاية التى تكتم الأفواه ..

وبدأت شعارات محمد صبيح تنتشر فى الاوساط الشعبية ومنها شعاره الشهير : « الارض للفلاح وليس الفلاح للارض » .

وقد استخدم محمد صبيح كل فنون الدعاية للترويج للاصلاح الزراعى كمشروع عملاق حيث قام باعداد النشرات الايضاحية والصحفية .. وقام ايضا بدعوة الصحفيين والكتاب الاجانب واعداد زيارات لهم لمناطق الاصلاح الزراعى . وكانوا يحاطون خلال هذه الزيارات بمستشارى سيد مرعى ومساعديه من كبار العاملين بالاصلاح الزراعى .

ويمكن القول ان اكثر الاعمال التى لاقت رواجاً اعلامياً فى الصحف الاجنبية فى عصر ما بعد فاروق هى انجازات سيد مرعى والاصلاح الزراعى .

وقد قام الصحفى كيث ويلوك بتأليف كتاب عن الاصلاح الزراعى تحت عنوان « مصر فى عصر عبد الناصر » .. والذى أشاد فيه بالاصلاح الزراعى ولكنه أشار ايضا الى تناقضات وسلبيات التطبيق .. وهو الكتاب الذى نشرته اللجنة العليا للاصلاح الزراعى .

والجدير بالذكر ان محمد نجيب وجمال عبد الناصر قد احتفلا بالعيد الاول للثورة بزيارة مناطق الاصلاح فى الدلتا وتوزيع العقود على الفلاحين . وفى عام ١٩٥٢ اصبح العيد الاول لاصدار قانون الاصلاح الزراعى - ٩ سبتمبر - هو عيد الفلاح حيث يقوم اعضاء مجلس قيادة الثورة بتوزيع مزيد من عقود تملك الاراضى فى ذلك اليوم .

وفى بداية شهر مارس ١٩٥٤ احتدم الصدام بين جمال عبد الناصر ومحمد نجيب .. وفى ٢٢ مارس اعلن عبد الناصر حل مجلس قيادة الثورة واجراء الانتخابات وظن الناس وقتها ان حل هذا المجلس هو انتصار لمحمد نجيب .. لكن الحقائق تؤكد انها كانت خطوة تكتيكية استراتيجية للتخلص من محمد نجيب وأنصاره .

وخلال الصراع محمد نجيب قام عبد الناصر بالاتصال بسيد مرعى عن طريق جمال سالم .. وكانت التعليمات واضحة وهى العمل على حماية الاصلاح الزراعى وانتظار عودة مجلس قيادة الثورة مرة أخرى .

وقد اجتمع سيد مرعى بعدها مباشرة بمعاونيه وأوضح لهم أن محمد نجيب لم يعد رئيسا لمجلس قيادة الثورة وأنه ربما يقدم على تصرف مفاجئ للاطاحة بالاصلاح الزراعى .. ووافق معاونوه على العمل فترات إضافية لتوزيع اكبر مساحة ممكنة من الاراضى حتى أصبح من المحال امام اى شخص مهما كان ان يتمكن من اعادة هذه الاراضى لاصحابها الاصليين .

وعرف سيد مرعى المصير الذى ينتظر الاصلاح الزراعى فى حالة خروج محمد نجيب من هذه المعركة منتصرا ولذلك وضع جهاز العلاقات العامة باللجنة العليا للاصلاح الزراعى تحت تصرف جمال عبد الناصر .

والجدير بالذكر انه فى أعقاب إعلان جمال عبد الناصر حل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٢ مارس بدأ الصحفيون والطلبة والمحامون حملة صاخبة تطالب بإعادة الحياة النيابية وكانت هذه الحملة توحى بأن عبد الناصر قد يفقد السيطرة على رجل الشارع لصالح محمد نجيب .

ولم يستطع سيد مرعى ان يخفى شعوره بالقلق نتيجة هذا الموقف المتدهور فاصطحب جمال سالم على الفور للقاء عبد الناصر حيث عرض عليه خدمات اللجنة العليا للاصلاح الزراعى لزيادة شعبية ثورة يوليو .. وبعد ان فقد عبد الناصر شعبيته فى المناطق الحضرية او المدن فإنه فى حاجة الى حملة دعائية ناجحة فى مكان آخر ولذلك وافق عبد الناصر على عرض سيد مرعى .

وذهب سيد مرعى يبحث عن دعم الشيخ محمد علوان رفيقه فى الحزب السعدى وصهر المستقبل الذى جمع أتباعه لاستقبال عبد الناصر على امتداد الاراضى الزراعية الخاصة بالملك فاروق فى بلبيس .. وأشرف محمد صبيح بنفسه على تغطية هذا الحدث على نطاق واسع بمختلف الصحف اليومية التى تصدر فى القاهرة .

وربما لم تكن خدمات سيد مرعى هى العامل الاساسى فى انتصار عبد الناصر على محمد نجيب ولكن ربما ساهم الحدث السابق فى تحقيق هذا الانتصار .

الفصل الثانى

بناء الإمبراطورية

وبعد ان اصبح عبد الناصر على قمة السلطة اتخذ عدة خطوات واجراءات حتى يحول دون تكرار الدراما السياسية التى حدثت بينه وبين نجيب ولذلك بدأ يتخلص من خصومه وجاء الدور على جمال سالم عام ١٩٥٦ عندما اشتد صراع السياسة المصرية مع الغرب مما يبرر الاطاحة بضابط القوات الجوية السابق ذى الميول الغربية . وبعد أيام قليلة من الاطاحة « بسالم » طلب الرئيس مقابلة سيد مرعى مما جعله يشعر بأن شيئاً ما قد حدث ، وربما يكون متصلاً بجمال سالم ، وذهب للقاء عبد الناصر وعرف أن الامر ليس كما تخيله وقد فوجئ بعبد الناصر يناقشه في موضوع آخر .

وفي صيف عام ١٩٥٦ اصبح سيد مرعى من ابرز المدنيين في الحكومة التى يدير دفتها العسكريون .. وكرئيس للجنة الاصلاح الزراعى اصبح محاطا برعاية وتحصينات محمد صبيح النشيط جدا .. ويبدو أن للشهرة ثمنا فقد بدأ رفاق عبد الناصر ينظرون الى موقع مرعى باستهجان خاصة انه ينتمى للعصر البائد اكثر من انتمائه للعصر الثورى .

ويمكن القول إن نجاح سيد مرعى فى المهمة الموكلة اليه قد ساعد على إذابة الغيرة والاحقاد حيث كان العديد من الضباط الاحرار يأملون المشاركة فى انجازات الاصلاح الزراعى ولكن لتفادى التضارب فى الاختصاصات والمسئوليات وافق هؤلاء الضباط على اتاحة حرية الحركة لجمال سالم ليشرف على هذا القطاع - وفى مقابل ذلك - يكون لهؤلاء الضباط نفس الحقوق فى قطاعات اخرى .

وعندما اصبح الاصلاح الزراعى اكثر بريقا من باقى هذه القطاعات وعندما سلطت الاضواء على سيد مرعى وجد هؤلاء العسكريون انه لامفر من ترك هذا المدنى لحال سبيله بعد ان ثبت انه لم يعد هناك امل فى إقصائه .

والشئ المؤكد ان سيد مرعى قد اصبح هدفا للضباط الاكثر نفوذا لانه كان يتطلع الى افاق جديدة ولايحصن نفسه فى منصب رئيس لجنة الاصلاح الزراعى لان الطموح لايعرف شيئا اسمه المنطق . وبالفعل كان سيد مرعى يعتبر اللجنة العليا

للاصلاح الزراعى اول خطوة نحو الخطوط الامامية . وانتهت المرحلة الاولى من الاصلاح الزراعى وبدأ سيد مرعى مرحلة التكامل الراسى او التنمية الراسية لمناطق الاصلاح الزراعى .. وكانت سياسة مرعى تتلخص فى توظيف التعاونيات الزراعية فى مناطق الاصلاح الزراعى - او ما يطلق عليها حاليا تعاونيات الاصلاح الزراعى - لتوزيع التقاوى والاسمدة وباقى مستلزمات الانتاج على الفلاحين فى مقابل توريد محاصيلهم للجنة العليا للاصلاح الزراعى .. وبذلك اصبحت لجنة الاصلاح الزراعى اكبر مشتر وبائع للمحاصيل الزراعية على مستوى الجمهورية .

واصبحت جميع مستلزمات الانتاج الزراعى فى قبضة سيد مرعى فيما عدا جهاز الائتمان او بنك التنمية والائتمان الزراعى والتعاونى .. لكن يبدو ان ابواب البنك لن تظل مغلقة فى وجه سيد مرعى حيث تم تعيينه فى نوفمبر عام ١٩٥٥ رئيسا لمجلس إدارة بنك التنمية وبذلك اكتملت الحلقة وأصبح يشرف على الانتاج الزراعى بأكمله بالإضافة للتسويق فى مناطق الاصلاح الزراعى .

والجدير بالذكر ان لجنة الاصلاح الزراعى كانت تحقق أرباحا سنوية تقدر بالملايين من الجنيهات واصبح بذلك لدى منافسى سيد مرعى حافز قوى للتخلص منه حتى يحلوا محله .

ويمكن القول ان مشروع مديرية التحرير وهو المشروع العملاق لاستصلاح الاراضى الصحراوية الذى بدأ تنفيذه فى ربيع عام ١٩٥٢ فى غرب منطقة الدلتا - كان مشروعا منافسا للاصلاح الزراعى حيث استحوذ على جزء كبير من الاموال الحكومية والكفاءات البشرية التى تعمل فى قطاع الزراعة كما نجح هذا المشروع فى سرقة الكاميرا والاضواء من مشروع الاصلاح الزراعى . وينتمى مجدى حسنين رئيس مشروع مديرية التحرير الى عائلة غنية من ملاك الاراضى الزراعية وشغل والده منصب المحافظ فى فترة من الفترات بينما عمل اخوته بالتجارة او الاعمال الحرة .. اما مجدى حسنين نفسه فقد كان يساريا وكان متزوجا من مواطنة روسية وكان يأمل فى تطبيق الافكار الاشتراكية فى الريف المصرى .

وقد قام عبد الناصر بتعيين مجدى حسنين فى هذا المنصب لعدة اسباب أبرزها ان حسنين كان يؤازر عبد الناصر فى الجيش .. والسبب الثانى وربما يكون اكثر أهمية وهو وضع حسنين فى كافة الميزان ليحافظ على التوازن مع كفة جمال سالم وسيد مرعى .. ولذلك قام عبد الناصر بإعطاء مجدى حسنين شيكا على بياض ليحقق طموحاته بغزو الصحراء .

واتخذت المنافسة بين اللجنة العليا للاصلاح الزراعى ومشروع مديرية التحرير او بين مرعى وحسنين اشكالا مختلفه وصورا متباينة حيث كان فى إمكان كل منهما ان

يصرف مرتبات لموظفيه توازى ضعف او ثلاثة امثال رواتب الموظفين في الوزارات . وكان من المؤلف عرض رواتب مغرية على الموظفين الموهوبين لترك العمل مع سيد مرعى والذهاب للعمل مع مجدى حسنين او العكس .

وكان لمجدى حسنين إتصالات بالصحافة شأنه في ذلك شأن سيد مرعى وقد قام بالفعل بتوظيف وسائل الاعلام في الدعاية لمشروع مديرية التحرير وقام ايضا بدعوة الصحفيين الاجانب لزيارة مديرية التحرير .. وقد كتبت الصحف العالمية بإسهاب عن هذا المشروع وتم تخصيص عدة ابواب من الكتب الأجنبية التى تؤلف عن مصر للدعاية لمشروع مديرية التحرير .

وقد كانت بداية الصراع الدامى بين مرعى وحسنين حول ملكية الاراضى حيث كان الاصلاح الزراعى يعتمد على توزيع الاراضى على صغار الحائزين وكان سيد مرعى يدافع عن المصالح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لهؤلاء الحائزين كملك لهذه الاراضى بينما كان مجدى حسنين يرى عدم تفتيت الاراضى والحفاظ على الملكية الجماعية لاراضى مديرية التحرير وبذلك تجاهل اسلوب الاصلاح الزراعى في توزيع الاراضى وقام بتصميم اسلوب العمل بمديرية التحرير على اساس أنها وحدة انتاجيه مجمعة .

وللدعاية للشيوعية قام حسنين بإرغام الفلاحين على ارتداء زى موحد مكون من قمصان وبنطلونات ذات ألوان تتفق مع هذه الافكار .. بل وإرغام الفلاحين ايضا على إلقاء الاغانى الوطنية .

وكان كل ذلك كثيرا على سيد مرعى الذى كان يبحث عن طريقة لافساد اعمال مجدى حسنين وتوقف عند موضوع ملكية الاراضى حيث كان يعرف جيدا ان اغلبية رجال الصفوة في مصر - ومنهم عبد الناصر نفسه - يؤمنون بنظام توزيع الاراضى في إقطاعات صغيرة ويعارضون فكرة المزارع الجماعية .

وعمل مرعى على فضح ممارسات حسنين في مديرية التحرير رغم ان نشاطاته كامبراطور كانت شبه سرية .. ولذلك دعا مرعى غريمه حسنين للمثول امام لجنة الملكية الخاصة بأراضى الاصلاح الزراعى .. ولجأ حسنين لحيلة ذكية وهى تأجيل هذا الاستجواب لحين اتمام خطته بمديرية التحرير .. وجعل سيد مرعى هذا التصرف يشيط غضبا .. واخيرا مثل امام اللجنة مدعيا انه سيتم اتباع اسلوب الاصلاح الزراعى في مديرية التحرير وانه سيتم تخصيص مساحة من الاراضى الزراعية لكل حائز لكنه - طبعاً - لم يف بوعدده . وبدأ يكثف جهوده لتقويض نفوذ سيد مرعى باعتباره « إقطاعى قديم ومن الطبيعى ان تأتى منه هذه التصرفات » كما كان مجدى حسنين يقول دائما على الملا .

وبدا حسنين حملة اشاعات ضد مرعى حيث اتهمه باختلاس اموال الاصلاح الزراعى .. ونظرا لأن عبد الناصر لديه حساسية خاصة ضد الفساد فقد قرر ان يتعامل مع هذا الموقف .

وحين تسلم سيد مرعى استدعاء للمثول امام عبد الناصر فى اعقاب الاطاحة بجمال سالم فى يونيه ١٩٥٦ كان سبب الاستدعاء هو « الاشتباه فى عمليات اختلاس » ولم يكن الامر يتعلق بجمال سالم كما كان يعتقد .

والثير ان عبد الناصر لم يتهم مرعى بالاختلاس .. بل طلب منه كشفا بحساب اعمال اللجنة حيث كانت مصروفات اللجنة بعيدة كل البعد عن القواعد المحاسبية المعمول بها فى الدولة .. وقد فسر سيد مرعى عدم قيد كل المصروفات بالدفاتر بأنها ضرورة لتيسير اعمال اللجنة بعيدا عن الروتين والبروقراطية الحكومية . خاصة ان الروتين مرض حكومى موروث يعرفه سيد مرعى جيدا ويخشاه عبد الناصر كثيرا .

والشئ المؤكد ان عبد الناصر لم يصدق ما قاله سيد مرعى - وفى نفس الوقت - فإنه يرفض بشدة الاطاحة به نتيجة لاشاعة ظالمة خاصة انه قد دافع عن نفسه بلباقة شديدة .

ولم يجد عبد الناصر حلا للخروج من هذه الورطة الا بترقية سيد مرعى لمنصب وزير دولة للإصلاح الزراعى وبذلك أصبح عضوا فى التشكيل الوزارى دون تحويل لجنة الاصلاح الزراعى الى وزارة .. لتظل اللجنة بعيدا عن إشراف الحكومة وهذا - بالضبط - ما يريده رئيس اللجنة وموظفوها .

لكن هناك جانب سىء دائما .. فقد طلب عبد الناصر امساك دفاتر لحسابات اللجنة واتباع لوائح الحكومة فى أعمال هذه اللجنة .. ولم يكن ذلك يسعد سيد مرعى - طبعا - حيث يعكس استمرار شك عبد الناصر ورغبته فى وضع رئيس اللجنة تحت رقابة شبه صارمة ..

واصبح ذلك معناه ان الاصلاح الزراعى على بعد خطوة واحدة من فقد مكانته كمؤسسة ديناميكية مستقلة .. وقد حدث ذلك للإصلاح الزراعى فى الوقت الذى كانت فيه سفينة مشروع مديرية التحرير تسير بأقصى سرعتها مما يوضح ان مجدى حسنين قد كسب الجولة ..

ولم يمكث سيد مرعى طويلا ليمكك زمام المبادرة مرة اخرى .. وبدأت الإشاعات تسرى .. عن الاموال الضخمة التى تنفق على مشروع مديرية التحرير - والمؤكد ان سيد مرعى قد شارك فى هذه الحملة طبعا - وحتى ان رجال الصفوة السياسية - الذين كانوا يخشون توجيه الهجوم لمجدى حسنين خوفا من عبد الناصر - إكتشفوا انه لم يعد هناك داع للخوف والتردد .

وقد قام البعض بإمداد أعضاء برلمان عام ١٩٥٧ وهو أول برلمان يتم انتخابه في أعقاب الثورة - بمعلومات تسبب حرجا لمجدي حسنين وترغم عبد الناصر على التخلص منه .

وقام الدكتور عبد الرزاق صدقي وزير الزراعة وقتها بالرد على استجوابات أعضاء المجلس فيما يتعلق بمصروفات أنشطة مجدي حسنين لكن المتاعب الحقيقية جاءت بعد ذلك بعدة أسابيع عندما أعلن عبد اللطيف بغدادى عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس الاتحاد الاشتراكى أنه ينوى التخلي عن مقعد رئيس المجلس لأن لديه مايقوله بشأن مشروع مديريةية التحرير .

وأخبر الاعوان جمال عبد الناصر بنوايا عبد اللطيف بغدادى فأصدر عبد الناصر أوامره لأنور السادات وكيل المجلس برفع الجلسة عندما يترك بغدادى مقعده على المنصة .

ونفذ أنور السادات أوامر عبد الناصر بالحرف الواحد وسط صيحات الاحتجاج العالية التى لم يسكتها إلا أعوان عبد الناصر من الضباط السابقين الذين عينهم بالمجلس . لكن الامر لم ينته عند هذا الحد فقد ذهب كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة - الذى لا يحب سيد مرعى ويكره مجدى حسنين كراهية الخمر - مباشرة الى جمال عبد الناصر وقدم له استقالته وانضم إليه عبد اللطيف بغدادى وأمام موجة الاستقالات بين قيادات الحزب الواحد وهو الاتحاد الاشتراكى الذى تم تأسيسه حديثا .. ولم يجد عبد الناصر أمامه مفرًا من مواجهة هذه المشكلة وبعدها بساعات صدر قرار جمهورى بإعفاء مجدى حسنين من منصبه كرئيس لمشروع مديريةية التحرير .

وقد اتصل على صبرى - بأوامر من جمال عبد الناصر - بسيد مرعى ليخبره بقرب اعلان تعيينه وزيرا للزراعة وذلك قبل الاطاحة بمجدى حسنين من منصبه كرئيس لمديرية التحرير .

وتردد سيد مرعى فى قبول هذا المنصب لأنه يعرف خطورة ان يكون رئيسا لحسنين على اعتبار ان مديريةية التحرير تابعة لوزارة الزراعة .

ولكن عبد الناصر لايسلم بسهولة فقد دعا مرعى الى منزله لاقتناعه بقبول منصب وزير الزراعة وقد شارك عبد الحكيم عامر فى محاولة اقناع مرعى ايضا .. وعندما فسر سبب تردده عن قبول المنصب .. قرر عبد الناصر نقل مشروع مديريةية التحرير ليكون تحت إشراف رئاسة الجمهورية .

وأعلنت الصحف تعيين مرعى وزيرا للزراعة يوم ٣ نوفمبر عام ١٩٥٧ وقبل نهاية نفس الشهر - شهر نوفمبر - تم التخلص من مجدى حسنين . وفى نفس اليوم

اتصل جمال عبد الناصر بوزير الزراعة ليوضح له انه قد تم نقل مشروع مديرية التحرير من رئاسة الجمهورية ليكون تحت اشراف وزارة الزراعة مرة اخرى . .

والشئ المؤكد ان سيد مرعى كان يشعر برهبة الاشراف على مشروع كبير كمديرية التحرير كان دائما مطمعا للضباط من الصفوة السياسية ولكنه سرعان ما استرد رابطة جأشه وبدأ يفرض سطوته على المشروع .

وقد ارسل اثنين من جنرالاته وهما محمود فوزى وسعد هجرس لمديرية التحرير ولعرفة ما يجرى فيها خاصة ان حدود هذه المديرية كانت مجهولة بالنسبة لمرعى ومساعديه في ذلك الوقت .

وقد ارسل سعد هجرس تقريرا الى مرعى ذكر فيه ان منتفعي مديرية التحرير ثائرون نتيجة مؤامرة حاك أبعادها الموالون لمجدي حسنين والذين مازالوا يشغلون مناصب بهذه المؤسسة العملاقة .

وقد قرر سيد مرعى السفر في الحال لمديرية التحرير واعلن في اجتماعه هناك انه سيتم توزيع الاراضى على المنتفعين وفقا لرغباتهم .. وأشار في نفس الاجتماع الى انه اذا كان المنتفع يريد الاستمرار في وظيفته والحصول على راتب دون تخصيص مساحة فإن ذلك متاح أيضا .. وبذلك استطاع مرعى الخروج من الازمة .

وكان سيد مرعى صادقا في وعوده حيث اعلن - في يولييه ١٩٥٨ - ان ٤٠٠ اسرة من المنتفعين ستتسلم عقود تملك الاراضى بمديرية التحرير .. وقد قام - بالفعل - بتوزيع ستة الاف فدان على المنتفعين على مدى السنوات الثلاث التالية .

واعلن في ربيع عام ١٩٦١ ان جميع الاراضى الزراعية بمديرية التحرير ستوزع على المنتفعين .. ويبدو ان هناك من كان يرصد أنشطة مرعى ولايرضيه ما يقوم به في مديرية التحرير ولذلك كان حريصا على العمل على اسقاطه قبل ان يوزع هذه الاراضى على المنتفعين .

وفي خريف عام ١٩٥٧ اصبح سيد مرعى يحلق في سماء السياسة وكان الطريق امامه مفتوحا ليحقق ارتفاعات وطموحات اخرى .. ولإحكام سيطرته على قطاع الزراعة قام بتعيين رجاله الموالين له في المناصب العليا بوزارة الزراعة .

وعلى الرغم من أنه أصبح يسيطر على إمبراطورية حكومية ضخمة إلا أنه بدأ يعمل على التوسع في هذه الإمبراطورية وأصبح هدفه الاول هو الجمعيات التعاونية التى يشرف عليها حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة المحافظ ذو الميول الدينية . الذى عين وزيرا للشئون الاجتماعية واستمر في هذا المنصب على مدى ثمانية اعوام اعتبارا من شهر سبتمبر ١٩٥٤ كما لو كانت عزبة خاصة به .

وقد أصبح حسين الشافعي هدفا لانه باعتباره وزيرا للشئون الاجتماعية . كان يشرف على الجمعيات الزراعية - فيما عدا جمعيات الاصلاح الزراعي - وكان سيد مرعى يتمنى فرض سطوته والتحكم في هذه الجمعيات .. وربما كان يريد اختبار قوته في مواجهة عضو مجلس قيادة الثورة السابق حتى يمكنه ان يحدد بدقة مدى ماحققه من نفوذ في نهاية الخمسينات .

وكانت خطة سيد مرعى تتلخص في توزيع الاراضى الزراعية في إقطاعيات صغيرة على المنتفعين للحد من نفوذ اليساريين الذين يعتنقون افكار المزارع الجماعية - وفي نفس الوقت - العمل على سلب الجمعيات الزراعية من ايدى حسين الشافعي .

وقدر ان ينفذ خطته من خلال تجربة ملموسة بقرية نواج بمركز طنطا بمحافظة الغربية حيث دعا المزارعين هناك لتطبيق ما يجرى في مناطق الاصلاح الزراعي بتقسيم الاراضى الزراعية الى ثلاثة اقسام ويتم زراعة كل قسم بمحصول وتطبيق الدورة الزراعية التى تشرف عليها الجمعية المحلية بالقرية وبذلك اصبح متاحا زراعة محصول واحد في مساحة كبيرة .. وحرص سيد مرعى على التغطية الإعلامية لتجربته كما كان حريصا ايضا على لفت نظر المراقبين الاجانب لما يفعله .

وبدا مرعى ينفذ المخطط الذى وضعه بإحكام حيث هاجم حسين الشافعي في اجتماع مجلس الوزراء مشيرا الى ان تطبيق تجربة الاصلاح الزراعي في قرية نواج قد ادى الى زيادة في الانتاج الزراعي تقدر بنحو ٣٠٪ .. ورد الشافعي مؤكدا انه لا يصدق ذلك - وامام الضغط والمواجهة اوضح الشافعي انه تم تسخير الفلاحين لينفذوا تجربة مرعى .

واكتشف عبد الناصر ان سيد مرعى ربما يكون اكثر دراية باستخدام وتوظيف الجمعيات الزراعية من حسين الشافعي .. ولذلك تم نقل تبعية الجمعيات الزراعية من وزارة الشئون الاجتماعية لرئاسة الجمهورية في البداية - وبعد عدة أشهر قليلة - تم نقل تبعية هذه الجمعيات لوزارة الزراعة وذلك في عام ١٩٦٠ - وبالطبع - يمكن القول إنه قد تم نقل التبعية على مرحلتين لسبب بسيط جدا وهو إنقاذ ماء وجه حسين الشافعي .

وبذلك أصبح سيد مرعى هو المدنى الوحيد الشجاع صاحب النفوذ - في حكومة عبد الناصر - الذى يمكنه ان يصارع العسكريين في مجتمع الصفوة السياسية في عقر دارهم .

وقد نجح سيد مرعى أيضا في التغلب على عبد اللطيف بغدادى - عندما كان وزيرا للحكم المحلى - حيث قام بغدادى بالاستيلاء على قطعة ارض تابعة للاصلاح

الزراعى على شاطئ المعمورة بشرق الاسكندرية وكانت هذه الارض مملوكة للامير طوسون قبل ثورة يوليه - وقد قام بغدادى باسناد مهمة تعمير الارض للبنك التجارى لاستخدامها سياحيا وكان رئيس مجلس ادارة هذا البنك مصرياً يهودياً .

وفي اعقاب ازمة السويس عام ١٩٥٦ تم فرض الحراسة على ممتلكات وأصول البنك التجارى وتم وضعه تحت إشراف وزارة المالية وتعيين حسن عباس زكى - الصديق المقرب لاسرة مرعى مشرفاً على اعمال هذا البنك .

وفي نهاية عام ١٩٥٦ سافر الدكتور عبد المنعم القيسونى وزير المالية وقتها الى الولايات المتحدة لحضور اجتماعات البنك الدولى وتم اختيار سيد مرعى ليتولى مهام وزارة المالية فى فترة غياب القيسونى .. فاتصل على الفور بحسن عباس زكى رئيس البنك التجارى واتفق معه على منح البنك قرضاً قدره اربعة ملايين جنيه فى مقابل اعادة ارض المعمورة للملكية الاصلاح الزراعى وكان يرأس الاصلاح الزراعى وقتها المهندس سعد هجرس احد رجال سيد مرعى .

واكتشف سيد مرعى بعد ذلك ان جمال عبد الناصر قد تسلم جزءاً من هذه الارض - التى استولى عليها بغدادى - لبناء فيلا الرئاسة عليها .

وبحلول عام ١٩٥٨ امتد نفوذ مرعى ليشمل ايضا تعيين الوزراء .. وفي أعقاب الوحدة بين مصر وسوريا تم إنشاء حكومة موحدة بين البلدين للتنسيق بين الحكومتين ولتحقيق طموحات عبد الناصر لكن بالطبع لم يكن لهذه الحكومة الموحدة اى معنى .

وقد كان عبد الناصر يبحث عن مرشح مناسب للعمل كوزير للزراعة بالمجلس التنفيذى للوحدة .. وطرح سيد مرعى اسم احمد المحروقى .. وقبل ذلك بعدة اشهر قام مرعى بنقل المحروقى من وزارة التموين - التى كان كمال رمزى استينوزيراً لها وعينه وكيلاً لوزارة الزراعة وكان يعد من رجال مرعى .

بينما شغل حسن البغدادى منصب وزير الاصلاح الزراعى بالمجلس التنفيذى للوحدة .. وقد كان بغدادى زميلاً لليثنى شقيق عبد الناصر بمنظمة التحرير بالاسكندرية والتابعة للاتحاد الاشتراكى وبعد ذلك اصبح البغدادى وزيراً للتموين ثم وزيراً للاصلاح الزراعى بمجلس الوحدة .. وكان المهندسون الزراعيون وحتى الليثنى عبد الناصر نفسه يعرفون جيداً ان البغدادى ليس كفى لهذا المنصب .. ويبدو ان كل مهمة البغدادى هى المحافظة على المقعد شاغراً لسيد مرعى .

الفصل الثالث

السقوط

وبفرض نفوذه على اللجنة العليا للإصلاح الزراعى وبنك التنمية والائتمان الزراعى والتعاونى ووزارة الزراعة مضافا إليها الجمعيات التعاونية الزراعية .. أصبح سيد مرعى الملك غير المتوج على قطاع الزراعة بالكامل .

وفى أعقاب الاطاحة بجمال سالم وبداية شك عبد الناصر فى دفاتر حسابات سيد مرعى بلجنة الاصلاح الزراعى بدأ مرعى يعمل على مد جسور الصداقة مع محمد حسنين هيكل والعمل بولاء لتحقيق مصالح عبد الناصر حتى يمكنه اختراق الصفوف لمجتمع الصفوة ..

وبدأت صحف الغرب تتحدث عن سيد مرعى ودوره فى الاصلاح خاصة وان بعض دول منطقة الشرق الاوسط قد بدأت تحاكي تجربة الاصلاح الزراعى لمصر .

وفى عام ١٩٥٧ قام باصدار كتاب باللغات العربية والانجليزية والفرنسية عن الزراعة المصرية والاصلاح الزراعى .

والشئ المؤكد أن سيد مرعى من اكثر الوزراء المدنيين الذين نالوا حظا كبيرا من الدعاية الاعلامية فى حكومة عبد الناصر حيث كانت الصحف اليومية تنشر صورته وآراءه لمختلف الموضوعات التى تتعلق بقطاع الزراعة بالاضافة لمقالات بقلمه كما كانت الصحف والمجلات تنشر مقتطفات من مشوار حياته من وقت لآخر .

ولكنه كان حريصا على عدم اثاره الشك والريبة فى نفس عبد الناصر بعدم الادلاء بأحاديث صحفية تمس قطاعا آخر غير قطاع الزراعة .. بالرغم من أن عبد الناصر كان فى بعض الاحيان يستشير سيد مرعى فى امور لا تتعلق بالزراعة كأن يستشيريه - مثلا - فى الشئون الخارجية .

واذا كان لك حظ رؤية سيد مرعى وهو يدور ويجول فى مملكته فى نهاية الخمسينات فسوف يعتريك الشك ولو للحظات بأن الضباط لا يسيطرون على الحكم . والشئ المؤكد أن النجاح يورث الغيرة .. وقد كان البعض يحقد على سيد مرعى باعتباره مدنيا استطاع اختراق الصفوف والاسوار .. بينما كان البعض يصنفه على

انه « إقطاعى » .. فى حين وجد آخرون مبررا للنقمة عليه لانه سبق له ان تغلب عليهم فى صراع الوصول لنهاية السباق .

إن هناك حقيقة واقعة وهى ان عبد الناصر لم يكن يخشى سيد مرعى لسبب بسيط انه مدنى وليس فى خطورة رفاقه العسكريين ولذلك حرص هؤلاء العسكريون على الايقاع بمرعى فى الفخ وجاءت الفرصة التى ينتظرونها - بالضبط - فى صيف عام ١٩٦١ عندما أكلت دودة القطن ثلث المحصول .. وعلى أى حال فقد تم انقاذ باقى المحصول من بين فكى الدودة - وللأسف لم يكن ذلك من خلال وزارة الزراعة .. بل من خلال لجنة خاصة قام كمال الدين حسين بتشكيلها وقد كان حسين وقتها يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية للشئون الداخلية .

وقد كان كمال الدين حسين أكثر الضباط الاحرار طموحا ولأنه كان يحقد على عبد الناصر ويكره بشدة هؤلاء المتسللين لمجتمع الصفوة السياسية والذين اصبحوا منافسين له - فقد قام بقيادة حملة للقضاء على دودة القطن ثم استدار ليوجه إدانته للمتهمين .

وبدا كمال حسين يعمل على دفع سيد مرعى ورجاله نحو الحائط حيث طلب استجوابهم امام اللجنة التى قام بتكوينها .. وتردد مرعى فى البداية .. ولكنه وافق على المثل امام هذه اللجنة بشرط ان يأتية الامر من جمال عبد الناصر مباشرة . ولأن سيد مرعى يعرف ان الهجوم هو خير وسيلة للدفاع فقد ذهب مباشرة لمقر اللجنة للمثل امامها ومن خلال الاستجواب هاجم كمال الدين حسين بشدة .. واتهمه بانه يتسرع فى احكامه وانه يلقي الاتهامات جزافا بلا دليل .. ثم بدأ يدافع عن نفسه موضحا انه قام بإبلاغ احمد المحرقى وزير الزراعة المصرى بالمجلس التنفيذى للوحدة بكارثة القطن فى وقت مبكر الا انه لم يبد أى استجابة .

وقد كان من المفروض حسم قضية سيد مرعى بإدانته فى لجنة كمال الدين حسين لكن ذلك لم يحدث فقد تمت احوالة القضية لأعلى محكمة فى مصر وهى مكتب جمال عبد الناصر .

والجدير بالذكر ان كمال الدين حسين ذهب فى البداية لعبد الناصر واقنعه بان سيد مرعى مسئول عن حماية القطن ولا بد من عقابه .. وقد بعث عبد الناصر برسالة شفوية الى سيد مرعى عن طريق محمد حسنين هيكل ينصحه فيها بالاعتراف بمسئوليته الكاملة عن هذه الكارثة حرصا على مستقبله .

لكن سيد مرعى لا يسلم بسهولة حيث طلب مقابلة الرئيس .. ورفض هذا الطلب فى البداية .. ولكن أخيرا وافق على طلب الرئيس ولكن بشرط حضور احمد المحرقى وزير الزراعة التنفيذى الذى شرح ابعاد الموقف للرئيس .. ثم جاء الدور على سيد

مرعى ليوضح الموقف الغامض فأشار الى اختلاف المسئوليات بينه وبين المحرقى وان وزير الزراعة التنفيذى عليه ان ينفذ السياسات بدلا من التركيز على وضع هذه السياسات ... وحسم عبد الناصر هذه القضية لصالح سيد مرعى وطلب من احمد المحرقى ان يقدم استقالته فورا .

وحين اصدر عبد الناصر الحكم بأن سيد مرعى لم يكن مسئولا عن كارثة القطن وانها مسئولية احمد المحرقى وزير الزراعة بالمجلس التنفيذى .. عرف كمال الدين حسين وباقى الخصوم ان مرعى قد تخطى الفخ وان عليهم ان يبحثوا عن وسيلة اخرى بوضع الفخ فى مكان جديد .

والمؤكد انهم اهتموا الى وسيلة تجعل عبد الناصر يفقد ثقته فى مرعى تعتمد على محورين المحور الاول يتعلق بسياسته فى قطاع الزراعة والعمل على التشكيك فى جدوى هذه السياسات .. بينما يركز المحور الثانى على اتهام رجال سيد مرعى بالفساد . وبالنسبة لسياسات مرعى فمن الممكن اصطياده فى قضية استصلاح الاراضى خاصة ان هذه القضية تتعلق ببقرة عبد الناصر المقدسة وهى السد العالى حيث كان عبد الناصر يؤمن إيمانا لا يعتريه الشك ان استصلاح مساحات واسعة من الاراضى الصحراوية هو كل المستقبل بالنسبة للزراعة المصرية .

وقد استطاع مجدى حسنين وعدد آخر من ضباط الجيش الذين عملوا فى قطاع استصلاح الاراضى ان يقنعوا عبد الناصر بالإمكانات الهائلة التى تملكها مصر لتحقيق ذلك .

وكان مشهورا عن على صبرى انه كان يقول لعبد الناصر ما يحب هو ان يسمعه .. وقد اخبر عبد الناصر انه يمكن استصلاح ٢٠٠ الف فدان سنويا بمياه السد العالى .. بينما كان سيد مرعى يعرف بخبرته صعوبات استصلاح واستزراع أراضى رملية ولذلك قام بتحذير الرئيس عبد الناصر من هذه الارقام المبالغ فيها .. وقال له انه لا يمكن استصلاح اكثر من ٤٠ الف فدان فى السنة وربما اقل من ذلك . وربما كان رأى سيد مرعى فى هذه القضية فرصة لا تتكرر لأعدائه - وبالفعل - اتهموه بعرقلة التقدم الثورى لانه ينتمى للعهد البائد .

وانت تعاني اذا كان طابور اعدائك طويل .. وقد نجح هذا الطابور فى رسم ابعاد مخطط الهدف منه اخراج سيد مرعى باصطياد بعض رجاله وافراد شلته وتقديمهم للمحاكمة بتهمة الاختلاس .

ولا ينكر احد انه منذ الايام الاولى للإصلاح الزراعى كانت الشبهات تحوم حول تصرفات مرعى المالية وصفقاته .. وكانت خطة منافسيه تعتمد على إثارة الشائعات حول هذه الصفقات وبذلك يضطر عبد الناصر للتخلص منه .. وهذه هى السياسة فى .. النهاية .

وبعد ان تنفس سيد مرعى الصعداء فى اعقاب خروجه بكامل ملابسه من ازمة القطن فى سبتمبر ١٩٦١ فوجىء بحملة شائعات اخرى تتناولها الصحف اليومية من واقع تقرير للجهاز المركزى للمحاسبات ضد بعض كبار الموظفين بوزارة الزراعة ومديرية التحرير .

ووجهت تهم محددة ضد احمد السمنى وكيل وزارة الزراعة والذي كان لسنوات طويلة الرجل الثانى فى مشروع مديرية التحرير حيث اتهم بتقاضى عمولات مقابل شراء معدات استخدمت فى استصلاح الاراضى وهى معدات للرى بالرش ومضخات وعدد من السيارات .

وقد تم وضع السمنى فى السجن إنتظارا للمحاكمة وبدأت الشائعات تتطاير مثل فقاعات الصابون أن سيد مرعى وراء ذلك .

وفى نفس الوقت قامت الحكومة السورية بفض الوحدة غير المتكافئة مع مصر .. وأقنع البعض جمال عبد الناصر ان الاقطاعيين والراسماليين هم السبب فى فشل هذه الوحدة .. وقرر عبد الناصر - بالفعل - ان هذه الفئات تحت الميكروسكوب والشئ المؤكد ان سيد مرعى كان يعانى فعلا لان المشاكل اصبحت تتوالد مثل الارانب .. فهناك ازمة القطن ثم القلق نتيجة تقديم احمد السمنى للمحاكمة .. مما يدل على ان سيد مرعى كان مستهدفا من عدة ضباط بمجتمع الصفوة السياسية والذين كانوا يطمعون فى كرسى الوزارة لأنفسهم ولحاسبيهم فى النظام الاشتراكى الجديد . وقد شارك على صبرى فى مشاورات لتشكيل حكومة جديدة وقرر وقتها توجيه دفة الحكومة نحو اليسار ولذلك لم يحاول الدفاع عن سيد مرعى .

وقرر عبد الحكيم عامر اقناع عبد الناصر بتعيين عبد المحسن ابو النور وزيرا للاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى .. وكان ابو النور يشغل منصب مستشار عبد الحكيم عامر لشئون الامن القومى فى سوريا وكان زميلا لمجدى حسنين بالمدرسة الثانوية .

وكان هدف عامر واضحا وهو فرض سيطرته على السياسة المصرية وصناعة القرار وفرض نفوذ رجال الجيش على مديرية التحرير .

وطلب كمال الدين حسين - الذى فشل فى التخلص من سيد مرعى فى اعقاب كارثة القطن - من جمال عبد الناصر تعيين احد رجاله وهو محمد نجيب حشاد وزيرا للزراعة .. وللعلم بالشئ فان نجيب حشاد هو شقيق احد رجال الصف الثانى من الضباط الاحرار .

ويمكن القول بأن ثقة الرئيس قد بدأت تهتز بالنسبة لسيد مرعى خاصة فيما يتعلق بكارثة القطن واتهامات الفساد حتى انه بدأ يشك فى ولائه للثورة .

وقد اختلف عبد الناصر مع رفاق السلاح - عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين حول التشكيل الوزاري المقترح ولكنه وافق في النهاية .. والجدير بالذكر ان على صبرى قد اتصل بسيد مرعى في الثانى من اكتوبر - اى قبل اعلان التشكيل الوزاري بيوم واحد - وأخبره ان اسمه ليس في قائمة الحكومة الجديدة .

وفي اليوم التالى اكتظ بيت سيد مرعى بالمقربين من العاملين بوزارتي الزراعة والاصلاح الزراعى ولم يستطع البعض منهم اخفاء دموع الالم والخوف على المستقبل الغامض بعد استبعاد مرعى من الوزارة .

وكان عامة الشعب يتهايمسون بان السبب في استبعاد سيد مرعى من قائمة الحكومة يرجع لمسئوليته عن كارثة القطن ولمارسه لاعمال الفساد .

وفوجئ سيد مرعى بهجوم آخر .. لكن الامر كان مختلفا هذه المرة حيث ألقى عبد الناصر خطابا في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية وهو التنظيم الخاص بإصلاح النظام السياسى فى مصر فى أعقاب فشل الوحدة المصرية - السورية .. وهاجم عبد الناصر فى خطابه الفساد والرشوة وأشار بأصابع الاتهام لفئة الرأسماليين والإقطاعيين على اساس انهم المحرض الاول على هذا الفساد .. وكانت إشارات عبد الناصر واضحة انه يقصد قضية السمنى .

وبعدها بأسابيع تم اتهام احد رؤساء هيئات استصلاح الاراضى وهورفى انور بأنه تقاضى عمولات على توريد معدات لاستصلاح الاراضى عن طريق وسيط اسمه « وادى تادروس » وكان يعمل بإحدى شركات التأمين وقام بعمل عدة بوالص تأمين لسيد مرعى وأسرتة .

وكان واضحا ان مجموعات الضباط التى كانت تحكم مصر قامت بتدبير هذه الاتهامات لسيد مرعى لتوريطه .. ولتجنب الكارثة الجديدة استغل سيد مرعى علاقته بحسنين هيكى لنشر قائمة ببوالص التأمين التى اعدّها له وادى تادروس .

وفي صباح يوم ٩ مارس ١٩٦٢ ظهرت صورة سيد مرعى فى الصفحة الاولى فى جريدة الاهرام وكتب تعليقا تحتها على ما جرى فى قاعة المحكمة اليوم السابق وفيه نفى اللواء محمد فهم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات اى علاقة لسيد مرعى بقضية العمولات وقدم مرعى ببوالص التأمين الخاصة به وبأسرتة والتى تقدر بنحو ١٦ الف جنيه والتى قام بشرائها جميعا قبل عام ١٩٥٢ .

والشئ المؤكد ان نشر خبر لمرعى بالصفحة الاولى للاهram يعنى فى المقام الاول انه مازال من اصحاب النفوذ - وعلى اى حال - فقد اصدرت المحكمة حكما ببراءة رفقى ومن معه من التهم المنسوبة اليهم وكانت نتيجة لتدخل سيد مرعى فى القضية بما نشره فى الاهرام .

وفي ١٦ ابريل ١٩٦٢ - اى بعد خمسة ايام فقط من اعلان براءة رفقى - نشرت الاهرام تفاصيل الحكم بالبراءة وما جرى بقاعة المحكمة وصورا للمتهمين وزوجاتهم وهم يهللون فرحا بالبراءة .

وظهرت صورة لسيد مرعى على الصفحة الاولى لجريدة الاهرام كتب تحتها خبر يقول ان عبد الناصر قد استقبل سيد مرعى فى منزله بمنشية البكرى واستمر الاجتماع على مدى ساعة ونصف الساعة .. وربما كان هذا الخبر تحذيرا من عبد الناصر لمروجى الاشاعات ضد سيد مرعى وان هذه الاشاعات يجب ان تتوقف فورا . ونتيجة لهذه الاحداث وجد سيد مرعى نفسه مضطرا لقضاء اجازته بعيدا عن السياسة - وعلى اى حال - فقد كان واضحا من الظروف وأسلوب الرحيل أنه مازال امامه مستقبل سياسى .

وقد كان سيد مرعى يقضى اجازته السياسية متنقلا بين شفته الفاخرة بالزمالك .. ومزرعته بالمنصورة - الملاصقة لأهرامات الجيزة - والتي تضم اسطبلا للخيل .. والفيللا الخاصة به فى كفر الاربعين .

وحين تضطر الظروف سيد مرعى لمغادرة المسرح السياسى - وحدث ذلك عام ١٩٦٢ - فقد حرص على ان يقضى بعض الوقت فى كتابة خطاب طويل لعبد الناصر ينفى فيه ويفند كل اتهامات الفساد .. ملقيا بالمسئولية على المتأمرين عليه .. ومؤكدا فى هذا الخطاب ولاءه للرئيس .

وكان حريصا خلال فترات ابتعاده عن السياسة إجباريا على ألا يكون له اتصال مباشر بالعاملين بقطاع الزراعة وان يكون بعيدا عن أى نشاط سياسى يمارسه اعداء النظام بما فيهم أخوه غير الشقيق عمر مرعى .

لقد كان سيد مرعى بذلك يعمل على ارضاء عبد الناصر حيث تعطى هذه التصرفات انطباعا بان مرعى مازال متعاطفا مع حكومة عبد الناصر - وعلى اى حال - فقد كان عليه ان ينتظر حتى تتغير السياسات مع الظروف والملابسات لتمنحه فرصة اخرى للحاق بالركب والظهور على خشبة المسرح مرة اخرى .

الباب السابع

الفترة الأخيرة في
عصر عبد الناصر
مصر من أجل البقاء

الفصل الأول

المنحاح السياسى

وقد تميزت السياسات المصرية فى عصر عبد الناصر بجنوحها فى اغلب الاوقات نحو اليسار مصحوبة بفترات قليلة تنعطف فيها هذه السياسات نحو اليمين . وعندما جنحت السياسات نحو اليسار فى صيف ١٩٦١ أصدر الرئيس عبد الناصر القوانين الاشتراكية ومنها قانون جديد للاصلاح الزراعى وبدأ يتعقب الاقطاعيين والراسماليين فى اعقاب فشل الوحدة المصرية السورية وفقد سيد مرعى وظيفته فى اثر هذه الاجراءات .

ولكن عاد سيد مرعى للمسرح فى ربيع ١٩٦٢ مما يعطى مؤشرا بان موجة اليسار العاتية قد خفت حدتها وبسرعة استطاع ان يستعيد مكانته حتى استطاع ان يقتحم مجتمع الصفوة السياسية مرة اخرى على مدى عامى ١٩٦٤ - ١٩٦٥ وعاد يمارس هوايته فى مصارعة منافسيه من اصحاب النفوذ .

ويبدو ان الاتجاه نحو اليمين لايدوم طويلا ففى بداية فبراير عام ١٩٦٦ قام حزب البعث بانقلاب عسكري فى سوريا مما ادى لجنوح السياسات فى منطقة الشرق الاوسط نحو اقصى اليسار وبدأ عبد الناصر فى اعقابها مباشرة فى ادارة دفة الحكم نحو اليسار مرة اخرى .

وقد كان سيد مرعى من السياسيين البارزين الذين يخطفون الابصار فى تلك الفترة حيث كان يعتبر واحدا من الاقطاعيين الذين استطاعوا الفرار من عقاب الثورة والدليل على ذلك انه تعرض لمعصرة اللجنة العليا لتصفية الاقطاع واستطاع الخروج منها ومعه كل ممتلكاته وكل مستقبله السياسى .

والشئ المؤكد ان نكسة يونيه ١٩٦٧ قد انقذت سيد مرعى من مصير لايعرفه فقد حدثت فوضى سياسية فى اعقابها اثرت بشكل ايجابى وطيب على مشوار حياته العملية فى السنوات القليلة الباقية من عصر عبد الناصر .

وفى الاسابيع الاولى التى اعقبت الهزيمة العسكرية بدا واضحا ان دفة الحكم تبحث عن فرصة ووسيلة للاتجاه لليمين خاصة بعد ان بدا الشارع المصرى يردد ان

رفاق عبد الناصر ورجال الاتحاد الاشتراكي قد قادوا السفينة الى موقع الكارثة الكبرى والمثير ان احدا لم يتهم عبد الناصر نفسه .

وربما ادت هذه الكارثة للاطاحة ببعض اصحاب النفوذ وربما ادت ايضا لتغيير المذهب السياسى للحكومة الا ان اليساريين قد بدأوا يرددون ان الاشتراكية ليست سببا للنكسة وانما يرجع السبب فى الهزيمة العسكرية لعدم الالتزام بالخط الاشتراكي .. وهم بذلك يصفون نفس الدواء الذى أدى للعة والنكسة .

واصبح هناك صراع مرير بين مجموعتين فى الحكومة المجموعة الاولى ترى انه لابد من اجراء تعديل فى سياسات عبد الناصر بحيث تكون اكثر واقعية بالسير وفقا للمنهج الديمقراطى واعطاء دفعة للقطاع الخاص على حساب القطاع العام وكانت هذه المجموعة تأمل فى تحقيق اهدافها من خلال موجة الاستياء والسخط العام من السياسات الناصرية .

وكانت المجموعة الثانية فى المواجهة تقوم باستخدام العلاقة من السوفيت للضغط على عبد الناصر للحفاظ على المكاسب الاشتراكية وكما يقال فقد كان عبد الناصر بين نارين حيث كان يعمل على الا يحرز اى من المجموعتين نصرا محققا . ولكن يمكن القول إن كفة الميزان كانت تميل لصالح اليساريين الذين كانوا يتمتعون بحماية ودعم السوفيت اما اليمينيون فقد كان عليهم ان يلجأوا لعبد الناصر طلبا للحماية والدعم .. وبالنسبة لسيد مرعى واخرين فقد كانوا يعيشون اوقاتا عصيبة وكان ينطبق عليهم المثل « انهم فى اضعف حالاتهم » ولم تتغير هذه الاوضاع حتى جاء السادات ليدير الدفة فى اتجاه اخر تماما .

الفصل الثانى

دور مرعى فى عصر عبد الناصر

وبصفة عامة لا ينكر احد ان سيد مرعى كان أحد المدنيين القلائل الذين لمعوا فى عصر عبد الناصر وربما يرجع ذلك لانه لايشكل أى تهديد على عبد الناصر لانه ليس من رفاق السلاح .

وقد استطاع أن يثبت وجوده فى مجتمع الصفوة من خلال خبرته بقطاع معين هو قطاع الزراعة ومع ذلك لا يمكن وضع سيد مرعى فى قائمة أهل الخبرة من الاكاديميين أمثال عبد المنعم القيسونى ومصطفى خليل وعزيز صدقى فقد كان مرعى يختلف عن هؤلاء لان لديه خبرة وخلفية سياسية حيث سبق أن مارس السياسة فى عصر ما قبل يولييه ١٩٥٢ كما انه لم يحرص على الحصول على درجة الدكتوراه فى تخصصه لانه استطاع تعويض ذلك باكتساب الخبرة العلمية والحس السياسى .

وقد نجح سيد مرعى فى اكتساب احترام عبد الناصر وبعض رفاقه باعتباره سياسيا عمليا نشيطا استطاع أن يثبت مهارة شديدة فى إدارة الافراد حتى أن كل من عمل معه قد أشاد بمبدأ تفويض السلطات الذى كان يتبعه بالاضافة إلى قدرته على تحديد الاهداف التنظيمية والتنسيق بين مختلف الانشطة .

وببساطة يمكن القول إن سيد مرعى كان سياسيا لديه القدرة على الادارة حيث نجح فى ادارة قطاع الزراعة بمساعدة ودعم رجاله ومساعديه الذين استخدمهم بكفاءة لتحقيق برامج التنمية فى هذا القطاع الضخم حتى أن عبد الناصر كان يعرف ان سيد مرعى ادارى موهوب ولذلك قام بدعمه فى العديد من المواقف ورغمما عن ذلك فقد كان سيد مرعى فى بعض الاحيان يدفع ثمنا غاليا لهذا الدعم نتيجة غيرة منافسيه . وقد كان لسيد مرعى شبكة اتصالات جيدة بجميع الصفوة السياسية ومختلف قطاعات الحكومة وكانت هذه الشبكة حصيلة لاتصالات العائلة وشلة كلية الزراعة وعلاقات الحياة العلمية .

وكان رجال سيد مرعى يقومون بمهام على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة له حيث كانوا يعملون على تنفيذ سياساته ودفعه للأمام عندما يحتل مقعده في الوزارة وعندما يفقد سيد مرعى مقعد الوزارة يعملون على عرقلة سياسات خصومه وإمداده بالمعلومات التفصيلية عن مايجرى .

وبين دهاليز مجتمع الصفوة السياسية استفاد سيد مرعى كثيرا من صداقته لعلى صبرى فى الخمسينيات وجمال سالم وأنور السادات كما استفاد من اقتحام شلة محمد حسنين هيكل حيث ادت لتقوية العلاقة بينه وبين عزيز صدقى ومصطفى خليل وعبد المنعم القيسونى ومحمود فوزى ومن خلالهم استطاع اقتحام عالم الصناعة والمال والشئون الخارجية واصبح يتطلع الى آفاق جديدة فى القطاعين العام والخاص فى ظل حماية هيكل صديق عبد الناصر المقرب والتي بدونها لم يكن من الممكن التغلغل فى النظام الناصرى .

والشئ المؤكد أن المرتفعات والمنخفضات التى واجهت سيد مرعى فى مشوار حياته السياسية قد انعكست أثارها على رجاله وأفراد شلته بالسالب والموجب وكما تألق النجم فى مدار جديد تألقوا معه والعكس صحيح .

ويثور الجدل حول العلاقة بين أهل الثقة وأهل الخبرة مرة أخرى .. ويبدو ان العلاقة بينهما عكسية بمعنى أن وجود إحدى الفئتين يجعل وجود الفئة الأخرى مستحيلا .. وعندما فشلت الوحدة المصرية - السورية واتجهت دفعة الحكم ناحية اليسار فوجيء الشارع المصرى أن أهل الخبرة فى الحكومة يتساقطون الواحد منهم تلو الآخر مما يؤكد ان اتجاه دفعة الحكم يتأثر بوجود أو نشاط أى من الفئتين .

وبالطبع كان عبد الناصر هو الربان الذى يدير الدفة يسارا أو يمينا وليس أحد آخر غيره وكان يفعل ذلك وفقا لما يراه هو شخصيا أى وفقا لاعتبارات الشخصية حيث كان يتأثر بعلاقته بالقوى العظمى ويحركات التحرر فى دول منطقة الشرق الأوسط والعوامل الاقتصادية والسياسية الداخلية .. وكانت قرارات عبد الناصر بالاتجاه يمينا أو يسارا تعكس انه مازال مركز السلطة وان الأمور مازالت تحت سيطرته وعموما فقد كان سيد مرعى مخلصا ومواليا للرئيس من البداية للنهاية .

الفصل الثالث

العودة للمسرح السياسي

ويبدو ان عبد الناصر يصر على اجراء اختبار اخر في الولاء لسيد مرعى وبالرغم من ظهور صورة سيد مرعى في الصفحة الاولى لجريدة الاهرام وتحتها خبر لقاء عبد الناصر به واعتبره الكثيرون تحذيرا من عبد الناصر لمروجى الاشاعات ضد سيد مرعى الا انه في شهر يوليه من نفس العام قامت المخابرات باللقاء القبض على عمر الاخ غير الشقيق لسيد مرعى بتهمة التآمر مع الاخوان المسلمين لقلب نظام الحكم .

ورغم ان سيد مرعى كان يعمل من وراء الكواليس لتخفيف الحكم الصادر بإعدام اخيه الى السجن إلا أنه حرص على الالتزام بضبط النفس وعدم ابداء أى اعتراض على ما حدث لأخيه او حتى ينسب بكلمة تمس النظام الحاكم كما كان يفعل الكثيرون الذين عانوا في فترة حكم عبد الناصر ولكن في نهاية عام ١٩٦٢ اصبح يمكن القول إن مرعى قد اجتاز بنجاح اختبار الولاء .

ووجد عبد الناصر ان الوقت قد اصبح مناسباً لاستجواب سيد مرعى وطلب من هيك ان يستدعيه وكان اللقاء عاصفاً حيث عبر عبد الناصر عن شكوكه في مرعى واتهمه بأنه « يعمل بعيداً جداً عنه » وطبعاً دافع سيد مرعى عن نفسه ونفى هذا الاتهام ولكن يبدو ان عبد الناصر لا يغير رأيه بسهولة .

وبدا واضحاً ان سيد مرعى يريد ان يتعاون مع النظام وربما عبر عن رغبته انه يريد ان يعود للعمل في القطاع الزراعى ولكن يبدو ان عبد الناصر لم يكن يريد ان يحقق له هذه الرغبة وانه يريد ان يختار له الموقع الذى يعمل فيه ولذلك أخبر هيك انه لا يحب عناد سيد مرعى .

ونتيجة لشكوك عبد الناصر التى لاتنتهى وتسرع فى الحكم ظل سيد مرعى فى منزله لمدة ثلاثة اشهر اخرى حتى مارس عام ١٩٦٣ .

وقام عبد الناصر بتفويض على صبرى لاستجواب سيد مرعى مرة ثانية وكان سؤال صبرى محدداً هل تتعاون مع النظام ورد مرعى بأنه قد حرص دائماً على ان يفعل ذلك .. وفوجيء سيد مرعى بالاخبار السعيدة وهى انه تقررت عودته للحياة العامة مرة اخرى من خلال بنك مصر حيث تم تعيينه عضواً بمجلس ادارة البنك .

وقبل ان يمر شهر بدأت انتخابات الاتحاد الاشتراكي والتي قرر مرعى ان يخوضها مع العضوين محمد رشدي وهو ابن جار منطقة العباسية رشدي بيه واحمد فؤاد الذي ساهم في وضع قانون الاصلاح الزراعي منذ احد عشر عاماً ونجح الثلاثة وحصل سيد مرعى على أعلى الاصوات واصبح الثلاثة يمثلون العاملين بالبنك في الاتحاد الاشتراكي .

وفي صيف العام التالي له خاض مرعى الانتخابات البرلمانية ليفوز بمقعد العائلة في محافظة الشرقية وحصل على ٤١ الف صوت وهو اكبر عدد من الاصوات حصل عليه مرشح .. وقد حقق كل هذه المكاسب في وقت قصير وبغير مساندة من احد .. لكنه عرف ان عليه ان يخطو خطوة لابد منها وهي ان يعمل على تعميق علاقته بأنور السادات .

وكان عبد الناصر قد اختار انور السادات ليكون امينا للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي .. وقام السادات بدوره بمؤازرة مرعى للفوز بمنصب امين مساعد المجلس .. وقد فعل السادات ذلك لأسباب شخصية بحتة اولها انه صديق له من شلة هيكل .. والسبب الثاني ان السادات كان يعلم انه بحكم منصبه الجديد عليه ان يدخل في صراع مع علي صبرى رئيس الوزراء في ذلك الوقت وانه لن يجد حليفا افضل من سيد مرعى بصفته عدو صبرى اللدود .

وقد كان علي صبرى يأمل الا يفوز مرعى بالمنصب فقام بترشيح محمد ابو نصير وهو اليتيم الذى نشأ في بيت عائلة مرعى .. ولكن لم يشأ عبد الناصر ان يترك الفرصة لعلي صبرى للسيطرة على الحكومة والاتحاد الاشتراكي في ان واحد فقام بدعم ترشيح سيد مرعى للفوز بالمنصب .

وكانت خطة جمال عبد الناصر تعتمد على إحداث التوازن بين علي صبرى وحكومته في جانب وأنور السادات وسيد مرعى في الاتحاد الاشتراكي في الجانب الآخر .

وقد انتصر السادات وسيد مرعى في جولة الصراع الاولى مع علي صبرى حيث استطاعا تعبئة شبكة من المؤيدين لهما داخل المجلس .. والمؤكد ان موقف سيد مرعى قد تحسن كثيرا وحدث تقدما ملموسا عندما عينه السادات رئيسا لأهم لجنتين من لجان المجلس وهما لجنة التنمية الزراعية ولجنة الرد على استجوابات واسئلة الاعضاء وكان لهذه اللجنة سلطة استجواب الوزراء وبذلك بدأ سيد مرعى والسادات في مطاردة علي صبرى ووزرائه فيما يتعلق بأنشطة الحكومة ومستوى ادائها .

وقامت لجنة الرد بالفعل باستجواب الوزراء فيما يتعلق بأزمة السلع التموينية ومشاكل الدراسة بالجامعات وفي يونيو عام ١٩٦٥ استطاع السادات ومرعى إجبار على صبرى على تعديل مشروع الميزانية .

وذهب على صبرى يشكو لعبد الناصر من محاولات السادات ومرعى لعرقلة مسيرة الحكومة مؤكدا انهما يعملان على الإطاحة بحكومته .. لكن عبد الناصر رفض التخلص منهما .. ولذلك بدأ صبرى يبحث عن وسيلة أخرى للحد من نفوذ السادات ومرعى في الاتحاد الاشتراكي .

والجدير بالذكر ان عبد الناصر قد قام بتنظيم الاتحاد الاشتراكي في بداية الستينات على نفس طراز الحزب الشيوعي اليوغوسلافي واطاف إليه تنظيما قياديا سريرا يقوم بتحديد اتجاه الدفة للمنظمة الام - وهى الاتحاد الاشتراكي - من خلف الكواليس .

واقترح سيد مرعى في اجتماع بين اعضاء اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي عام ١٩٦٤ - وكان وقتها عضوا باللجنة المركزية - ان تخصص المقاعد الفردية - للاتحاد الاشتراكي - للجمعيات التعاونية الزراعية .. لكن لم يوافق عبد الناصر على هذا الاقتراح حيث كان هناك هدف محدد امامه وهو نشر وحدات وخلايا الاتحاد الاشتراكي بحيث تنتشر في جميع بقاع الجمهورية .

ويبدو ان هذا الاقتراح قد أثار عبد الناصر حيث بدأ يردد في غضب ان الاتحاد الاشتراكي منظمة على مستوى القاعدة وانه سيتم طرد أى شخص يعمل على تقليص دور الاتحاد الاشتراكي او يعمل على الحد من انتشاره .

ووجه جمال عبد الناصر سؤالاً لسيد مرعى : هل اعضاء الجمعيات الزراعية هم في نفس الوقت اعضاء في الاتحاد الاشتراكي واطاف في المجالس القروية؟ فأجاب مرعى ان اعضاء الاتحاد الاشتراكي واطاف مجالس إدارة الجمعيات يتم اختيارهم بنفس الأسلوب وهو الانتخاب .

ويبدو ان عبد الناصر لم يشأ ان تقف التعاونيات على قدم المساواة مع تنظيمه الجديد ولذلك رفض اقتراح مرعى .. بل هدد عبد الناصر بأنه اذا سيطرت التعاونيات على نشاط الاتحاد الاشتراكي سيقوم على الفور بحلها .

وقد استطاع على صبرى ان يلعب بالأوراق بمهارة مما يؤكد انه وجد الوسيلة اخيرا وهى التحكم في الجهاز السرى الذى يدير دفة الاتحاد الاشتراكي حتى انه بدأ يعيد تنظيم احد فروع هذا التنظيم السرى في البرلمان وبذلك تمكن من فصل التيار فأصبح السادات وسيد مرعى وحدهما في جانب وباقي اعضاء المجلس في الجانب

الآخر وبذلك أصبح الرجلان مكتوفى الايدى ولم يعد امامهما الا ان يجلسا ويراقبا ضياع النفوذ والسطوة داخل المجلس .

وقد كان احد اهداف عبد الناصر من انشاء الاتحاد الاشتراكى هو توازن القوى مع المشير عبد الحكيم عامر ورجاله من العسكريين . ولذلك لم يشأ عبد الناصر التدخل لوقف نمو تنظيمه السياسى السرى الذى يتولى امر دفة الاتحاد الاشتراكى . وعلى اى حال فلم يكن انور السادات عضوا فى اللجنة المركزية او اللجنة التنفيذية العليا رغم انه امين الاتحاد الاشتراكى ولذلك لم يكن قادرا على رسم وتوجيه سياسات الاتحاد الاشتراكى كتنظيم .

وفى شهر ديسمبر عام ١٩٦٤ تم تعيين سيد مرعى وكيلا للجنة المركزية لشئون الرأسمالية الوطنية وشارك فى المناقشات التى جرت حول تنظيم الاتحاد الاشتراكى ولكن - للأسف - كان نفوذه ضئيلا داخل هذا التنظيم حتى انه خسر انتخابات اللجنة التنفيذية العليا عام ١٩٦٨ .. وأصبح سيد مرعى والسادات رجالا بلا نفوذ فى جهاز كبير له نفوذ وسطوة وهو الاتحاد الاشتراكى .. وبدا واضحا ان على صبرى قد انتصر فى الجولة الثانية .

الفصل الرابع

قطاع الزراعة

والجدير بالذكر انه في ربيع عام ١٩٦٢ فوجيء الجمهور بعودة سيد مرعى للمسرح السياسى لىؤدى دوره كسياسى بارز على مستويات مختلفة وكان اكثرها بريقا دوره كوكيل للاتحاد الاشتراكى .

وكغيره من السياسيين من أصحاب الطموح بدأ يفرض سطوته على أجهزة الاتحاد الاشتراكى ومن ناحية اخرى بدأ يعمل على فرض نفوذه على القطاع الزراعى مرة اخرى بتقليص نفوذ أعدائه الذين ساهموا فى الاطاحة به عام ١٩٦١ . ويمكن القول إن اقتحام مرعى للقطاع الزراعى أو عزبته القديمة كان يعد مخاطرة بعد أن أصبحت الموضوعات التى تتعلق بقطاع الزراعة موضوعات سياسية فى المقام الاول .. وبالرغم من وجود انصار ومؤيدين لسيد مرعى بالاجهزة الحكومية المسئولة عن تنفيذ السياسة الزراعية الا ان المسئولين عن هذا القطاع فى تلك الفترة كانوا من الد أعدائه .

وكان عبد المحسن ابو النور وقتها يشغل منصب وزير الزراعة واستصلاح الاراضى حيث كان يتمتع بدعم المشير عبد الحكيم عامر ثم انتقل ليعمل تحت مظلة على صبرى منذ منتصف الستينات مما تطلب منه اجراء تعديل فى التوجهات السياسية والايديولوجية الخاصة به من اليمين الى اقصى اليسار

والجدير بالذكر انه فى مارس عام ١٩٦٤ قام على صبرى بتعيين عبد المحسن ابو النور نائبا لرئيس الوزراء ومسئولا عن القطاع الزراعى واستمر فى هذا المنصب حتى ١٩٦٧ وقام أيضا بتعيين محمد نجيب حشاد وزيرا للزراعة - وهو احد رجال كمال الدين حسين - ثم استبدله بعد ذلك بالدكتور شفيق الخشن الذى له باع طويل مع على صبرى والاتحاد الاشتراكى .

ويبدو ان على صبرى وعبد المحسن ابو النور وشفيق الخشن لم يكونوا من المؤيدين لطموحات عبد الناصر بشأن استصلاح الاراضى بعد ان ثبت صعوبة ذلك رغم انه مرتبط فى خيال عبد الناصر بالسد العالى أو بقرة عبد الناصر المقدسة وسبق ان اقنع عبد الناصر بذلك عدد من ضباط الجيش السابقين الذين كانوا يعملون فى

الشركات الحكومية لاستصلاح الاراضى وقد تم تنفيذ خطة استصلاح الاراضى فى هذه الفترة وفقا لمعلومات مضللة وغير صحيحة قدمها هؤلاء الضباط .

وقد سيد مرعى ان يقدم على هذه المغامرة رغم ان عنصر المخاطرة فيها كبير مما يعكس عشقه وحبه لقطاع الزراعة ومما يعكس فى الوقت نفسه أهمية هذا القطاع بالنسبة لمستقبله السياسى خاصة أنه خبير فى السياسات الزراعية كما أن هناك عددا من الموالين له ما زالوا يعملون بالقطاع .. لقد كان سيد مرعى واثقا انه يستطيع تنفيذ خطة هجومية على المسئولين بقطاع الزراعة لانه يتمتع برعاية محمد حسنين هيكل اولا واخيرا .

وتوضح هذه الاحداث الصراع الابدى بين اهل الثقة واهل الخبرة وهو الصراع الذى بدأ يشهد تطورات خطيرة على مدى الشهور التى سبقت نكسة يونية عام ١٩٧٦ وعلى أى حال - فقد كان هيكل من انصار اهل الخبرة وكان المحامى الأوحد الذى يدافع عنهم أمام جمال عبد الناصر .

وقد بنى سيد مرعى شهرته كخبير فنى فى شئون قطاع الزراعة .. بينما كان هيكل على دراية تامة بقاعدة عبد الناصر الخاصة بتوازن القوى بين أصحاب النفوذ فى الحكومة ورغبة عبد الناصر الملحة فى الحيلولة دون سيطرة شخص او مجموعة على قطاع بعينه . وكان هيكل يعلم أيضا أن إلقاء الضوء على أداء سيد مرعى فى مجال الزراعة تحقق له مصالح لا ريب فيها .. وأن عبد الناصر سوف يطالع اقتراحات سيد مرعى فيما يتعلق بقطاع الزراعة على صفحات الأهرام حتى يعرف الفرق بينها وبين سياسات على صبرى وعبد المحسن أبو النور .. والهدف طبعاً هو دفع عبد الناصر لاستبدال أبو النور بالحليف سيد مرعى .

والثير أن الصراع بين سيد مرعى وأبو النور قد بدأ - تحت مظلة حسنين هيكل وحمايته - قبل أن يكسب مرعى جولة إعادة إنتخابه فى الاتحاد الاشتراكى وذلك فى منتصف يوليه عام ١٩٦٤ وذلك حين سمح رئيس تحرير الأهرام لسيد مرعى بتحرير مقالات يشكك فيها فى السياسات الزراعية التى ينتهجها عبد المحسن أبو النور . وبعد مضى أسبوع .. بدأ سيد مرعى سلسلة من المقالات فى جريدة الأهرام بعنوان « نحن الفلاحين » وكان يدافع فيها عن الفلاح المنتج .. اتهم فيها أبو النور بأنه لا يعرف شيئاً عن المشاكل الزراعية الاساسية وهو ما يؤخذ على الضباط الذين يديرون قطاعات فنية .. وكتب أن أبو النور يمثل حكومة لا تهتم بالريف .

وقد بدأ سيد مرعى هجومه فى وقت اشتدت فيه أزمة السلع الغذائية حتى أصبحت بمثابة مرض مزمن ومشكلة سياسية حساسة .

وفي شهرى مارس وابريل من العام التالى اى عام ١٩٦٥ بدأت جريدة الاهرام فى نشر سلسلة أخرى من مقالات سيد مرعى وكانت تتعلق بموضوع آخر أكثر حساسية وهو ملكية الأراضى المستصلحة بعد أن وصلت مساحة الأراضى المستصلحة من مياه السد العالى الى ٥٠٠ الف فدان .

وكان السؤال المطروح هو : من الذى يجب أن يملك أو يحوز هذه الأراضى ؟ .. وكانت وجهة نظر على صبرى وعبد المحسر أبو النور وأصحاب الاتجاهات اليسارية تتلخص فى أن تظل هذه الأراضى مملوكة للدولة على أن يتم استخدامها واستغلالها كمزارع حكومية .. بينما كان البعض الآخر يرى أن تقوم شركات خاصة وحكومية بزراعة هذه الأراضى وحيازتها أو توزيع هذه الأراضى على الفلاحين فى حيازات صغيرة .

وكان سيد مرعى مقتنعا تماما بنموذج الإصلاح الزراعى الذى يتلخص فى توزيع الأراضى على الفلاحين فى حيازات أو إقطاعيات صغيرة خاصة على أن يكون هؤلاء الحائزون اعضاء فى الجمعيات التعاونية الزراعية لتيسير الحصول على مستلزمات الانتاج الزراعى وتسويق الإنتاج .

وقد كان عبد الناصر حريصا على ألا يبوح برأيه فيما يتعلق بهذا الموضوع .. وربما كان الرئيس يفضل توزيع هذه الأراضى على الشركات أو تطبيق نموذج الإصلاح الزراعى .. والشئ المؤكد أنه لم يكن يهتم كثيرا بقضية توزيع الأراضى لأنها لم تكن على قائمة الموضوعات الأكثر إلحاحا بالنسبة للرئيس .

وبلى أى حال فلم يكن سيد مرعى يملك أى وسيلة مباشرة للتأثير فى سياسات أبو النور الذى بدأ يستخدم نفوذه لتحويل هذه الأراضى إلى مزارع حكومية - بينما كان رد الفعل الوحيد المتاح أمام سيد مرعى هو توبيخ عبد المحسن أبو النور على صفحات جريدة الاهرام .

ورغم أن سيد مرعى كان يشغل منصب أمين مساعد الاتحاد الاشتراكى إلا أنه كان يستعد لاقتحام القطاع الزراعى مرة أخرى أو داره القديمة .

وكتب سيد مرعى عدة مقالات بجريدة الاهرام على مدى شهور مارس وإبريل ومايو عام ١٩٦٥ يهاجم فيها أسلوب المزارع الجماعية ويوضح مزايا تطبيق وتعميم نموذج الإصلاح الزراعى .

وذكر فى مقال كتبه فى ٧ مارس أن المزارع الجماعية أو الحكومية فى الاتحاد السوفيتى عبارة عن كابوس من الفشل الرهيب لأنها لاتختلف كثيرا عن نظام السخرة والاستغلال الذى يمارسه كبار الإقطاعيين فى مزارعهم الضخمة .. وأضاف سيد مرعى أن هذه النماذج المستوردة لا تلائم ظروف مصر الاقتصادية والسياسية

والاجتماعية .. وأشار في مقاله .. إلى أن نموذج جمعيات الإصلاح الزراعى قد أثبت كفاءة كبيرة في وادى النيل بالمقارنة بباقى النماذج .

ولتحصيل نفقات استصلاح هذه الاراضى - إقترح سيد مرعى في مقاله - أن تباع الحكومة الأراضى للفلاحين على أقساط وهو أساس نموذج الإصلاح الزراعى . وقد كان للمهندس سعد هجرس - وهو أحد رجال سيد مرعى والذى تم نقله من وزارة الإصلاح الزراعى إلى وزارة التخطيط - دور هو الآخر في مواجهة سياسات عبد المحسن أبو النور حيث أشار في تقييمه للخطة الخمسية الأولى إلى فشل نموذج المزارع الحكومية .. ويبدو أن سعد هجرس لم يجد حرجا في إبداء وجهة نظره فلم يكن هناك أسوأ من ذلك يمكن أن يتعرض له .

والجدير بالذكر أنه في عام ١٩٥٨ قام سيد مرعى - بعد تعيينه وزيرا للزراعة - باختيار محمد صبيح ليكون رئيسا لتحرير جريدة التعاون والمجلة الزراعية . وهى صحف متخصصة تعمل الأولى على تغطية اخبار التعاونيات والمحافظات بينما تهتم الثانية بتقديم كل ما يهم المهندسين الزراعيين . وكانت هذه الصحف تصدر عن مراقبة الصحافة بالإصلاح الزراعى . وكتب صبيح عدة مقالات يشكك فيها في سياسات عبد المحسن أبو النور وأنها لم تؤد إلى أى تطور في قطاع الزراعة .. لكن يبدو أن صبيح قد ذهب بعيدا جدا في إبريل عام ١٩٦٥ حين أشار على صفحات المجلة الزراعية إلى أن المزارع الحكومية نموذج للفشل الذريع .

ويبدو أن مقالات صبيح قد كانت أكثر مما يطيق على صبرى وعبد المحسن أبو النور وآخرين .. وعلى الفور اخذ كمال رفعت - أحد الضباط الأحرار السابقين والذى كان في ذلك الوقت سكرتيرا للاتحاد الاشتراكى لشئون الدعاية والأفكار الاشتراكية - على عاتقه مهمة تقليص نفوذ سيد مرعى في الصحافة الزراعية .

وقد كمال رفعت وضع جريدة التعاون والمجلة الزراعية تحت إشراف الاتحاد الاشتراكى وتعين مصطفى المستكاوى رئيسا لمجلس إدارة المؤسسة وسليمان مظهر رئيسا للتحرير - بدلا من محمد صبيح - وسيد إبراهيم مديرا عاما للمؤسسة مع العلم بأن المستكاوى كان زميلا لخالد محيى الدين أحد الضباط الأحرار .

وبدا مظهر في استخدام وتوظيف صفحات جريدة التعاون والمجلة الزراعية لشرح الأفكار الاشتراكية وتوضيح شعارات مرحلة التحول من الرأسمالية للاشتراكية والعلاقة بين طبقات المجتمع في هذه المرحلة .

ويبدو أن سيد مرعى لم يكن في وضع يسمح له بالدفاع عن حلفائه .. وقد تأكد سيد مرعى من ذلك في أعقاب تطور أحداث نقابة الزراعيين والتى ساهم في تأسيسها تشريعيا عام ١٩٤٩ .

والجدير بالذكر انه في اوائل الخمسينيات قام سيد مرعى بترشيح نفسه نقيبا للزراعيين ولكنه فوجيء بخصم ينازعه منصب النقيب وهو عمر طراف شقيق الدكتور نور الدين طراف العضو السابق في حزب مصر الفتاة والذي كان وثيق الصلة بعدد من الضباط في مجلس قيادة الثورة - وبالفعل - فاز عمر طراف بمنصب نقيب الزراعيين بفضل اتصالات شقيقه .

وعندما بدأ نجم سيد مرعى يلمع في مجتمع الصفوة السياسية لم يعد يهتم كثيرا بشئون نقابة الزراعيين ولكنه لا يريد في نفس الوقت أن يتغلغل نفوذ أعدائه داخل النقابة فتصبح سلاحا موجهها لصدوره .

وفي أواخر عام ١٩٦٥ بدأ على صبرى يمد نفوذه ويعمل على توسيع مملكته في مجتمع الصفوة وبدأ خطواته لوضع نقابة الزراعيين تحت سيطرته وكان إبراهيم شكرى وقتها نقيبا للزراعيين .

واذا أردت أن ترسم صورة بروترية لإبراهيم شكرى فإنه كان يشغل منصب نائب رئيس حزب مصر الفتاة وهو الذى نادى في البرلمان عام ١٩٥٠ بتحديد ملكية الفرد بما لا يزيد على ٥٠ فدانا من الأراضى الزراعية .

وكان سيد مرعى قد تحالف مع إبراهيم شكرى عام ١٩٦٤ عندما كان الأول رئيسا للجنة التنمية الزراعية بالاتحاد الاشتراكى والثانى نائبا لرئيس اللجنة . وقد كان هدف سيد مرعى وشكرى من هذا التحالف تفادى سيطرة عبد المحسن أبو النور على نقابة الزراعيين خاصة أنه كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ومستولا عن كل قطاع الزراعة .

وأصبح من الضرورى أن يسدد إبراهيم شكرى ضريبة مدير التحالف لسيد مرعى .. وحين جاء وقت سداد هذه الضريبة في نوفمبر ١٩٦٥ تقدم أحمد طلعت عزيز للترشيح لمنصب نقيب الزراعيين .

وبعدها بأسابيع بدأت الإشاعة تسرى في دواوين قطاع الزراعة أن أى مهندس زراعى يدلى بصوته الانتخابى لصالح إبراهيم شكرى سينقل لمحافظة الصعيد مع تأخير ترقياته .

وعرف شكرى أن الرياح لن تكون لصالحه وعلى الفور قرر سحب ترشيحه من منصب النقيب .. وتم إعلان فوز أحمد طلعت عزيز نقيبا للزراعيين بالتزكية طبعاً . ومن واقع كشف الأرباح والخسائر عرف سيد مرعى أنه قد خسر اثنين من حلفائه أولهما محمد صبيح فى الصحافة الزراعية وإبراهيم شكرى فى نقابة الزراعيين أى أنه ببساطة فى موقف لا يحسد عليه حيث لم يعد قادرا على حماية أنصاره وحلفائه .. إنه موقف مشابه لما حدث فى أعقاب خروجه من الوزارة عام ١٩٦١ .

وعرف سيد مرعى أن الرياح ليست في صالح السفينة المتجهة لليمين بعد أن تأكد أن محمد حسنين هيكل قد بدأ يفقد نفوذه هو الآخر .

وبات واضحاً أن على صبرى ورجاله قد شرعوا في حملة للتخلص من كل المعارضين لتعود اعلام اليسار لتزفر في ربوع مصر .

وجد عبد الناصر نفسه امام اختيار واحد لا بديل له وهو دعم على صبرى لإحداث التوازن مع المارشال الطموح عبد الحكيم عامر خاصة بعد صعود حزب البعث اليسارى المتطرف لقمة السلطة في سوريا في فبراير عام ١٩٦٦ والخوف من تهديده وانتقال العدوى .

وبدأت شبكة على صبرى تفرض سيطرتها وسطوتها على البرلمان .. وشعر سيد مرعى أن هذا هو نهاية مشواره السياسى خاصة بعد الحادث الذى فرض نفسه على الساحة السياسية في ربيع عام ١٩٦٦ عندما قتل احد ملاك الأراضى الأثرياء والذى ينتمى لعائلة الفقى عضوا بالاتحاد الاشتراكى .

الفصل الخامس

سيد مرعى على وشك التصفية كإقطاعى

وفي مايو عام ١٩٦٦ نشرت الصحف القاهرية اليومية وصفا تفصيليا لمقتل المواطن صلاح حسين وكان له نشاط في الاتحاد الاشتراكى بقريته بواسطة احد اثرياء عائلة الفقى . وربما يكون السبب وراء جريمة القتل هو اتهام بعض افراد عائلة الفقى بالتهرب من قوانين الإصلاح الزراعى .

ووجد عبد الناصر نفسا مضطرا لان يفعل شيئا - وبالفعل - ظهرت عناوين الصحف الصباحية تؤكد « تأسيس لجنة تصفية الإقطاع مرة اخرى » وحرص عبد الناصر ألا يشرف على صبرى على اعمال هذه اللجنة حتى لا يتجه النشاط الى اقصى اليسار .

وقام عبد الناصر بتعيين عبد الحكيم عامر رئيسا لهذه اللجنة خاصة انه محافظ وذو ميول معتدلة .

ويبدو ان اعضاء الاتحاد الاشتراكى قد أرادوا ان يكون لهم دور في هذه الاحداث .. وطالب عبد الحميد غازى امين الفلاحين بالاتحاد الاشتراكى في ذلك الوقت بالاستيلاء على الأراضى التى قام اصحابها بتهريبها بأسلوب غير قانونى واعادة توزيعها على الفلاحين .

وردد فكرى الجزار عضو الاتحاد الاشتراكى أيضا ما قاله غازى .. بل وذهب أبعد كثيرا من ذلك - مما يشكل تهديدا مباشرا لسيد مرعى - حيث طالب باعادة فتح ملفات الإصلاح الزراعى لتحديد اخطاء تطبيق القوانين .. وأشار الى ان هناك اسماء قد اغفلت عمدا مما يشير بأصابع الاتهام للسلطات المسئولة عن ذلك .

ولكن يحدث في بعض الاحيان ما لم يكن في الحسبان حيث لم يوافق عبد المحسن ابو النور نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة والرى والإصلاح الزراعى وعضو كل من الاتحاد الاشتراكى ولجنة تصفية الإقطاع على ذلك .. ويبدو انه رفض ان يقوم اعضاء البرلمان باقتحام العزبة الخاصه به وهى الإصلاح الزراعى وتفتيش الادراج

والعبث بالملفات .. واعلن ابو النور ان اعادة فتح الملفات امر غير ضرورى لأنه تم الاستيلاء فعلا على مليون فدان من ممتلكات الاقطاعيين كما تم ايضا الحد من سطوة عائلة الفقى .

وبالرغم من ان عبد المحسن ابو النور قد اضطر لانقاذ سيد مرعى من المصيدة التى نصبت له بإحكام الا إنه لا يمكن القول انه قد استطاع اجتياز احراش الغابة وخرج سالما .

وتطورت المناقشات فى الاتحاد الاشتراكى الى حد اتهام النظام الحاكم بأنه يشجع ملاك الاراضى على الممارسات التعسفية .. وبذلك لم يعد سيد مرعى قادرا على الدفاع عن مصالح هؤلاء الملاك بصورة علنية ولم يجد امامه حلا الا التزام الصمت . واخيرا وجدها سيد مرعى ولم يكن امامه الا ان يقول ان حادث كمشيش وتطوراته كان نتيجة لمؤامرة اجنبية حاكت ابعادها اسرائيل وحلفاؤها من اجل إحداث انقسام وإضعاف الجبهة الداخلية .

ويبدو ان لجنة تصفية الاقطاع نفسها لا تقر العداء السافر نحو ملاك الاراضى ويفسر ذلك ان عبد الحكيم عامر رئيس اللجنة وعضويتها كمال رفعت وشمس بدران قد رفضوا اقتراح خفض الحد الاقصى للملكية الفرد من الاراضى الزراعية الى ٢٥ فدانا والذى تقدم به على صبرى وعبد المحسن ابو النور وأيدته مجموعة رجال الامن سامى شرف وشعراوى جمعة وصلاح نصر .

وبالرغم من ذلك فقد اكتشف عبد الحكيم عامر ان هناك شيئا ما يجمع بينه وبين على صبرى هو الكراهية الشديدة لسيد مرعى ..

ولذلك اتفقا على ان تقوم لجنة تصفية الاقطاع بالشرقية والمنوفية والقليوبية بالتحقيق لضبط الملاك الذين تحايلوا على قانون الاصلاح الزراعى .

وبدأت عائلة مرعى على الفور فى طرح اراضيها للبيع للمستأجرين الذين يقومون بزراعتها وحيث ان عمليات البيع تتم فى عجلة فقد تمت عمليات البيع بأسعار أقل كثيرا من الواقع .. ويبدو انه كان كل ما يهم العائلة الا تكون فى مرمى نيران لجنة تصفية الاقطاع .

ولم يكن هناك ما يخشاه سيد مرعى فقد تم ترتيب كل شئ وقد قامت اللجنة بحصر الاراضى التى تمتلكها العائلة وتبين لها انه ليس هناك ما يثير الريبة او يدين العائلة .

ولكن يبدو ان اللجنة لم تكتف بذلك حيث توجه أعضاؤها الى قرية العزيزية وبدأوا فى استجواب الفلاحين عن ممتلكات عائلة مرعى .. والمؤكد ان هؤلاء الفلاحين لم يقدموا يد المساعدة لأعضاء اللجنة لأن كثيرا منهم - ان لم يكن اغلبهم - ينتمى لعائلة نصر الموالية لعائلة مرعى وفقا لما تقتضيه روابط القرابة والجذور .

والمؤكد ان اللجنة لا تريد ان تخرج من العزيزية خالية الوفاض .. فقد بدأت في استجواب نساء العزيزية .. وقد شعر سيد مرعى انه في مأزق لا ريب فيه لانه رتب كل شئ مع ابناء قريته ولكنه لم يضع في حساباته موضوع استجواب النساء ولم يعد نفسه لهذا الاحتمال مسبقا .

ولم يجد امامه الا اللجوء لأنور السادات طالبا منه التدخل .. واستجاب السادات واتصل بعلى صبرى تليفونيا وطلب منه أن يوقف نشاط لجنة تصفية الاقطاع في العزيزية على أن يتم استجواب سيد مرعى في وقت لاحق بالطرق والوسائل القانونية .

ويبدو أن على صبرى قد حرص الا يحاول اختبار قوته وعضلاته ضد أنور السادات لان لديه ما يكفيه من المتاعب مع المشير عبد الحكيم عامر ولذلك اعطى أوامره للجنة بوقف التحقيقات .

والكل يوافق طبعا على انه قد تم انقاذ سيد مرعى من كارثة محققة في آخر لحظة .. ومع ذلك فان الوضع مازال يثير القلق حيث فقد نفوذه في وظيفته كأمين مساعد الاتحاد الاشتراكي كما فقد حلفاؤه ورجاله وظائفهم في قطاع الزراعة ونجح أعداؤه في تلطيخ اسمه وسمعته على المستوى القومى كما لم يعد له نفس اللمعان والبريق في مسقط رأسه بمحافظة الشرقية نتيجة لأنشطة وحملات لجنة تصفية الإقطاع .

الفصل السادس

العودة مرة ثانية

والمؤكد أيضا أن هزيمة يونيه ١٩٦٧ قد زلزلت النظام السياسى الناصرى .. وقد فسر البعض سبب حرب ١٩٦٧ بأنه يرجع لخطأ ارتكبه عبد الناصر وهو انحياز مصر الكامل للاتحاد السوفيتى ضد الولايات المتحدة ودفع السياسات الاقتصادية الداخلية نحو اليسار بشكل ملفت للنظر ويبدو أن الهزيمة كانت ضريبة هذا الخطأ . ولاشك أن استقالة جمال عبد الناصر فى ٩ يونيه أو تنحيه وتعيين زكريا محيى الدين خلفا له كانت اعترافا من عبد الناصر بحقيقة هذا النقد أو ذلك التفسير لان زكريا محيى الدين ذو ميل غربية ويتميز بأنه محافظ ومعتدل فى سياساته وبهذا القرار كان عبد الناصر يريد أن يقول إنه اذا كنتم ترفضون عبد الناصر والناصرية فهذا هو البديل الذى ترونه مناسباً .

ويمكن القول إن مظاهرات الجماهير تأييداً لبقاء عبد الناصر ورفضاً لتنحيه تعد دليلاً على أن الغالبية العظمى من الشعب المصرى كانت تفضل عبد الناصر على زكريا محيى الدين أو أى شخص آخر .. مما يعكس أن عبد الناصر مازالت له شعبية .. وقد بدأ عبد الناصر بعد الحرب فى إعادة ترتيب أوضاع الحكم بشكل مختلف وبدأ واضحاً أن الرئيس يحرك تروس الدفة نحو اليمين مما يعنى الحد من نفوذ اليساريين وارسال دعوات لاستدعاء السياسيين القدامى الذين لفظهم النظام فى مرحلة من مراحله .

وعلى أى حال فقد قرر عبد الناصر أن يتجه بالدفة يمينا بعد أن ثبت له عدم كفاءة المشير عبد الحكيم عامر وفشله عسكرياً وقد أصبح عامر خارج السلطة فى نهاية فصل الصيف .

وربما تحقق المصائب بعض المصالح والفوائد للبعض والمؤكد أن سيد مرعى قد تخلص من الصراع والضغط العصبى الذى يتمثل فى لجنة تصفية الاقطاع فيما بعد ٥ يونيه عام ١٩٦٧ ولم يعد يخشى تهديداتها بل أكثر من ذلك أصبح فى إمكانه العودة للمسرح السياسى ليحتل مكاناً مرموقاً فى مجتمع الصفوة السياسية .

ويبدو أنه قد جاء الوقت لبيتسم سيد مرعى خاصة أنه أحد المستفيدين بشدة من رغبة عبد الناصر وقراراته بالتخلص من رجال عبد الحكيم عامر في الحكومة .
والشيء المؤكد أن الوقت قد حان لدفع عبد المحسن أبو النور من أعلى إلى أسفل وقد كان أبو النور يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة والرى والاصلاح الزراعى بينما أصبح فى التشكيل الوزارى الذى تم فى ١٩ يونيه ١٩٦٧ وزيراً لاستصلاح الأراضى فقط .

ونظرا لتدهور العلاقات بين عبد الناصر والمشير عامر على مدى شهور الصيف عاد عبد الناصر مرة أخرى ليصطدم بأبو النور .
وقد اقترح عبد المحسن أبو النور تشكيل قوات من المواطنين للمقاومة الشعبية لمواجهة تهديدات اسرائيل فى اعقاب ايام الحرب فهناك عبد الناصر على الاقتراح الجدير بالاعتبار وطلب منه أن يشرف بنفسه على المقاومة الشعبية ووجدها « أبو النور » فرصة ليركب موجة الحماس والبطولة ولم يكن يعلم انه فح نصبه عبد الناصر باقتدار .

وطلب عبد الناصر من «أبو النور» ان يستقيل من الوزارة حتى يتسنى له أداء دوره الجديد كمسئول عن المقاومة الشعبية بكفاءة وحيث يعطى كل اهتمامه للوظيفة الجديدة واعترض أبو النور مؤكدا أنه يمكنه الجمع بين الوظيفتين وفجأة تحول اقتراح عبد الناصر إلى أمر .

والمضحك والمثير في آن واحد أنه لم يتم تشكيل أية فرق للمقاومة الشعبية على الإطلاق بناء على أوامر عبد الناصر أيضا .

وفى شهر أغسطس من عام ١٩٦٧ أضاف عبد الناصر وزارة استصلاح الأراضى إلى وزارتى الزراعة والاصلاح الزراعى التى أصبح سيد مرعى يتولاها منذ تشكيل ١٩ يونيه .

وبعد أن جنح عبد الناصر بدفة الحكم نحو اليمين اراد أيضاً أن يعطى ثقته للبرجوازي الذى كان محاصرا ومعزولا فى فترة سابقة ولذلك أعطى عبد الناصر أوامره لسيد مرعى فى ٢٦ يوليه ١٩٦٧ بأن يعمل على إعادة الأراضى الزراعية التى استولت عليها لجنة تصفية الاقطاع إلى المواطنين مرة ثانية وعلى أن يتم ذلك فى هدوء علما بأن اللجنة كانت قد استولت على أرض تخص ٨٨ مواطنا وقتها .

وعاد سيد مرعى مرة أخرى ليفرض سطوته على قطاع الزراعة وقد استقبله آلاف العاملين بوزارة الزراعة فى صباح يوم ٢٠ يونيه استقبالا حارا وأخذوا يرددون « مرعى .. مرعى » وكان ذلك دليلا على عودة الايام الخوالى .

وبدا على الفور فى إعادة تشكيل فريقه فقام باستدعاء سعد هجرس من وزارة التخطيط وبدأ يدفع برجال عبد المحسن أبو النور نحو الحائط ليحل محلهم رجاله

وأفراد شلته والذين ذاقوا مختلف ألوان العذاب في ظل إدارة أبو النور لقطاع الزراعة على مدى ست سنوات كاملة وعلى أي حال فقد تم تعيين سعد هجرس في وظيفته القديمة كرئيس لهيئة الإصلاح الزراعي .

ويبدو أن سيد مرعي قد بدأ يتصرف بحرية ودون خوف من العواقب الوخيمة فبدأ يفكر في إمكانيات إعادة تمليك أراضي مديرية التحرير للعاملين فيها بعد أن أعيدت هذه الأراضي للملكية الدولة بعد خروجه من الحكومة عام ١٩٦١ .

وبعد أسبوع واحد من عودته للوزارة قام بالفعل بخطوات لتوزيع أراضي جنوب التحرير على الفلاحين الذين يعملون بها وفي ٢٥ يونيو أعلنت الصحف عن بدء توزيع هذه الأراضي .

وعلى أي حال فقد كان سيد مرعي يعارض بشدة الاستثمارات الباهظة التي كانت تنفق في استصلاح الأراضي في فترات سابقة ولذلك أخذ على عاتقه عقب توليه مقاليد الوزارة العمل على وقف هذه الخطط الطموحة .

وأعلن في ٢٧ نوفمبر ١٩٦٧ أن أولوية استصلاح واستزراع الأراضي الجديدة ستعطى للأراضي التي تم إمدادها بمشروعات الري والصرف وأن الأولوية للأراضي الرملية قبل الأراضي الرملية .

وأشار أيضاً في تصريح له إلى أنه لن يتم استخدام أساليب الري بالرش في زراعة أراض جديدة لأنها تكنولوجيا مكلفة وثبت عدم كفاءتها وهي تكنولوجيا الري التي كان يفضلها ضباط الجيش الذين كانوا يعملون في استصلاح الأراضي منذ الأيام الأولى لمشروع مديرية التحرير .

وللحد من سلبات التوريد الحكومي الذي أضافه عبد المحسن أبو النور على تسويق القطن اقترح سيد مرعي أن تقوم شركات قطاع خاص بشراء القطن مباشرة من المنتجين لتوفير أسعار مجزية للفلاحين .

والمؤكد أن الجمعيات التعاونية الزراعية تعد وثيقة الصلة بسيد مرعي وبشهرته في قطاع الزراعة وقد حاول عام ١٩٦٥ أن يقنع عبد الناصر بأن تكون هذه التعاونيات هي التنظيمات الوحيدة في القرى بدلا من وحدات الاتحاد الاشتراكي ولكنه لم ينجح في ذلك .

وقد كان أعداء سيد مرعي والذين كانوا يهيمنون على قطاع الزراعة ينظرون للتعاونيات نظرة مختلفة حيث كانوا يستخدمونها في إثارة المستأجرين من الفلاحين ضد ملاك الأراضي بينما كانوا يفضلون تنظيمات الاتحاد الاشتراكي لتكون التنظيمات السياسية الوحيدة على مستوى القرى .

وبدأت مظاهر الفساد تستشري في الجمعيات التعاونية الزراعية في عصر ابو النور وبدأ واضحا ان أعضاء مجالس ادارة هذه الجمعيات هم السبب في ذلك علما بأن ٨٠ ٪ من أعضاء هذه الجمعيات وفقا لقانون التعاون الذي صدر عام ١٩٥٦ كانوا من صغار الفلاحين الذين لا تتعدى ملكياتهم الخمسة افدنة وكان ذلك في حد ذاته يعد مرضا متوطنا في هذه الجمعيات .

وفي صيف عام ١٩٦٧ عرف سيد مرعى ان عليه ان يفعل شيئا لتحسين وضع التعاونيات حيث كان لها دور حيوى في توزيع مستلزمات الانتاج الزراعى ومنها القروض على الفلاحين وتقوم في نفس الوقت بشراء المحاصيل من الفلاحين أى تشرف على مدخلات ومخرجات الانتاج الزراعى بكفاءة عالية .

وقد كان الموقف يستدعى اتخاذ الخطوات الكفيلة بتصحيح أوضاع التعاونيات وعلى أى حال فقد كان اليساريون يعتقدون ان أزمة الحركة التعاونية ترجع لغياب الديمقراطية وزعموا ان جهات الإشراف أو الحكومة هى التى تسيطر على التعاونيات وتديرشئونها وليس أعضاء مجلس الإدارة .

وأخذ هؤلاء اليساريون يرددون ان سيد مرعى لديه خطة لاعادة تنظيم التعاونيات يحتفظ بها في درج مكتبه وعبروا عن خشيتهم ان هذه الخطة تتضمن إلغاء نسبة ٨٠ ٪ من صغار الفلاحين في عضوية مجالس ادارة الجمعيات أو إلغاء انتخاب أعضاء مجالس ادارة الجمعيات وتحويلهم لأعضاء بالتعيين وبالتالي زيادة نفوذ رجال سيد مرعى وسطوتهم على الجمعيات الزراعية أى ان سيد مرعى ببساطة يريد ادارة هذه الجمعيات بمعرفته .

وقد أشار الكاتب حلمى ياسين على صفحات مجلة الطليعة وهى المجلة الشهرية لليسار المصرى في مقال له في سبتمبر ١٩٦٨ إلى ان سيد مرعى قد ذكر في خطاب القاه في شهر أغسطس في أسبوط انه يجرى حاليا دراسة أسلوب تشكيل مجالس ادارة الجمعيات سواء بتعيين عناصر جيدة يراعى فيها الكفاءة أو بالانتخاب وفقا للمناطق الجغرافية حتى لا يكون للعائلات تأثير في هذه الانتخابات .

وأوضح الكاتب حلمى ياسين في مقاله ان سيد مرعى يفضل مبدأ التعيين وانه يملك النفوذ الذى يتيح له تنفيذ ذلك فى التوالى واللحظة ويعنى ذلك ان رجال الحكومة سوف يسيطرون على الجمعيات وأشار في مقاله أيضاً إلى ان مبدأ تعيين أعضاء مجالس ادارة الجمعيات يتناقض مع الدستور .

ويبدو ان هذا الهجوم قد جعل سيد مرعى أكثر حذرا في خطواته وان عليه ان يتفكرس الوجوه من حوله مما يعنى ان شهر العسل في قطاع الزراعة قد وصل إلى نهايته .

الفصل السابع

التقلبات السياسية في السنوات الأخيرة لعصر عبد الناصر

واذا تقلص اليسار فلا نتوقع اختفاءه تماما .. اذ ان ذلك يعنى ان اليسار المصرى مازال موجودا فى مكان ما على الساحة وعندما اعطى عبد الناصر اوامره ليسد مرعى بان يرد للفلاحين اراضيهم التى سلبتها لجنة تصفية الاقطاع قام مرعى بتكليف سعد هجرس باداء هذه المهمة فى سرعة وبهدوء بعيدا عن الصحافة . ويبدو ان لهذا الموضوع ابعادا لاحدود لها .. فقد قام سامى شرف مدير شبكة المخابرات الخاصة بعبد الناصر وحليف على صبرى باستدعاء سعد هجرس وأمره بوقف عمليات اعادة الاراضى لأصحابها باستثناء بعض حالات قليلة لم تتم فيها إجراءات نزع الملكية بالكامل .

ولم يجد سيد مرعى امامه الا ان يتصل بالرئيس واخبره عبد الناصر انه لم يصدر اليه الاوامر باعادة الاراضى لأصحابها بالكامل ولكنها بعض الحالات فقط مما يدل على انه قد تم ارغام عبد الناصر على التسليم والمصالحة مع جبهة اليسار . واذا كان عبد الناصر يرضى بالحلل الوسط فإن سيد مرعى لا يسلم بسهولة ولذلك اعطى أوامره لسعد هجرس بتكوين لجنة فنية فى وزارة الاصلاح الزراعى يكون الهدف منها جمع المعلومات عن الحالات التى تم فيها مصادرة الاراضى والتى وصل عددها الى ٢٣٤ حالة مصادرة لعرضها على اللجنة السياسية بالاتحاد الاشتراكى والتى يرأسها كمال رفعت .

وقد توصل سعد هجرس الى معلومات على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة لسيد مرعى حيث تعمل على تعزيز موقفه او تجعله مسلحا بالأسانيد والبراهين كما يقولون . وتبين انه تم مصادرة اراضى ٣٣٤ مالكا منها ٢٥ حالة مصادرة تمت على مدى قانونى الاصلاح الزراعى ١٩٥٢ - ١٩٦١ بينما قامت لجنة تصفية الاقطاع وحدها بمصادرة ٣٠٩ حالات لاسباب سياسية محضة وبالرغم من ان هذه المعلومات ترسم

صورة واضحة لما حدث الا ان اللجنة السياسية بالاتحاد الاشتراكي قد رفضت ان تعطى سيد مرعى الضوء الاخضر لاعادة توزيع الاراضى التى تمت مصادرتها إلى اصحابها .

ولكن يبدو ان سيد مرعى قد شعر فى هذه الفترة انه مازال يقف على ارض صلبة وانه ليس فى موقف الضعيف ولذلك امر مساعديه بالاستمرار فى اعادة الاراضى المصادرة لأصحابها وهى عملية استمرت حتى نهاية عصر عبد الناصر بالرغم من عدم وجود ضوء اخضر .

وبالرغم من معارضة رجال الرئيس أمر سيد مرعى مساعديه بالاستمرار فى اعادة الاراضى التى استولت عليها لجنة تصفية الاقطاع لأصحابها لانه يعرف ان رأى العام يؤازر خطواته .

واكتشف على صبرى وحلفاؤه أن غريمهم مرعى يحكم قبضته على الوزارة وانه يصلح ويجول فى حرية وينفذ خطته بإعادة الاراضى - التى قاموا بالاستيلاء عليها عن طريق اللجنة - لأصحابها .. لذلك بدأوا فى البحث عن وسيلة لعرقلة نشاط سيد مرعى .

وبدلاً من معارضة سياسته بخصوص إعادة الاراضى لأصحابها .. بدأوا يبحثون عن أخطاء أخرى له فى قطاع الزراعة طالما ان رأى العام يسانده فى هذه القضية .

وعقدت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي جلستها فى ١٢ فبراير عام ١٩٦٩ واتهم الاعضاء سيد مرعى بانحيازه الواضح للإقطاعيين حيث قام بإلغاء عقود إيجار الاراضى قبل إعادتها لأصحابها - أى ان أصحابها قد تسلموها خالية رغم انها كانت مؤجرة - وانه بذلك قد ألغى الحقوق المشروعة للمستأجرين وهى الحقوق التى أصبحت أكثر أهمية من حقوق الملاك أنفسهم وفقاً لقانون الاصلاح الزراعى عام ١٩٥٢ .

وفى محاولة لاحراج سيد مرعى .. أعلن أحد اعضاء اللجنة المركزية انه تم إعادة الاراضى التى سلبتها اللجنة من عائلة الفقى وهى العائلة التى تسببت فى تشكيل اللجنة العليا لتصفية الاقطاع بعد ان قام افرادها بقتل عضو الاتحاد الاشتراكي والتى بعدها بدأت موجة مصادرة أراضى الاقطاع .. ووجهت اللجنة إتهاماً آخر لسيد مرعى وهو ان وزارة الاصلاح الزراعى قد قامت ببيع - حقائق الفاكهة المملوكة لها - لكبار ملاك الاراضى .

وقد دفع سيد مرعى نفسه امام اللجنة المركزية مؤكدا انه لم يتم بإلغاء أى عقود إيجار .. وإنما حصل هؤلاء الملاك على حكم قضائى بطرد هؤلاء المستأجرين من اراضيهم وان وزارته لا شأن لها بذلك .

وقال مرعى : انه تم بيع بعض مساحات من البساتين المملوكة لوزارة الاصلاح الزراعى لخفض النفقات الإدارية خاصة انها مساحات هاشمية .
وعلى اى حال كان لهذا الاستجواب تأثير سىء على مكانة سيد مرعى فى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وفى مجتمع الصفوة السياسيه مما يؤدى فى الغالب لفقدان النفوذ .

وبدأ هجوم آخر غير مباشر على سيد مرعى من خلال جريدة الجمهورية - وهى الجريدة اليومية التى يسيطر عليها على صبرى - حيث بدأت الجريدة حملة صحفية عن الظروف السياسيه والاجتماعية عن القرية المصرية واختار الصحفيون ١٠ قرى من بينها قرية العزيزية بمحافظة الشرقية وهى مسقط رأس سيد مرعى .
وذكر التحقيق الصحفى الذى نشر على حلقتين فى ١٣ يونيه و ٢٠ يونيه ان منصب العموديه فى العزيزية قد ظل فى ايدى اغنى عائلة فى القرية على مدى ما يزيد على مائة عام وطبعاً لم يكن من الصعب على القارىء ان يعرف ان المقصود هما عائلتا مرعى ونصر .

واشار التحقيق الصحفى على صفحات الجمهورية ان الجمعية الزراعية بالعزيزية يسيطر عليها اثنان من افراد العائلة أحدهما يملك ثمانية أفدنة والثانى يملك ما يزيد على ٥٠ فداناً مع ان القانون ينص على الا تتجاوز ملكية عضو مجلس ادارة الجمعية خمسة أفدنة .. مما يعنى ان سيد مرعى قد خرق قانون الاصلاح الزراعى فى قريته .

واصبحت صورة عائلة مرعى انها جزء لا يتجزأ من الاقطاع الذى كان يسيطر على الحياة فى الريف ويتجاهل حقوق الفلاحين .

وكان هناك دليل آخر على انخفاض وتدهور اسهم سيد مرعى فى التشكيل الوزارى الذى اعلن فى مارس ١٩٦٨ تم اختيار محمد بكر أحمد ليكون وزيراً لاستصلاح الاراضى مما يعنى انكماش نفوذ مرعى ليشمل وزارتى الزراعة والاصلاح الزراعى فقط .. خاصة ان محمد بكر أحمد كان خارج منطقة نفوذ مرعى حيث كان هناك ما يربطه بعبد المحسن ابو النور والمهندسين الزراعيين الذين كانوا يعملون معه بقطاع الزراعة .

وتلقى مرعى ضربة اكثر ضراوة فى وقت لاحق من نفس العام حيث شجعه زملاؤه فى الوزارة عزيز صدقى وحسن عباس زكى على ترشيح نفسه عضواً باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى .. وهى اللجنة التى تتكون من ثمانية اعضاء وتقوم بادارة شئون الاتحاد الاشتراكى .

ويبدو ان على صبرى وعبد المحسن ابو النور قد قاما بالتخطيط لتربيط العملية الانتخابية بحث تؤدى لهزيمة ساحقة لسيد مرعى - وقد حدث بالفعل - حيث حصل

سيد مرعى على ٣٣ صوتاً بينما حصل على صبرى على ١٣٤ صوتاً وحصل ابو النور على ١٠٤ أصوات ونجح ايضا في هذه الانتخابات لبیب شقير وضياء الدين داوود وباقي فريق على صبرى .

وبعد ان فقد نفوذه بالاتحاد الاشتراكى وجد امامه اتهاماً بالتعاطف مع الاقطاع .. وربما كلفه هذا الاتهام غالیا حيث منعه من ترشيح نفسه في الانتخابات البرلمانية التي جرت في يناير ١٩٦٩ .

وربما تتوالى الكوارث مع الجراح الفائرة حيث قام على صبرى بتعيين محمد ابو نصير - الذى تربطه صلة قرابة بعائلة مرعى وتسبب في الاطاحة بحسن مرعى شقيق سيد مرعى من وزارة الاقتصاد والصناعة عام ١٩٥٤ - وزيرا للعدل في الحكومة التي شكلت في مارس عام ١٩٦٨ .

وبدا ابو نصير منذ اليوم الاول لتوليهِ الوزارة في رصد تحركات القضاة والعمل على إزعاجهم .. وادعى لعبد الناصر ان القضاة الذين ينتمون للعهد البائد - والذين يرتادون نادى القضاة بصفة منتظمة - يتآمرون ضد النظام .. والدليل على ذلك انهم يصدرن الاحكام القضائية لصالح الاغنياء الساخطين على نظام هذا النظام . وعلى الفور بدأت الشكوك تراود سيد مرعى بأن ابو نصير يريد تبريرا لما سيفعله وهو اجراء حملة تطهير واسعة النطاق للتخلص من القضاة الذين لا يقدمون له فروض الولاء والطاعة .

وذهب سيد مرعى ليوضح وجهة نظره لعبد الناصر بخصوص نادى القضاة .. ومع ذلك استمرت عمليات التطهير مما يعنى ان تأثير سيد مرعى على عبد الناصر لا يوازي ابدأ حظوة ونفوذ على صبرى .

ويبدو أن مبدأ عبد الناصر الخاص بتوازن القوى قد اقتضى توجيه دفة الحكم نحو اليسار لصالح على صبرى .. والدليل على ذلك خطاب الرئيس عبد الناصر في افتتاح المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى في يولييه عام ١٩٦٩ حيث اعلن عن اصدار قانون جديد للاصلاح الزراعى بتخفيض الحد الاقصى للملكية من مائة فدان الى خمسين فداناً وكان على سيد مرعى بصفته وزيرا للاصلاح الزراعى ان يقوم بتنفيذ قانون عبد الناصر مما يعنى مصادرة ٢٨,٥ الف فدان اخرى .

وربما كان التوازن يعنى الكثير بالنسبة لعبد الناصر حيث اشار في نفس الخطاب الى ان مبدأ الملكية الخاصة ليس هدفا او مثارا للهجوم .. وان هناك سياسة جديدة بشأن تمليك الاراضى المستصلحة يراعى فيها ان تحقق هذه الاراضى اعلى انتاجيه ممكنة من خلال الافراد والشركات القادرة على استخدام التكنولوجيا المناسبة

لتحقيق هذه الانتاجية .. وان الدولة - في نفس الوقت - ستقوم بزراعة مساحات من هذه الاراضى فيما يطلق عليه المزارع الحكومية .

وقامت الحكومة في إطار سياسة التوازن بإصدار قانون جديد للتعاون .. وسمح هذا القانون بزيادة الحد الاقصى للملكية عضو مجلس ادارة الجمعية الى عشرة افدنة بدلا من خمسة افدنة .. ونص القانون الجديد على ضرورة ان يجيد عضو الجمعية القراءة والكتابة والا يكون مدينا لاي جهة او افراد .

والمؤكد ان هذا القانون يحد من فرص فوز صغار الفلاحين بعضوية مجالس ادارة الجمعيات - وعلى حد قول احد المراقبين - فإن الفرد الذى يملك عشرة افدنة في القرية يعد من الاثرياء وهو بالضرورة وحكم الواقع ينتمى للاقطاع المستغل القديم .. وتتحكم هذه الطبقة في شئون التعاونيات يعنى حرمان الفلاح البسيط من خدماتها . ويحد ذلك بشهر واحد بدا واضحا ان دفعة الحكم تتجه يمينا حيث قام عبد الناصر بإرغام محمد ابو نصير - رجل على صبرى - على تقديم استقالته بعد ان ذاع صيت ممارساته غير القانونية ضد القضاة حتى ان بعضهم قد تعرض للاعتقال بجرة قلم من ابو نصير .

وفي بداية شهر سبتمبر استدار عبد الناصر للرفيق على صبرى نفسه حيث فوجئ بحجز حقائبه ومتعلقاته فور عودته من الاتحاد السوفيتى بتهمة الهرب من سداد الرسوم الجمركية - اتهام غريب في حد ذاته - وتمت الاطاحة به من وظيفته في الاتحاد الاشتراكي .

ويبدو ان صحة عبد الناصر قد اخذت في التدهور حيث بدأت الاوضاع العسكرية تتفاقم في الجبهة مع اسرائيل كما زاد نفوذ الروس نتيجة للدعم العسكرى المستمر وتدخلهم المباشر في عمليات حرب الاستنزاف .. مما يعنى تحول مركز الجاذبيه السياسية نحو اليسار بحكم الضرورة - وطبعاً يعنى هذا ايضا الا يترك على صبرى - « مفتاح الاتصال » - مع السوفيت « على الرف » .

وفي ٢٦ ابريل عام ١٩٧٠ اعلن عبد الناصر تعيين على صبرى رئيسا للجنة الشئون الخارجية - التى تم تأسيسها حديثا - بالاتحاد الاشتراكي .. وفي ١٧ مايو اعلنت الصحف ان صبرى سيمثل مصر في احتفالات الاتحاد السوفيتى بالعيد المئوى لمولد لينين .. وفي ٢٩ يونيه تم تعيين صبرى مستشاراً لشئون الدفاع برتبة عسكرية شرفيه عليا - وبالطبع - لم تنشر الصحف المصرية شيئاً عنها .

وكان على سيد مرعى ان يواجه تهديداً آخر بحكم علاقته الفريدة . بمحمد حسنين هيكل الذى كتب مقالا في اهرام الجمعة اشار فيه الى ان العلاقة المصرية السوفيتية لم تثمر شيئا ملموسا ولم تحقق الجدوى المتوقعة .. وبدأ هيكل يلمح في مقاله لمراكز القوى وزوار الفجر .. وهى النقطة السوداء في تاريخ اليسار .

وعلى أى حال فقد كانت المعارك بين هيكل واليساريين على صفحات جريدتى الاهرام فى جانب والجمهورىة - التى يسيطر عليها الاتحاد الاشتراكى - فى جانب آخر .

وتستمر المعارك بين الجانبين .. ويبدو ان صبر عبد الناصر قد نفذ مما يعنى انه سوف يفعل شيئاً لوقف حدة المعارك بين الجانبين .. مما يشير الى ان هيكل وأعداءه قد ذهبوا الى ابعد مما يتصورون على حد اعتقاد سيد مرعى نفسه .

وقد صدرت الاوامر باعتقال جمال العطيفى « العقل المفكر » لحسنين هيكل فى الاهرام ولم يتم الافراج عنه الا بعد اسبوع من تولى السادات مقاليد السلطة فى مصر .. وكان العطيفى يقوم بدور الوسيط للمصالحة وايجاد سبل التفاهم بين عبد الناصر وهيكل مما يعنى ان الاحوال بينهما لم تعد على ما يرام .

وفى شهر ابريل عام ١٩٧٠ بدا واضحا ان ايام هيكل الخوالى قد وصلت لنهايتها وانه على شفا حفرة من نار حيث تم اعتقال لطفى الخولى الكاتب بالاهرام ورئيس تحرير مجلة الطليعة اليسارية والسيدة نوال المحلاوى السكرتيرة الخاصة لمحمد حسنين هيكل .

وبعدها بايام أعلنت الصحف انه تم تعيين هيكل وزيرا للاعلام مما يعد ضربة قاضية . وبحلول صيف عام ١٩٧٠ اصبحت الصورة العامة تدعو للحزن حيث عاد على صبرى لممارسة نفوذه بعد الفضيحة التى تعرض لها .. بينما لم يعد هيكل قادراً على حماية سكرتيرته الخاصة وبعد ان كان ملكا متوجا على الاهرام اصبغ يشغل وظيفة وزارية متواضعة .

وصدر قرار جمهورى بتعيين انور السادات - حليف سيد مرعى - نائبا لرئيس الجمهورىة - وعلى أى حال - فقد تم تعيين السادات فى هذه الوظيفة نتيجة لأسباب خاصة وليس نتيجة لقوة شخصيته - وبالفعل - لم يكن لهذه الوظيفة أى نفوذ طالما ان عبد الناصر على قيد الحياة .

وفى فصل الصيف بدأت الشائعات كفقاعات الصابون فى القاهرة ان هناك قانونا جديدا للاصلاح الزراعى على وشك الصدور وان هذا القانون يحدد الحد الاقصى للملكية الزراعيه بنحو ٢٥ فداناً او حتى اقل من ذلك .. وان الاراضى التى سيتم مصادرتها ستتحول الى اراض حكومية .

وسواء كانت شائعات ام حقائق مجردة فإنها على الاقل تعكس ان اليساريين قد احكموا قبضتهم على السلطة .

ويتدخل القدر مرة اخرى لتغيير الاوضاع بأسلوب درامى لصالح سيد مرعى - طبعاً - حيث يموت عبد الناصر ويتولى السادات الرئاسة .

الباب الثامن

مدير سياسي ودبلوماسي
في عصر السادات

الفصل الأول

دور الوسيط السياسى

ومن المتناقضات ان يكون سيد مرعى مسئولا عن تطبيق سياسات الثورة بشأن
الاصلاح الزراعى .. ثم يتولى مسئولية تنفيذ سياسات التحرر الاقتصادى فى فترة
حكم السادات .

وقد كان هذا التحول نتيجة تغير النظام وعلاقة مرعى الوثيقة بأنور السادات ..
ويرصد المراقبون ظاهرة على جانب كبير من الاهمية فى عصر السادات حيث لم يعد
هناك حاجة لأهل الخبرة بعكس ماكان عليه الحال فى فترة حكم عبد الناصر .
وعلى اى حال فقد تميز عصر عبد الناصر بجهود التنمية فى جميع المجالات
فأصبح سيد مرعى معروفا على سبيل المثال بأنه الاب الشرعى للاصلاح الزراعى
واشتهر عزيز صدقى بأنه رجل الالف مصنع وظلت هذه الالقاب والصفات ملازمة
لاصحابها حتى نهاية عصر السادات مما يوحى ان عصر السادات لم يضيف جديدا
لرصيد هؤلاء الرجال .

ويسجل التاريخ انه لم تكن هناك مشروعات تنمية ضخمة تذكر فى عصر
السادات وبالتالي لم يعد هناك حاجة لأهل الخبرة او أهل العلم فى قائمة رجال
الحكومة .. اى انه لم يعد امام أهل الخبرة فرصة على مدى عصر السادات لتكوين
امبراطوريات او مراكز قوى او بناء شهرة جديدة كما كان الحال فى الايام الخوالى او
عصر عبد الناصر .

ويمكن اعتبار نظام الرئيس السادات بأنه كان نظاما مدنيا وليس عسكريا كما
لم يكن له ثقل كسلفه وربما كان ذلك سببا للحدرد حتى ان اصحاب الطموح السياسى
من امثال عزيز صدقى ومحمد حسنين هيكل قد اصبحوا يشكلون تهديدا على الرئيس
السادات حيث لم يعد الجيش يهيمن على النظام كما كان الحال ايام عبد الناصر
وبالتالى فانه لاداعى لترك الحبل على الغارب لأهل الخبرة من السياسيين السابقين .
ويشير المؤرخون الى نمو القطاع الخاص على حساب القطاع العام مما أدى
لفقد القطاع العام الكثير من مميزاته وجاذبيته فى عصر السادات فأصبح اصحاب
الطموح السياسى يلهثون للانضمام للأحزاب السياسية لتحقيق مصالحهم السياسية
ويمارسون الاعمال الحرة لتحقيق مصالحهم الاقتصادية .

وبينما كانت هناك كلمات لا يسمح باستخدامها في عصر عبد الناصر مثل كلمة « سياسة » او سياسات حيث كانت من الكلمات القذرة والتي لها صلة بالفساد في العهد البائد .. وكان يستخدم بدلا منها كلمة ادارة ولكن عادت كلمة سياسة لتستخدم في عصر السادات مما يعكس حاجة السادات لوزراء سياسيين اكثر من حاجته لوزراء من اهل الخبرة .

وقد كان السادات يعتمد على سيد مرعى بصفته خبيرا سياسيا ولكن دوره كان يختلف دائما عن دور أمثاله من السياسيين في ذلك الوقت كممدوح سالم وفكرى مكرم عبيد ومصطفى كامل مراد ومحمود ابو وافية حيث كان سيد مرعى اكثر استقلالا في اداء دوره نظرا لعلاقته الفريدة بالسادات .

والجدير بالذكر ان انور السادات كان قد التقى بسيد مرعى للمرة الاولى في بيت الكاتب الشهير إحسان عبد القدوس عام ١٩٥٢ وتوثقت العلاقات بينهما خلال عملهما معا بالاتحاد الاشتراكي في منتصف الستينيات وبالطبع زادت قوة في صيف ١٩٧٥ بزواج « حسن » نجل سيد مرعى من « نهى » ابنة السادات .

وعلى اى حال فقد لمس السادات على مر السنوات مدى ولاء سيد مرعى لسلفه عبد الناصر مما جعله يطمئن اليه ويعطيه قدرا اكبر من الحرية السياسية من التي يعطيها لاي فرد اخر من اعضاء حاشيته .

ويتميز سيد مرعى بأنه يستطيع ان يبتعد في بعض الاحيان عن السياسات الرسمية وبقدرته على الاتصالات الشخصية مما جعله اكثر قدره من غيره على القيام بدور « الوسيط » بين السادات والعديد من الاشخاص او بين السادات وقيادات احزاب المعارضة .

وقد أصبح دور سيد مرعى « كوسيط سياسى » حيويا وعلى درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة للسادات خاصة فيما يتعلق بتنفيذ الحملة التي تبناها منذ بداية عصره لتحرير السياسات المصرية .. ولذلك اخذت اسهم سيد مرعى تملو وتهبط وفقا لارتفاع وانخفاض اسهم سياسات التحرر الاقتصادى والسياسى على مدى عصر السادات .

وعندما بدأ السادات في تنفيذ سياسته بشأن النشاط السياسى وتعدد الاحزاب قام على الفور بتعيين سيد مرعى لادارة النشاط السياسى وحين تعدى هذا النشاط الحدود التى سمح بها الرئيس تم استبدال سيد مرعى بسياسى آخر صلب لا يلين وهو « ممدوح سالم » الذى كانت مهمته إرهاب اعضاء المجلس وليس العمل كوسيط بينهم كما كان يفعل سيد مرعى .

الفصل الثانى

فى أعقاب موت عبد الناصر السادات .. أم على صبرى

وعندما قام السادات بحملة تطهير ضد على صبرى وشعراوى جمعة وزير الداخلية وسامى شرف مدير مخابرات رئاسة الجمهورية وحلفائهم لم يكن احد يتوقع من الذى سيكسب الجولة حتى مايو ١٩٧١ .

فقد كان النظام الهش للخليفة الجديد وشراسة المنافسين توحى للوهلة الاولى ان السادات سوف يطرح أرضا أو يلقي هزيمة ساحقة حيث كان السادات معروفا فى ذلك الوقت بأنه « الكولونيل » الذى لا يعارض أبدا وذلك من واقع تسليمه بكل الآراء التى يطرحها عبد الناصر .

وعندما احتدم الصراع بين الجانبين فى بداية عام ١٩٧١ بدأت الشائعات تسرى كفقاقيع الهواء حول قائمة أسماء المتآمرين للإطاحة بالرئيس .

وكانت إحدى هذه الشائعات تؤكد ان المهندس سيد مرعى نائب رئيس الوزراء وزير الزراعة واستصلاح الاراضى والاصلاح الزراعى قد قرر الانحياز لطابور على صبرى .

وكان على صبرى وقتها يتحكم بطريق مباشر أو غير مباشر فى الاتحاد الاشتراكي وأجهزة الاعلام ومخابرات رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية وكانت له اليد العليا على الجيش من خلال الفريق محمد فوزى وزير الدفاع .

ولكن فى منتصف شهر مايو بالضبط بدا واضحا ان سيد مرعى يقف فى معسكر السادات مع ان الشائعات تؤكد انه قد انضم للسادات بعد ان تأكد بما لا يدع مجالا للشك ان على صبرى قد لقي هزيمة ساحقة .

فى ٢٩ ابريل عام ١٩٧١ إتصل سيد مرعى بالرئيس السادات تليفونيا وأبلغه انه سيتولى تأمين موافقة أعضاء مجلس الشعب على قرار الوحدة بين مصر وليبيا وانه لاداعى لحضوره أى السادات لتأمين موافقة المجلس على هذا القرار .

وكان سيد مرعى يتحدث تليفونيا ومعه شعراوى جمعة وسامى شرف وليبيب شقير الذى كان يشغل منصب رئيس مجلس الشعب وتم اعتقاله بعد ذلك بتهمة التآمر .

ومهما كانت الاسباب التى جعلت شقير وجمعة وشرف ومعهم مرعى يعملون على إبعاد السادات عن المجلس فإن الامر محير والاسباب غير منطقية فمن الغريب ان يعمل سيد مرعى جنبا الى جنب مع رجال على صبرى فى نفس الوقت الذى يتلفت فيه السادات حوله بحثا عن مؤيدين .

بعد ذلك اقدم سيد مرعى على تصرف آخر غير مألوف وغير مفهوم حيث شرح للسادات ما سبق ان نصح به عبد الناصر فى ربيع عام ١٩٥٤ وهو ان يقوم السادات بزيارة لاحدى مناطق استصلاح الاراضى ويلقى خطابا امام جمهور غفير من الفلاحين لرفع اسهم شعبيته وقد وافق السادات على هذا الاقتراح .

وسافر مرعى للبحيرة للإعداد لترتيبات الزيارة وبعد ذلك بفترة قرر ان ترتيبات زيارة الرئيس ليست على مايرام وأنه يرى تأجيلها ولكنه لم يبلغ الرئيس السادات بذلك بل سافر لشقيقته بالاسكندرية وقام برفع سماعة التليفون واستغرق فى نوم عميق واستيقظ من نومه فى مساء نفس اليوم يوم ١٢ مايو ووضع سماعة التليفون مكانها .

وبمجرد وضع السماعة دق جرس التليفون وفوجئ سيد مرعى بصوت السادات يطلب منه العودة للقاهرة فورا علما بانه فى نفس هذا الوقت كان قد امر بالقبض على منافسيه وبعد ذلك بنحو ثلاث ساعات كانت الأزمة قد وصلت لنهايتها واصبح سيد مرعى فى معسكر السادات .

والمؤكد ان هناك تساؤلات تطرحها القصة السابقة وأول علامات الاستفهام هى هل تحقق زيارة منطقة استصلاح الاراضى الشعبية للسادات علما بأن مشروعات الاستصلاح قد فقدت هى نفسها الشعبية فى السبعينيات ولم تعد بنفس بريق الخمسينيات ؟ .

ان المعركة بين السادات ومنافسيه كانت صراعا بين رجال الصفوة السياسية ولذلك كان لابد من حسم هذا الصراع داخل مجتمع الصفوة او بين الأقوياء وليس بزيارة للبحث عن الشعبية فى البحيرة .

وربما كان ذلك محاولة لإبعاد السادات عن القاهرة وعلى أى حال فقد تأكد سيد مرعى بنفسه ان الترتيبات ليست على مايرام ثم قام بتأجيل الزيارة دون ابلاغ السادات بذلك وبعد ذلك سافر للاسكندرية وقطع خطوط الاتصال بينه وبين القاهرة فى الوقت الحرج مما يعنى انه قد قرر ان يكون بعيدا عن هذا الصراع فى وقت الذروة

والانحياز لاي من الجانبين اى ان هذا الموقف يتميز بالفموض خاصة ان سيد مرعى لم يستطع ان يفسر موقفه ، ان التفسير الوحيد هو انه كان في هذه الفترة يتلمس خريطة لتأمين مستقبله السياسى فى ظل رئيس جديد .

وعلى اى حال فقد ادى سيد مرعى دوره بإتقان خلال ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ ونجح فى الخروج منها بكامل هندامه ولم يفقد فيها مكانته وشهرته .

ويبدو انه كان يضع امامه هدفا لا يدير عينيه عنه وهو منصب رئيس الوزراء والواضح ان العقبة الوحيدة لتحقيق هذا الهدف هو صديق الشلة عزيز صدقى الذى كان وزيرا للصناعة وله كثير من المريدين والانصار بمجلس الوزراء .

وقد كان هناك من يزاحمهما على هذا المنصب وهو محمود فوزى واستطاع بالفعل ان يفوز فى لعبة الكراسى الموسيقية .

واعترافا بنفوذ وثقل عزيز صدقى قام محمود فوزى بترقية وزير الصناعة الطموح لمنصب نائب رئيس الوزراء ورئيسا للجنة الاقتصادية بمجلس الوزراء وذلك اثناء سفر سيد مرعى فى مهمة بالخارج .

وفوجئ سيد مرعى عند عودته بترقية غريمه فقدم استقالته على الفور فلم يجد محمود فوزى مفرا من تهديد سيد مرعى بأنه سيقدم هو الآخر استقالته وأنه سوف يعلن ان انهيار الحكومة يرجع لغيرة سيد مرعى من عزيز صدقى .

ولم يجد سيد مرعى بدا من التراجع ولكن بعد التوصل الى حل يرضى جميع الاطراف ووافق فوزى عليه وهو تقسيم الوزراء الى مجموعتين إحداهما يرأسها صدقى وهى اللجنة الاقتصادية والاخرى يرأسها مرعى وهى اللجنة الزراعية وتضم وزراء الزراعة والرى والتموين والاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى لكن الاحداث تؤكد ان ذلك لم يكن الا حلا مؤقتا .

واكتشف فوزى ان الصراع بين نائبيه يزداد ضراوة يوما بعد يوم حتى انه بات يخشى الزلزال الذى سيطيح بحكومته خاصة ان الشوارع قد بدأت تزدهم بالطلبة والعمال المتظاهرين بعد ان مر عام الحسم وهو عام ١٩٧١ كما اعلن الرئيس السادات دون ان يفعل اى شئ .. مع الوضع فى الاعتبار ان الرئيس السادات قد اخطأ حين اعلن ذلك .

رأب الصدع

وعلى اى حال فلم يكن السادات وقتها قادرا على اتخاذ اى قرار عسكرى ضد اسرائيل .

ولم يجد السادات امامه في ظل هذه الظروف الا العمل على رآب الصدع داخل الحكومة التي يتنازعها غريمان من الاقوياء فقام على الفور بسحب سيد مرعى من الحكومة .

وفي يناير عام ١٩٧٢ تم انتخاب سيد مرعى امينا عاما للاتحاد الاشتراكي بينما تم تكليف عزيز صدقى بتشكيل الحكومة الجديدة .

وبالطبع كان ذلك انتصارا لصدقى على سيد مرعى ولكنه كان في نفس الوقت انتعاشا للاتحاد الاشتراكي الذى كان نشاطه شبه مجمد منذ شهر مايو ١٩٧١ حيث كان الموقف في بداية عصر السادات يتطلب ذلك للسيطرة على السلطة بإحكام . وكان السادات يعرف ان السوفيت تراودهم الشكوك حول سياساته بعد حملة التطهير التي قام بها ضد رجلهم على صبرى ومجموعته بينما كان في نفس الوقت في حاجة لمساعداتهم العسكرية وقام السادات بحساباته واكتشف ان تعيين سيد مرعى ذى الميول الغربية رئيسا للوزراء سوف يزيد الامر سوءا ووجد ان عزيز صدقى هو الاختيار الافضل حيث كانت له اتصالات مكثفة بالروس عندما كان وزيرا للصناعة .

واقدم السادات على هذا الاختيار رغم انه يعرف جيدا ان هناك صداقة تربط بين صدقى ومحمد حسنين هيكل الذى لا يثق به السوفيت وعلى اى حال فقد كان الكثيرون يعتبرون « صدقى » أحد الخبراء اليساريين .

ومن ناحية اخرى حرص السادات على ان يتولى سيد مرعى رئاسة الاتحاد الاشتراكي حتى لا يقع في ايدى احد اليساريين خوفا من ان يقوم بإحياء نشاط هذا التنظيم وتحويله الى جبهة تعمل على تهديده كرسى الرئيس .

الفصل الثالث

إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي

كان السادات في اشد الحاجة لجهاز يمتص الصدمات لحماية السلطة من غضب الطلبة والعمال ولذلك كان سيد مرعى هو الاختيار الافضل في الاتحاد الاشتراكي حيث انه طموح وموهوب ولذلك سوف يحرص على عدم ترك هذا التنظيم جثة هامدة .

وكان السادات يعرف ايضا ان سيد مرعى سيعمل من خلال الاتحاد الاشتراكي على تقويض نفوذ صدقي رئيس الوزراء وربما كان ذلك نوعا ما من توازن القوى .

وفي اجتماع احدى لجان الاتحاد الاشتراكي التابعة للجنة المركزية في ٢٠ مارس عام ١٩٧٢ اكد سيد مرعى انه لايسعى لاجراء إصلاحات بالاتحاد الاشتراكي وقال انه قد عقد ٤٥ اجتماعا مع ممثلي مختلف النقابات المهنية الذين طالبوا بضرورة اجراء هذه الاصلاحات واذا كانت هذه الاصلاحات تتم في الماضي نتيجة لمبادرة الحكومة فالיום تطالب جموع الشعب بهذه الاصلاحات اى ان المبادرة اصبحت شعبية .

لقد كانت المهمة الأولى لسيد مرعى تخفيف حدة الموقف المتوتر بمحاولة ارضاء العمال والمهنيين في اتحاداتهم ونقاباتهم خاصة ان الطلبة قاموا بالتظاهر فور اعلان تعيينه رئيسا للاتحاد الاشتراكي منددين . بان هذا التنظيم قد اصبغ في قبضة اقطاعي ورأسمالي وقاموا بالهتاف ضده .

والجدير بالذكر ان النظام الحاكم قد حرص على الدفاع عن سيد مرعى وقتها لتهدة الموقف بتركيز الانتباه على دور سيد مرعى الحيوى في الاصلاح الزراعى مع التاكيد ايضا على انه كان دائما يولى اهتماما خاصا لمشاكل الفلاحين وهم الاغلبية العظمى من الشعب المصرى .

وعلى اى حال كان الطلبة في الشارع المصرى الذين ينتظرون عام الحسم بفروغ الصبر لايتقون بسيد مرعى بنفس الدرجة التى لايتقون فيها في السادات .

وبعد تعيين مرعى رئيسا للاتحاد الاشتراكي بيومين فقط ذكر في اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي انه لابد من تحويل الاتحاد الاشتراكي الى منبر حقيقى تعرض من خلاله مختلف الآراء والاتجاهات للقوى الشعبية والتي تضم العمال والفلاحين والرأسمالية الوطنية والمتقنين والجنود .

ويعنى هذا الكلام ان الامور كما هى وان الاتحاد الاشتراكي سيظل التنظيم السياسى الوحيد انه لن يسمح بمعارضة رسمية خارج قبة هذا التنظيم وعلى اى حال فقد كان هذا التوضيح على جانب كبير من الاهمية حتى لاتذهب هذه الاصلاحات الى ابعد مما يخطط له المسئولون اى ان تكون الاصلاحات فى حيز محدود .

وقد كان على اللجنة المركزية ان تعقد اجتماعات مع طلاب الجامعة وممثلى الاتحادات والنقابات والتنظيمات الشعبية الاخرى لمناقشة دور كل مواطن ومسئوليته فى المعركة .

وكانت المهمة الاولى للملقاء على عاتق سيد مرعى ان يعمل على إبرام اتفاقية سلام مع طلاب الجامعة وفى ١٩ يناير قرر ان يقتحم عرين الاسد بزيارة كلية هندسة القاهرة التى تضم اكثر الطلاب نشاطا وقد استمر اللقاء على مدى ثلاث ساعات واستغل سيد مرعى هذه المناسبة لتوجيه ضربة لصدقى فأشار فى حديثه الى ان المسئولين فى الحكومة عليهم ان يحرصوا على جموع الشعب ومحاولة الاجابة عن تساؤلاتهم واستفساراتهم وان من حق الشباب ان يسأل وعلى المسئولين ان يجيبوا .

واضاف ان القيادة السياسية حريصة على اعطاء كل الثقة للشباب حتى بعد ان ثبت ان هناك انحرافاً فى الممارسة والتعبير عن الطريق الصحيح الذى يجب ان يسلكونه .

وقال فى اجتماعه بالطلبة انه سيتم اعادة تنظيم منظمة الشباب التى كانت تستخدم سابقا كضباط شرطة فى اى أنشطة طلابية .

وبالرغم من ان مظاهرات الطلاب قد توقفت فإن إجراء إصلاحات بالاتحاد الاشتراكي يظل ضرورة بالرغم من ان السادات لم يكن مستعدا بعد للمغامرة بتبنى نظام سياسى جديد خاصة انه لم يتمكن بعد من الوصول لمرحلة الشهرة الشخصية كرئيس جمهورية كما كانت تشغله الشئون الخارجية كثيرا .

وفى ٢٢ فبراير اعلن سيد مرعى ان المرحلة الاولى للإصلاح قد اكتملت وانه ينوى وفقا لاستطلاع الآراء تكوين لجنة عمل تتكون من ٢٠ عضوا تشمل خمسة من اعضاء المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكي وخمسة من اعضاء اللجنة المركزية وعشرة من الشخصيات العامة الهامة .

واكد انه سيتم السماح لذوى النشاط السياسى من خارج الاتحاد الاشتراكى بالمشاركة فى عملية الاصلاح وقد كان يعنى ذلك الا يتحكم قبضات الاتحاد الاشتراكى فى عملية الاصلاح والذين كانوا يساورهم القلق حول مصير هذا التنظيم . ولكى يشعر اليساريون بأنهم شركاء فى مسئولية الاصلاحات قام مرعى بتعيين خالد محيى الدين ولطفى الخولى عضوين بهذه اللجنة وقد تم تعيين الخولى عضوا باللجنة لأن له تأثيرا على طبقة المنتفعين كما انه رئيس لتحرير مجلة الطليعة ذات الميول اليسارية ولاشك ان دعم هذه المجلة سوف يساهم فى نجاح جهود الاصلاح . وقد وافق لطفى الخولى على بنود خطة الاصلاح وبدأ يعمل خلال الربيع وبداية فصل الصيف جنبا الى جنب مع سيد مرعى على توضيح هذه البنود وتفنيدتها لاقتناع المتشككين بأهميتها وبدأت المجلة شرحا تحليليا لأعمال اللجنة عل مدى شهور مايو ويونيه ويوليه .

وبالرغم من ان الكاتب ميشيل كامل يتبع خط خالد محيى الدين الا انه طالب بتأسيس نواد سياسية لضمان حرية الشعب فى التعبير من خلال الاتحاد الاشتراكى .

واشار الكاتب محمد عجلان الى ان لجنة العمل عليها ان تجوب انحاء الريف للتلاحم من الجماهير .

ويمكن القول إن استقبال مجلة الطليعة لعملية الاصلاح البرلمانية كان مشجعا وربما بالغت فى اهتمامها الى حد مابعملية الاصلاح مؤكدة ان اللجنة تقوم بعمل جاد يستحق اهتمام المثقفين وذوى الميول السياسية وعلى اى حال فقد تحقق هدف سيد مرعى وهو تحويل الانظار للاتحاد الاشتراكى ووضع حد للممارسات السياسية من خلال قنوات اخرى وبذلك كانت التغطية الصحفية التى قامت بها مجلة الطليعة نصرا محققا له .

وخلال عملية الاصلاح كان على سيد مرعى ان يلعب لعبة القط والفأر مع اعضاء الاتحاد الاشتراكى الذين كانوا يساورهم الشكوك بشأنه وتضاعفت هذه الشكوك عندما استعان بأفراد من خارج المجلس لمساعدته فى عملية الاصلاح . وفى الاجتماع الاول الذى ضم اعضاء الاتحاد الاشتراكى واهضاء لجنة العمل قال سيد مرعى انه سيتم اعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى ولا يعنى ذلك أنه سيتم اعادة الانتخابات ولكنه تغيير فى أسلوب نشاط التنظيم وان فشل الاتحاد الاشتراكى فى الوفاء باحتياجات المواطنين وتحقيق مطالبهم لايشكل إدانة لكل من عملوا بالاتحاد الاشتراكى فى الفترة السابقة حيث أن هؤلاء الأعضاء قد ساهموا فى بناء ركائز الاتحاد الاشتراكى .

وكان سيد مرعى ينتهز فرصة لقاءاته مع اساتذة الجامعات والعمال لشن هجومه على الاتحاد الاشتراكى فى عصر عبد الناصر حتى يحوله لتنظيم مهلهل تنتشر فيه الثقوب .

وفى حوار اجراه معه الصحفى فهمى هويدى على صفحات جريدة الاهرام اشار سيد مرعى الى الكم الهائل من سلبيات الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة السابقة وقد عقب هويدى على ذلك مؤكدا ان ٢٥٪ فقط من هذه السلبيات يمكن ان تحول اى تنظيم سياسى الى جثة بلا حراك .

وقام سيد مرعى فى شهر مارس بعرض مشروع لإصلاح وتطوير الاتحاد الاشتراكى وفى بداية هذا المشروع ذكر فى تقريره ان نشاط الاتحاد الاشتراكى قد اتسم بالبيروقراطية وغياب الديمقراطية ووضع المصالح الشخصية كأولويات دائما .. وعدم الاستجابة للأحداث والمواقف وغياب البرنامج وعدم صلة تربط نشاطه بباقى التنظيمات كالنقابات واتهم رجال الاتحاد الاشتراكى بإخفاء الحقائق عن الشعب وخداع الجماهير بأمال وطموحات خيالية وغير حقيقية وأوضح فى تقريره ان الاتحاد الاشتراكى قد اخذ على عاتقه مسئولية العمل على تبرير قرارات السلطة التنفيذية او الحكومة فأصبح بذلك يتحمل مسئولية قرارات لم يشارك فى اتخاذها اى الا ان الاتحاد الاشتراكى كان يتظاهر فقط او يتخيل بهذه الطريقة انه يشارك فى عملية اتخاذ القرار رغم ان الحقيقة غير ذلك تماما .

وكانت هذه النقطة الاخيرة هى محور الصراع بين مرعى وصدقى رئيس الوزراء حيث استمرت المناوشات بينهما وبعد نحو عام احتدمت الازمة وكادت تؤدى لانتهيار حكومة صدقى والاطاحة بسيد مرعى من مقعده على قمة الاتحاد الاشتراكى . وعلى اى حال فقد كان سيد مرعى يشن هجومه على عزيز صدقى وينتقد قراراته من خلال الاتحاد الاشتراكى ولكنه كان فى نفس الوقت حريصا على عدم تدمير الاتحاد الاشتراكى او إحلاله بتنظيم جديد يسمح فيه بالمعارضة الرسمية او حتى شبه الرسمية او ان يحدث فيه ما يحدث فى النقابات والنوادر السياسية والاحزاب التى تعمل خارج اطار الاتحاد الاشتراكى .

ويبدو ان الامور لاتسير وفقا لما يعتقد البعض فى اجتماع مشترك بين لجنة العمل مع مجموعة الشئون السياسية وهى احدى مجموعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى اقترح البعض تعديل الدستور فرد سيد مرعى بأنه سيتم إفساح المجال فى هذه المرحلة لأراء المثقفين للنظر فى ذلك .

وسئل مرعى فى اجتماع لاحق هل هناك اتجاه لاجراء اصلاحات فى الاتحاد الاشتراكى كتنظيم من حيث الشكل وأسلوب العمل ؟ فأجاب بأنه ليس هناك اتجاه بذلك .

وفي لقائه مع المثقفين في ٢٩ مارس رفض سيد مرعى اقتراح الكاتب التاريخى اليسارى محمد انيس بان يشارك المواطنون بأرائهم فى تطوير الاتحاد الاشتراكى . ويبدو ان الاسئلة قد توالى عليه فى اجتماعه مع المثقفين لذلك شرع فى وضع ضوابط للمناقشات فى اللقاءات التالية حتى لايفاجأ بماليس فى الحسبان . وفى لقائه مع الفنانين والكاتب اشار الى ان اى محاولة لاصلاح الاتحاد الاشتراكى يجب ان تتم من خلال اطار عمل يراعى فيه مانص عليه الدستور وبيان ٣٠ مارس والقوانين والتشريعات .

وأوضح سيد مرعى انه أخفق فى إيضاح هذه النقطة فى لقائه مع المثقفين ولذلك خرجت المناقشات عن مسارها حتى ان بعض المثقفين قد طالبوا بتعديل الدستور وبيان ٣٠ مارس وأشاروا الى ضرورة وضع تعريفات جديدة لقوى الشعب العاملة ولكن مرعى عبر عن اعتقاده بعدم وجود اخطاء فى هذه المصادر تبرر تعديلها . وقد تطور النقاش فى اجتماعه مع الفنانين والكاتب ..

وسأل بعض الكتاب المرموقين ومنهم نجيب محفوظ عن كيفية ايجاد حل للتناقضات السياسية فى الاتحاد الاشتراكى فأجاب مرعى موضحا الحدود المسموح بها فى اصلاح الاتحاد الاشتراكى ووجه سؤالاً للكاتب هو : هل تعتقد ان هذه التناقضات أساسية حتى يصل بها الامر لعدم القدرة على التعايش فى ظل التحالف الحالى ؟

وقال مرعى إننى لا أرى سبباً يمنع تعدد الآراء تحت عباءة الاتحاد الاشتراكى ولا اعتقد اننا نحتاج لتقسيم هذه الآراء الى احزاب صغيرة واذا كان بعض المثقفين يطالبون بتأسيس احزاب سياسية فلا اعتقد ان ذلك حلاً واقعياً للمشكلة . وفى اجتماعه بلجنة النقابات المهنية بالاتحاد الاشتراكى احتدم النقاش بينه وبين عبد الخالق الشناوى عضو اللجنة فأوضح مرعى مفهومه بشأن النشاط السياسى خارج حدود قبة الاتحاد الاشتراكى وأشار الشناوى الى ان المهندسين فى العهد البائد كانوا يعارضون مشروعات تمت الموافقة عليها فى البرلمان فرد سيد مرعى بان وجود المعارضة والاحزاب السياسية فى هذه الفترة هو الذى ادى لتأخير تنفيذ مشروع سد أسوان .

ومن خلال الحوار مع مختلف اللجان والمجموعات بالاتحاد الاشتراكى حرص سيد مرعى على الا يخرج عن شعوره او يفقد اعصابه نتيجة لمحاولات الاستفزاز وكأن هناك رسالة يؤد ان تصل لأصحابها وهى ان الاتحاد الاشتراكى فى ظل قيادته الحكيمة سيكون اكثر استجابة لاحتياجات ومطالب الجماهير نتيجة لحرية التعبير لكن المحذور هو النشاط السياسى خارج القبة .

ولتحقيق هدف حرية الرأى والتعبير كان لابد من اجراء اصلاحات تنظيمية ولذلك قدم سيد مرعى تقريراً يوم ٢ يونيه بشأن تطوير العمل بالاتحاد الاشتراكى ذكر فيه التنظيم الجديد للرأسمالية الوطنية والصناعات الصغيرة والشئون الاقتصادية والخدمات واطاف الى ذلك مجلس اعلى للشباب تحت إشراف وزير دولة للشباب مع اعادة تنظيم العلاقة بين النقابات واللجنة المركزية

وقد اوصى فى تقريره بضرورة تأسيس منبر تحت قبة الاتحاد الاشتراكى حتى تتمكن كل قوة شعبية فى التحالف من التعبير عن ارائها واتجاهاتها .

وكان ذلك يعنى خلق تنظيم سياسى يشبه النوادى السياسية وهى الفترة التى سبق ان نادى بها خالد محيى الدين وآخرون وان هذه النوادى السياسية ليست الا تمهيدا لتكوين معارضة رسمية شرعية .

ولكن يحدث فى بعض الاحيان ما لم يكن فى الحسبان وبعد ان عبر سيد مرعى عن آماله فى التقرير الذى اعده فى شهر يونيه .. تحطمت هذه الآمال تماما بعد شهر واحد تقريبا حيث قام السادات بإلقائها فى سلة المهملات .

وافصح الرئيس السادات فى خطابه امام اللجنة المركزية عن عزمه طرد الخبراء العسكريين السوفيت من مصر وكان ذلك فى يوم ١٨ يوليه وأعلن فى

نفس الخطاب عن افساح الطريق للضربة العسكرية وضرورة تأجيل تجارب الديمقراطية والعمل على دعم الجبهة الداخلية للمعركة القادمة .

وفى المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى الذى عقد بعد اسبوع واحد من خطاب الرئيس وبدلاً من مناقشة أساليب إعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى قام مرعى بتركيز اعمال المؤتمر لمناقشة ابعاد قضية الوحدة الوطنية وتجاهلت توصيات المؤتمر ترتيبات ولقاءات على مدى شهور كاملة خاصة بتطوير الاتحاد الاشتراكى .

والمؤكد أن التقرير النهائى الذى صدر عن المؤتمر القومى العام قد تأثر بقدر الحرية الضئيل المتاح فى النصف الاول من عام ١٩٧١ وخاصة أن السادات كان قد أصدر القانون رقم ٢٤ وهو القرار الجمهورى الخاص بالوحدة الوطنية فى ١٥ أغسطس والذى عرف فيه الاتحاد الاشتراكى بأنه التنظيم السياسى الوحيد الذى يعبر عن قوى الشعب العاملة وقد حظر هذا القانون تأسيس أى تنظيمات سياسية خارج الاتحاد الاشتراكى مما يرسم خط النهاية للمناقشات الجادة الواسعة بشأن تطوير الاتحاد الاشتراكى وتوسيع مجال المشاركة السياسية .

وبالرغم من الاحباط فإن سيد مرعى يرى أنه قد حقق بعض الانجازات فى النصف الاول من عام ١٩٧١ كأمين عام للاتحاد الاشتراكى حيث ساعد على تهدئة المناخ السياسى والعمل على احتواء حالة العصبية السياسية لكن من المؤكد أنه غير

راض عن الجهود التى بذلها لترميم الاتحاد الاشتراكى والتى لم تكن إلا وسيلة من وسائل النظام الحاكم لكسب الوقت ولم تثمر أى شىء .

وقد استطاع السادات باقتدار ان يحول بؤرة الاهتمام من الجبهة الداخلية الى الجبهة مع إسرائيل وأصبح دور الاتحاد الاشتراكى أن يساير رغبات الرئيس وهو تهيئة المناخ للمعركة وليس الحرية السياسية والرأى والرأى الآخر .

ولاشك أن سيد مرعى يتميز بأنه رجل عملى وواقعى ولذلك كان حريصاً على أن يقود سيارته بسرعة ١٥٠ كيلومترا خلف سيارة الرئيس وبعد شهر يوليه أصبحت كل تصريحاته تتعلق بالسياسة الخارجية ودور الاتحاد الاشتراكى فى دعم الجبهة الداخلية وبدأ فى إرسال وفود تضم اعضاء منظمة الشباب والنقابات والاتحاد الاشتراكى لدول أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية لكسب تأييد دول العالم للقضية المصرية .

ومن خلال مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى فى المحافظات حرص سيد مرعى على أن يركز فى كلماته على الشئون الخارجية والمواجهة مع إسرائيل أكثر من القضايا الداخلية .

ونشرت جريدة الجمهورية حواراً معه فى ١٠ يناير عام ١٩٧٣ وكان السؤال الموجه اليه هو لماذا يتجاهل الاتحاد الاشتراكى المشاكل القومية مثل تحديد النسل ومحو الأمية ؟ .

ورد سيد مرعى على هذا السؤال مؤكداً أنه من واقع مؤتمرات الشباب والعمال والمثقفين فإن محو الأمية ليس من الأولويات فى هذه المرحلة .

وأشار إلى أنه لو تبين أن محو الأمية أو تحديد النسل من الأولويات فإنه من المؤكد أن الاتحاد الاشتراكى قد أخفق فى تحديد الأولويات وذلك بالطبع غير صحيح لأن ما يشغل الناس الآن هو تحرير الأرض المحتلة على مدى ست سنوات كاملة . وقال لمحرر الجمهورية إن علينا أن نحرر أراضينا سواء كان شعبنا أمياً أم لا ولن يشغلنا أن الشعب المصرى لا يحدد النسل فى هذه المرحلة وهذا لا يعنى أننا سوف نتجاهل قضايا الأمية وتحديد النسل ولكن لن نعتبرها من الأولويات .

ومع انكماش دوره كأمين عام للاتحاد الاشتراكى وفقاً لما تقتضيه الاحداث والأولويات المصرية غادر سيد مرعى القاهرة فى ٨ يناير عام ١٩٧٣ لمدة اسبوعين للحج ..

وعندما عاد للقاهرة لم يدل بتصريحات تذكر عن الشئون الخارجية أو دور الاتحاد الاشتراكى حيث أصبح الصراع بينه وبين عزيز صدقى يستهلك كل وقته ورغم أنه كان صراعاً من خلف الكواليس إلا أنه أصبح من سمات السياسات المصرية وما يحدث بالأمس يتكرر غداً .

الفصل الرابع

مرعى ضد صدقى

وترجع علاقة سيد مرعى بالدكتور عزيز صدقى إلى أيام الدراسة بجامعة القاهرة .. وقد تقاربت العلاقة بينهما أكثر عقب تعيينهما وزيرين بالحكومة فى عام ١٩٥٦ .. ومنذ ذلك الوقت بدأ الرجلان يتحركان فى مدار الصحفى الشهير محمد حسنين هيكل .. واستمرت العلاقة وثيقة بينهما حتى وفاة عبد الناصر .

وكان يربط الرجلين فى تلك الفترة إحدى حنقات التشابه وهى أنهما من المدنيين وان هؤلاء العسكريين يضعون العراقيل فى طريقهم للوصول للمناصب العليا . ولكن كان هناك دائماً عامل للتنافر بينهما وذلك لوجود اختلاف حاد بين شخصية الرجلين حيث تتميز شخصية صدقى بأنه دؤوب عنيد صلب الراى وخبير صاحب عقلية علمية مرتبة وحاسمة .. اما سيد مرعى فيتميز بأنه لبق وفطن ومرن وصاحب شخصية تكتيكية وهى سمات للشخصية يتميز بها أهل الريف .

وقد كان لموقعهما فى الحكومة تأثير كبير على علاقتهما حيث ادت للصراع المرير بينهما .. وكان على عزيز صدقى كوزير للصناعة أن يفرض سيطرته على المشروعات الزراعية الصناعية ومنها صناعات تعليب الخضر والفاكهة ومصانع انتاج السكر ويشمل ذلك إنتاج مدخلات الانتاج الزراعى .. وكان على سيد مرعى أن يحارب بضراوة لمنع ذلك .

وكان عزيز صدقى يردد ان الزراعة فى مصر مازالت بدائية ولم يراع تطويرها وفقاً للأساليب العلمية .. بينما كان سيد مرعى يقول إن قطاع الصناعة قد امتطى ظهر القطاع الزراعى على مدى فترات طويلة واقتطع من هذا القطاع استثماراته وانها سبب نكسة قطاع الزراعة .

وبالرغم من الصراع بينهما - خلال عصر عبد الناصر - الا أنه كان عليهما ان يوحداهما جهودهما لمواجهة تهديدات العدو المشترك .

وعندما مات عبد الناصر وتولى السادات السلطة وبدأ فى تطهير السفينة من مراكز القوى واختفى الاعداء من الطريق استدار الصديقان المتنافسان ليواجه بعضهما البعض وفى يد كل منهما سلاحه .

وحين استمر الصراع بين صدقي ومرعى بدأ كل منهما يستخدم وسطاء لتوجيه ضربة للآخر .. وعلى أى حال فقد كان الجبلى يعمل فى هذا المجال بالنيابة عن صدقى .

وقد قدم الجبلى إقتراحا - سبق ان رفض فى عصر عبد الناصر بتحصيل ضرائب على ارباح مزارع الفاكهة فى المناخ العاصف لعام ١٩٧٢ وسط مظاهرات طلاب الجامعة الذين كانوا يطالبون بالتوزيع العادل للثروات .

وقرر الجبلى أن يسير قدما إلى الامام حيث كان معروفا وقتها أن الاثرياء هم الذين يملكون مزارع الفاكهة كما كان مشهورا ان سيد مرعى يمتلك هو الآخر مزرعة فاكهة كبيرة .

وعرف الجبلى - ومعه صدقى - أن فرض ضرائب على منتجى الفاكهة هو ضرب لعصفورين بحجر واحد حيث ترفع اسهم شعبية الحكومة وتعمل على الحد من نفوذ سيد مرعى فى قطاع الزراعة فيبدو امام الجميع انه غير قادر حتى على حماية مصالحه بالقطاع .

وقد حرص سيد مرعى على أن يلتزم الصمت والا يدلى بتصريحات صحفية او ينسب ببنت شفة بخصوص موضوع ضرائب انتاج الفاكهة حتى لايجدها صدقى فرصة سانحة فيبدو مرعى امام الجميع المدافع عن الثروة والمصالح . ويبدو أن الدراما كانت تسير لنهاية مأساوية حيث بدأت الحكومة فى إجراءاتها لعرض مشروع قانون الضرائب على البرلمان .

وفى نفس الوقت كان وكيل وزارة الزراعة لشئون البساتين وهو احد رجال سيد مرعى - يقوم باجراء دراسة عند تأثير فرض هذه الضريبة على انتاج الفاكهة فى مصر .. والتى تبين منها من واقع الاحصائيات ان فرض مثل هذه الضريبة سيؤدى لخفض انتاج الفاكهة والصادرات منها مما يؤثر بالتالى على ميزان المدفوعات . وسرب الموظف الكبير إحصائيات هذه الدراسة بالتفصيل لأحمد عبد الغفار وزير الزراعة الدستورى الحر السابق وهو احد ملاك الاراضى الاثرياء فى محافظة المنوفية وفى نفس الوقت من أصحاب النفوذ السياسى لانه من أقارب زوج ابنة السادات الكبرى .

ومع ان عبد الغفار لم يكن عضوا بالاتحاد الاشتراكى الا أنه كان يعرف عددا كبيرا من الاعضاء معرفة شخصية .

وقد استطاع ان يشحن هؤلاء الاعضاء للتصويت ضد هذه « الضريبة » مسلحين بالإحصائيات والبيانات الكافية والتى تم الحصول عليها من نفس الوزارة التى يديرها الجبلى .

والملاحظ أن عزيز صدقى قد أنهى الجولة الأولى من الصراع ليحتل مكانة أفضل حيث أن منصب رئيس الوزراء يعد أكثر بريقا من منصب رئيس الاتحاد الاشتراكى .

كان سيد مرعى مشغولا بمظاهرات طلبة الجامعة وإعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى حتى يتحول إلى أنبوبة يصب فيها النشاط السياسى . تمهيدا لنقل هذا النشاط إلى زجاجة محكمة الغلق .

بينما كان عزيز صدقى مشغولا برفع معدلات ومؤشرات شعبيته وشعبية حكومته حيث ابتدع برنامجا تليفزيونيا يشرح فيه نشاط ومبادرات حكومته للمشاهدين ويوضح للشعب المصرى جهوده لحل مشاكلهم .. وبدأ يرتب لظهور وزرائه على شاشة التليفزيون بصفة منتظمة ليشرح كل منهم دوره فى البرنامج الحكومى . وقد بدأ الدكتور مصطفى الجبلى وزير الزراعة والإصلاح الزراعى - الذى اختاره صدقى بعناية لهذا المنصب لنفوره من سيد مرعى - فى انتهاز هذه المناسبات التليفزيونية لتوبيخ سلفه بشدة .

وعلى شاشة التليفزيون أوضح الجبلى للشعب المصرى أن وزارة الزراعة كانت تعمل بأسلوب بدائى - نظرا لغياب التكنولوجيا - وكان ذلك نتيجة تقصير واضح من وزير الزراعة السابق .. وأن إعادة القرية إلى طبيعتها كقرية منتجة ورفع معدلات الانتاجية الزراعية يتطلب توفير التكنولوجيا وتطبيق آخر ماتوصل إليه العلم فى مجال الزراعة وهى أمور أهملت فى السنوات السابقة - وفقا لرؤية الجبلى .

وقد كان ذلك أكثر مما يتحمل سيد مرعى .. ولذلك ذهب مباشرة للسادات وطلب منه أن يظهر على شاشة التليفزيون وقتا مساويا للجبلى للدفاع عن نفسه وعن الوزارة التى قام بتأسيسها .. ورفض السادات هذا الطلب مما جعله يكثف جهوده فى ناحية أخرى . بهدف طرح صدقى ووزيره أرضا .

وفى صيف عام ١٩٧٢ بدأ مكتب وزير الزراعة فى اصدار تصريحات تحذر من خطورة الاصابة بدودة القطن وبجراحة قام الجبلى بالاطاحة بلويس المحمودى وهو أحد وكلاء الوزارة الذين عينهم مرعى - لانه تقاعس عن اتخاذ اجراءات حماية المحصول . وبدأ سيد مرعى على الفور فى اجراء اتصالاته وتوظيف مصادره - بعدها مباشرة - بدأت الشائعة تسرى بان موضوع اصابة القطن بالدودة كانت من وحى خيال مصطفى الجبلى وانه قد اخترع هذه الفكرة للقيام بحملة تطهير فى الوزارة . وذهب سيد مرعى ايضا للسادات وطلب منه حماية رجاله فى وزارة الزراعة .. واستجاب السادات وأمر الجبلى بإعادة لويس المحمودى إلى منصبه والا يتعمدى فيما يفعله .

وحرص اعضاء الاتحاد الاشتراكى على تلبية نداء عبد الغفار لانهم يعرفون أن رغبته هي رغبة الرئيس السادات شخصيا وقد ذهب اعضاء الاتحاد الاشتراكى لأكثر من ذلك حيث تصوروا أن السادات يدعم سيد مرعى ضد عزيز صدقى . ونظرا للدلائل التى تشير إلى أن التصويت ضد الضريبة هي رغبة النظام الحاكم قام أغلبية أعضاء الاتحاد الاشتراكى بالتصويت ضدها بالفعل ولم يعد امام الجبلى الا أن ينسحب لخطوط التماس حيث أصبح واضحاً أن نجم سيد مرعى فى صعود وان نجم عزيز صدقى ينحدر .

وقد ارتكب عزيز صدقى خطأ تكتيكيا فادحا حين شرع فى فرض الضرائب على حدائق سيد مرعى مما يعنى أن الممتلكات الشخصية قد دخلت لعبة الصراع . وربما يتمكن مصطفى الجبلى من اتهام سلفه فى الوزارة بعدم الكفاءة على صفحات الجرائد وعلى شاشة التليفزيون ويعود سالما غائما .. لكن المشكلة التى سوف تقابله أن كبار الموظفين بوزارتى الزراعة والإصلاح الزراعى من الموالين لسيد مرعى - وبالطبع - يستطيع سيد مرعى استخدام رجاله وافراد شلته فى تخريب سياسات الجبلى فى هذه الوزارات .. والمؤكد انه فعل ذلك .

وفى حملة التشهير والتجريح المتبادلة بدا واضحا انها حرب ليس لها نهاية حيث كان صدقى يستغل وظيفته كرئيس للحكومة لتوجيه ضربة خطافية إلى رأس عدوه .. بينما كان سيد مرعى يعمل فى نفس الوقت على توظيف الاتحاد الاشتراكى للحد من سلطان صدقى .

وقد كانت استراتيجية سيد مرعى فى ذلك فى تركيز مناقشاته من فوق المنصة على موضوع « إعادة صياغة العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والسلطة التنفيذية او الحكومة .

وفى اجتماع مشترك بين اللجنة المركزية ولجنة العمل بالاتحاد الاشتراكى فى ١٩ مارس قام سيد مرعى بتحديد اطار الاصلاحات وجاء فى مقدمة هذا الاطار « العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والحكومة » .. وبعد أن شرع فى تمهيد الطريق لتحقيق نواياه ألقى الكرة لأحد رجاله وهو سعد هجرس الذى أوضح ان الدستور والقانون يجب ان يتضمننا فقرة هامة وهى ان الاتحاد الاشتراكى هو عقل الامة .. وان هذا العقل يجب أن يخول له السلطة لإدارة ومراقبة الحكومة .

ويبدو أن هذا هو الخط العام الذى يتبعه سيد مرعى حيث ذكر فى الاجتماع أن الاتحاد الاشتراكى قد فشل فى اداء دوره فى الماضى لانه كان يدفع الجماهير لتأييد سياسات الحكومة حيث كان يدافع عن هذه السياسات حتى لو لم يكن يعرف شيئا عنها او عن أهدافها .. مما يعنى أن الاتحاد الاشتراكى كان يمارس نفاقا سياسيا لا حدود له مما جعله بعيدا كل البعد عن احتياجات الجماهير .

والمؤكد أن سيد مرعى قد استعان بالدكتور جابر جاد عبد الرحمن عضو الاتحاد الاشتراكي . والذي كان حريصا على إجراء اصلاحات بهذا التنظيم - مما يعنى انه يحتفظ بحليف قوى .

واستأنف سيد مرعى هجومه مؤكدا أن الحكومة الحالية قد أصدرت عدة قوانين وقرارات دون إبلاغ او استشارة الاتحاد الاشتراكي وقد كان من الضرورة عرضها عليه أولا . وان هذا المطلب الشرعى يدعمه الدستور والقانون وبيان ٣٠ مارس .

وطالب سيد مرعى بأن تقوم اللجنة المركزية بوضع خطة عمل للسياسة القومية في مصر وان الحكومة عليها ان تراعى في قراراتها ألا تتعارض مع السياسة العامة للاتحاد الاشتراكي .

واشار إلى ضرورة ان يكون للاتحاد الاشتراكي دور في التخطيط خاصة انه حتى الان لا يعلم شيئا عن الميزانية ولا يمارس أى رقابة على المصروفات الحكومية .. وأوضح ضرورة ان تشارك المجالس الشعبية في المحافظات في وضع ميزانية كل محافظة مع السلطة التنفيذية وبذلك يتم تطوير الحكم المحلى .

وكانت خطة سيد مرعى واضحة وهى أن يستغل الاتحاد الاشتراكي في احتواء عزيز صدقى وحكومته على المستويين القومى والمحلى .. ولكن يحدث دائما ما لم يكن في الحسبان - فقد اصدر السادات قرارا بطرد الخبراء الروس مع تأجيل خطط تطوير الاتحاد الاشتراكي .

وبدا السادات أيضاً في تركيز كل اهتمامه وانتباهه بالحكومة فلم يعد هناك حاجة للاتحاد الاشتراكي او رجاله الموقرين .

والمؤكد أن ذلك يعنى « النكسة » بالنسبة لسيد مرعى بكل المعايير .. وعندما يشعر سياسى مثله أن لاأحد يلتفت اليه فإنه على الفور يكثف هجومه علنا وجهاً . وقرر عزيز صدقى أن ينتقم .. وبدأت حملة الشائعات تسرى بأن سبب ارتفاع اسعار اللحوم يرجع لسيطرة سيد مرعى على السوق باعتباره من كبار مربى المواشى في مصر .

وبينما كان سيد مرعى يلقي كلمة في جامعة أسيوط وجه إليه سؤال : هل صحيح أنك تملك ٦٠٠ من عجول الفريزيان ؟ .. وللقضاء على هذه الشائعة استعان ببيانات وزارة الزراعة التى اوضحت انه لا يوجد سوى ٢٠٠ عجل فريزيان في طول البلاد وعرضها .

ويبدو أن الشائعات مثل فقاعات الصابون .. وكلما حاولت التعامل مع إحداها وجدت الثانية والثالثة أمامك وبالفعل بدأت شائعة جديدة تسرى بان ارتفاع اسعار

العنب والبطيخ ايضا ترجع لتحكم سيد مرعى في السوق لتحقيق اقصى ارباح على حساب الفقراء .

و هناك ما هو أكثر من ذلك حيث أخذ يردد البعض ان ارتفاع اسعار الدواجن يرجع إلى أن سيد مرعى يستخدمها في إطعام قطيع الثعالب الذى يملكه .. بينما ردد البعض الآخر ان مرعى يملك مزرعة للثعابين يتم استيراد هرمونات خاصة لها من الخارج .

وظهر الضوء الأحمر بما يعنى ان الصراع بين صدقى ومرعى قد دخل مرحلة الخطر وبالفعل تدخل عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الاعلام وصديق الطرفين لتهدئة النفوس واقترح حاتم تخصيص اثنين من الوزراء للتنسيق بين الحكومة والاتحاد الاشتراكى .. لكن هذه الحيلة لم تفلح .

بعدها بفترة قصيرة طلب السادات لقاء صدقى ومرعى وحافظ بدوى رئيس مجلس الشعب في ذلك الوقت ، في اجتماع يضم الاربعة رجال فقط ولاحداث الوفاق طلب السادات من صدقى ومرعى ان يلتقيان اسبوعيا بمكتب حافظ بدوى للتنسيق بين الحكومة والاتحاد الاشتراكى .. وفشلت حيلة السادات أيضا حيث منع الكبرياء صدقى المعتقد بمنصبه من حضور اللقاء الثانى .. وقد غادر سيد مرعى مكتب حافظ بدوى وهو يستشيط غيظا متوجها إلى منزله لتستمر الحرب بلا نهاية .

وعلى اى حال فقد كان الرئيس السادات في حاجة لمنافس لعزیز صدقى في الحكومة ووجد ضالته في سيد مرعى حرصا على تحقيق مبدأ توازن القوى السائد في عالم السياسة .. وقد مكن هذا المبدأ سيد مرعى في التغلب على عزيز صدقى في بعض الأوقات .

وقد حرص الرئيس السادات ان يوجه اهتمامه بالاتحاد الاشتراكى في شهرى نوفمبر وديسمبر أى بعد العطلة البرلمانية مباشرة وقد تم تدمير صدقى وحكومته خلال هذه الفترة والسادات يجلس بعيداً يراقب الموقف .

وفي ١٧ نوفمبر قدم صدقى بيان الحكومة امام المجلس الذى قوبل بانتقادات لاحد لها .. وأشار مصطفى كامل مراد وهو احد الضباط الاحرار المقربين من الرئيس السادات إلى ان الحكومة لم توضح في بيانها الاستعدادات للمعركة .. وانتقد أعضاء آخرون اجزاء أخرى من بيان الحكومة .. وعندما زاد هجوم المجلس على الحكومة في جلسات أخرى ثار سؤال محرج وهو إلى متى يسمح للأعضاء بانتقاد صدقى وحكومته ؟ .. ولم يكن هناك من يستطيع الاجابة على هذا السؤال إلا شخص واحد في مصر وهو الرئيس نفسه .

وبالفعل .. فقد أعطى السادات الضوء الأخضر لصهره محمود ابو وافية عضو الاتحاد الاشتراكي لتوجيه الانتقادات لميزانية حكومة صدقي .

وذهب جمال العطيفي - الذي اختاره مرعى عضوا للجنة العمل لاعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي - الى ابعد من ذلك حيث طالب الاعضاء بعدم التصديق على ميزانية الحكومة لأن بنودها غير مطابقة وأصبحت خطوات صدقي مثل البطة العرجاء فالخطر يتربص به من كل جانب .

وشهد شهرا نوفمبر وديسمبر جولة اخرى من الاضطرابات والعنف في الشارع المصري وجرت في هذه الفترة محاولة انقلاب واحدة على الاقل تم في اعقابها اجراء عمليات تطهير واسعة في الجيش حيث تم خلع محمد صادق وزير الدفاع وبدأت أحداث الفتنة الطائفية .

وبدا طلبة الجامعة في إثارة الشغب في شهر يناير وكان طلبة كلية الهندسة في المقدمة للمرة الثانية ولذلك تم تأجيل الدراسة لمدة شهر .

وفي يوم ٤ فبراير - وهو اليوم الاول لاستئناف الدراسة - قام السادات باستخدام الاتحاد الاشتراكي لاجراء عملية تطهير بين الصحفيين - وبالفعل - قامت لجنة القيم باعداد قائمة تضم ٦٤ صحفيا تم فصلهم من الاتحاد الاشتراكي مع وقفهم عن ممارسة مهنة الكتابة .

وقد دافع السادات عن هذا الاجراء في خطاب حازم « ذى أنياب » امام مجلس الشعب .. ويبدو انه لم يكن امام سيد مرعى مفر من حزم أمتعته والسفر للخارج لمدة شهر .

وفي شهر مارس قام السادات بتشكيل حكومة يرأسها بنفسه بينما قام بتعيين محمد حافظ غانم أمينا عاما للاتحاد الاشتراكي خلفا لسيد مرعى .

واشار السادات الى ان هذه التغييرات ترجع الى ان الناس في الخارج اصبح شغلهم الشاغل الحديث عن الصراع بين الحكومة والاتحاد الاشتراكي .. والصراع بين مجلس الشعب والاتحاد الاشتراكي .. والصراع بين مجلس الشعب والحكومة .. وقال السادات : لايمكن السماح بهذه الصراعات في دولة مؤسسات مثل مصر .. وإذا حدث ذلك تتحول الى دولة تناقضات وليس دولة مؤسسات .

وبعدها بأيام ذكر الكاتب إحسان عبد القدوس رئيس تحرير اخبار اليوم في مقاله ملاحظة شبيهة بذلك حيث فسر التغييرات الأخيرة بوجود تناقضات بين الحكومة والاتحاد الاشتراكي مما أعطى انطباعا بوجود حكومتين في مصر : الحكومة الرسمية

والاتحاد الاشتراكي .. وأشار في مقاله الى ان ذلك مسئولية القيادات التي لا تحركها الا طموحاتها .

وأوضحت عناوين الصحف الصادرة يوم ٢١ مارس الخطوط العامة للقرار الجمهوري بتعيين عزيز صدقي وسيد مرعى مساعدين لرئيس الجمهورية .

وكان هذا القرار بمثابة انتحار سياسى بالنسبة لصدقي لذلك قام فى هدوء بتأسيس مكتب استشارى بالتعاون مع شركة فيات لإنتاج السيارات وهى السيارة التى أدخلها مصر عندما كان وزيرا للصناعة .

وبدا سيد مرعى فى تعديل اتجاهاته بما يلائم المهام الجديدة وبدأ على الفور حملة دولية تأييدا للسياسة المصرية بشأن العدوان الاسرائيلى - وعلى اى حال - لـ ينسى عزيز صدقي او مرعى ايام الصراع المريرة أويسامح أحدهما غريمه والدليل : ذلك انه حتى الآن يتفادى كل منهما لقاء الآخر .

الفصل الخامس

دبلوماسية فوق العادة

وبعد ان رأس السادات الحكومة أصبح مسئولاً عن توجيه دفة السياسات الداخلية لايشاركه فيها أحد .. ولم يعد امام سيد مرعى الا ان يوجه اهتمامه بالشئون الخارجية .. واصبحت المهمة الموكلة اليه هى تهيئة العالم العربى للحرب القادمة مع اسرائيل .. وكان معنى ذلك ان يسافر بين عواصم المنطقة ويستقبل الوفود العربية الزائرة .

وكان يؤدى مهامه الجديدة بمكتبه - الذى يقع بالدور الحادى عشر بمبنى الاتحاد الاشتراكى - وهو نفس المكتب الذى كان يشغله اثناء عمله كأمين للاتحاد الاشتراكى .. بينما كان محمد حافظ غانم الامين الجديد للاتحاد الاشتراكى يشغل مكتبا اقل اناقة فى احد الادوار السفلية .. والسؤال الذى يلح على الذهن هو : من هو الاكثر نفوذا .. مرعى ام حافظ ؟

وبدا سيد مرعى يمارس عمله الدبلوماسى بالفعل بعد ستة اشهر من تعيينه فى هذه الوظيفة .. ففى مساء يوم ٧ اكتوبر عام ١٩٧٣ - وهو اليوم التالى للعبور المصرى لقناة السويس - قام السادات باستدعاء سيد مرعى الى مقر اقامته وكلفه برئاسة وفد لزيارة دول الخليج لتنسيق السياسات وطلب الدعم .. وطلب السادات من سيد مرعى ان يترك حجم هذا الدعم وفقا لتقدير ملوك ومشايخ هذه الدول ووفقا لالتزامهم السياسى والاخلاقى مقارنة ببراميل النفط المنتجة يوميا وما تساويه من دولارات .

وكان سيد مرعى قد دعا لتوقيع عقوبات إقتصادية على دول الغرب ولكن سلاح البترول وكيفية استخدامه بكفاءة كان من الامور غير المألوفة بالنسبة له ولذلك توجه مباشرة لمحمد حسنين هيكل يسأله المشورة .

وبمعاونة مصطفى خليل وبمساعدة مركز الدراسات الاستراتيجية بالاهرام تمت دراسة اختيارات واحتمالات استخدام البترول كسلاح - وبمساعدة محمود فوزى رئيس الوزراء الاسبق وهيكل نفسه - تبين ان منع ضخ البترول للغرب سيؤدى الى هزيمة عربية ذاتية فى الحرب مع إسرائيل وانه يجب تخفيض إمدادات البترول

للغرب بنسبة بسيطة - يشعر المواطن الغربى بأثارها - ولا تؤدى لشعور الغرب باليأس فيقدم على إجراء لايمكن مواجهته .

اجتماع فيصل

وغادر سيد مرعى القاهرة فى صباح يوم ١٠ أكتوبر للرياض - واستراتيجية البترول وتعليمات الرئيس عبارة عن افكار تدور فى رأسه - وكان يرافقه فى الرحلة على عيسى طبيبه الخاص ومصطفى خليل وأشرف مروان زوج بنت عبد الناصر واللواء سعد القاضى .

وفى القصر الملكى عبر الملك فيصل عن وجهة نظره للوفد المصرى وتتلخص فى قطع إمدادات البترول بنسبة ١٠ ٪ وإمداد مصر بالسلاح بالاضافة لدعم مالى قدره مائة مليون دولار .. وأشار سيد مرعى الى انه قد قبل مبلغ الدعم الا انه يرى ان خفض إمدادات البترول بنسبة ٥ ٪ فقط تعد كافية فى البداية .

وكان سيد مرعى يعرف جيدا مدى ماتتحمله مصر إقتصاديا ولذلك لم يكن راضيا عن حجم الدعم المالى السعودى إلا أنه لم يشأ أن يفسد البروتوكول الملكى فيبدو ناكرا للجميل وهو يساوم على مبلغ الدعم

وبعد انتهاء المقابلة رافق الوفد « رشاد فرعون » مستشار الملك فيصل الذى سأل سيد مرعى بطريقة مباشرة : هل أنت راض عن هذا الدعم ام لا ؟ .. فوجد مرعى أمامه الفرصة سانحة فأجاب بالنفى .. مؤكدا ان الحرب فى سيناء تكلف مصر ١٠ ملايين دولار فى الساعة .

وذهب راشد فرعون مباشرة للملك فيصل وأخبره بذلك .. فاتصل الملك فيصل مباشرة بسيد مرعى فى قصر الضيافة وأخبره أنه قرر زيادة مبلغ الدعم إلى ٤٠٠ مليون دولار .

وغادر الوفد المصرى الرياض إلى الكويت وباقى دول الخليج مدعما بمساهمة الملك فيصل ولم يعد أمام باقى المشايخ إلا ان يقدموا مساهمات تتناسب مع انتاجهم من البترول ودخولهم .. وعاد سيد مرعى للقاهرة ظافرا حيث حقق رقم دعم يزيد على النصف مليار دولار بالاضافة لوعده من فيصل باستخدام البترول كسلاح .

وبعد جولة الخليج الناجحة اصبح سيد مرعى معروفا فى العالم العربى كسياسى بارز واحد المقربين من الرئيس السادات فى وقت كانت فيه انظار العالم ودول الشرق الاوسط تتجه فيه لمصر فى أعقاب حرب أكتوبر .. وفى شهر ديسمبر عام ١٩٧٣ رافق مرعى الرئيس السادات لمؤتمر القمة العربى الذى عقد بالجزائر .

ومن ناحية أخرى فلم يكن من مصلحة السادات أن يصبح سيد مرعى أكثر طولا وعرضا من ذلك ولذلك عمل على ألا يصبح مرعى أكثر بريقا حتى لا يخطف منه الأضواء .

وعلى أى حال فقد ذاق سيد مرعى حلاوة النجاح كدبلوماسى دولى وأصبح يتمنى أن يشغل موقعا يقوم من خلاله بوضع السياسات بدلا من مجرد تنفيذها . وجاءت الفرصة لتحقيق ذلك فى شهر يناير من عام ١٩٧٤ عندما ركب موجة الانتصار المصرى السورى فى حرب أكتوبر لكسب تأييد دول العالم الثالث لشغل وظيفة سكرتير عام مؤتمر الغذاء العالمى .

الفصل السادس

مرعى مديرا لمجلس الغذاء العالمى

والجدير بالذكر ان مؤتمر الغذاء العالمى ومجلس الغذاء العالمى هما جهازان يتبعان الامم المتحدة بهدف حل ازمة الغذاء فى الفترة بين عامى ١٩٧٢ - ١٩٧٤ عندما أدى الطقس المعاكس لخسائر كبيرة فى المحاصيل الزراعية فى قارة آسيا واصبح مخزون الحبوب العالمى لا يكفى لاستهلاك شهر واحد .

وقد ارتفعت أسعار الحبوب إلى ثلاثة أمثالها ولازم ذلك انخفاض الدعم الدولى والمساعدات لأفقر دول العالم .. وهو سيناريو معروف يعنى ان المجاعة تهدد سكان هذه الدول .

وقد أوصى مؤتمر عدم الانحياز الذى عقد بالجزائر فى سبتمبر عام ١٩٧٣ بعقد مؤتمر دولى للغذاء لايجاد حل سريع لهذه الازمة الطاحنة .

وبعدها بشهر قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقد مؤتمر عالمى للغذاء فى روما بإيطاليا فى الفترة بين ٥ - ١٦ نوفمبر عام ١٩٧٤ .. وتم اختيار سيد مرعى المهندس الزراعى العربى البارز ليكون سكرتيرا عاما لمؤتمر روما .

والجدير بالذكر ان الامم المتحدة كانت قد عرضت وظيفة مشابهة على سيد مرعى عام ١٩٦٩ لكن عبد الناصر أجبره على رفضها .. لكن السادات شجعه هذه المرة على قبول هذا العرض .

وكان متوقعا ان يستمر السادات رئيسا للوزراء نحو عام آخر لان مقتضيات الأمور تحتم إدارة شئون الحكم بأسلوب ديكتاتورى فى بعض الاحيان .. ولذلك لم يكن السادات فى حاجة لمواهب سيد مرعى فى ادارة الشئون الداخلية للدولة .

وربما يكون فى صالح السادات ان يشغل سيد مرعى وظيفة عالمية مرموقة حيث يعمل على دعم دور مصر القيادى فى منطقة الشرق الأوسط وبين دول العالم الثالث كما تعد بمثابة أوراق اعتماد للرئيس داخل حركة عدم الانحياز كما تسانده فى مفاوضاته مع إسرائيل .

والمؤكد ان هذا المنصب قد أتاح لسيد مرعى ان يصعد عدة درجات مرة واحدة ووصلت علاقته بالسادات الى منحى آخر اكثر رسوخا وصلابة - وبالفعل - اعلن السادات يوم ٢٤ يناير عام ١٩٧٤ خطوبة « نهى » - ابنته من « جيهان » زوجته الثانية - « وحسن » الابن الاصغر لسيد مرعى .

وقد أدى سيد مرعى دوره بنجاح كسكرتير لمؤتمر الغذاء العالمى حيث استطاع على الأقل أن يضع الدول المصدرة للغذاء في موقف دفاعى . وربما لم ينجح سيد مرعى في إنشاء جهاز عالمى للغذاء يتولى توزيع فائض الغذاء العالمى على الفقراء والذي يعد هدفا بعيد المنال في حد ذاته حيث ينزع حق الدول الكبرى المصدرة للغذاء في الهيمنة على توزيع فائضها .. إلا أنه استطاع تأسيس الصندوق الدولى للتنمية الزراعية وحصل على دعم من الولايات المتحدة لتمويله قيمته ٢٠٠ مليون دولار .

وفي الاجتماع التحضيرى لمؤتمر روما الذى عقد في ١١ فبراير عام ١٩٧٤ قدم سيد مرعى قائمة باقتراحاته ومنها العمل على زيادة انتاج الغذاء في الدول الاقل نموا من خلال رأس المال والتكنولوجيا وزيادة المساعدات الغذائية لهذه الدول في نفس الوقت .

واقترح مرعى انشاء نظام عالمى جديد لتوزيع فائض محاصيل الحبوب تحت اشراف كل من المنتجين والمستهلكين ويعنى ذلك انتزاع حق الدول الكبرى في توزيع الحبوب وفقا لأهوائها .

ويبدو ان سيد مرعى قد اصطدم بحائط صلب قوى فقد كان مصير هذه المقترحات الرفض - طبعا - وكان على رأس المعارضين ممثلو الدول المصدرة للغذاء ومنظمة الاغذية والزراعة .

وامام هذه المعارضة المزدوجة لم يكن أمامه إلا الانسحاب حيث أجبر على التخلي عن اقتراحه بإنشاء جهاز عالمى للإشراف على مخزون الحبوب الدولى . واعترافا بأدائه الرائع كسكرتير عام لمؤتمر الغذاء العالمى تم اختيار سيد مرعى رئيسا لمجلس الغذاء العالمى المزمع إنشاؤه .. ومن خلال منصبه الجديد كرر نفس المحاولة . وهى المطالبة بإنشاء جهاز عالمى لتوزيع فائض الغذاء على الفقراء - وبالتالي تحقيق مافشل في تحقيقه في مؤتمر نوفمبر .

ويبدو انه يصر على توجيه الكرة في نفس مكان حائط الصد فقد اعترضت الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة على نفس الاقتراح .. وقد انتهى الاجتماع الاول لمجلس الغذاء العالمى الذى عقد في يونيه عام ١٩٧٥ لطريق مسدود دون ان يصدر عنه حتى تقرير ختامى وربما شك سيد مرعى انه يسير في الطريق الخطأ فقام بجولة

لعدد من العواصم العالمية الكبرى للتوصل لاتفاق لكن هذا الموضوع كان معقدا فهو يطلب الكثير ولذلك كان مصير الاجتماع الثانى نفس مصير الاول فالطريق مسدود كالعادة .

وتأكد بما لا يدع مجالا للشك ان عليه ان يوجه طاقته لمشروع آخر وهو العمل على زيادة المساهمات لإنشاء الصندوق الدولى للتنمية الزراعية لتحقيق أحلامه بزيادة الإنتاج الزراعى فى دول العالم الثالث باستخدام التكنولوجيا الغربية وأموال دول البترول .

واشار سيد مرعى إلى أن العقبة التى تواجه التنمية الزراعية فى دول العالم الثالث ليست هى نقص الأموال والتكنولوجيا او القدرات ولكن غياب الارادة والرغبة السياسية .

وفى عام ١٩٧٥ نشر سيد مرعى كتابا بالاشتراك مع المهندس سعد هجرس بعنوان : « اذا اراد العرب » .. وقد صدر الكتاب باللغة العربية .. وأوضح فى كتابه ان العالم العربى يمكن ان يتحول لمنطقة من إحدى مناطق فائض الغذاء إذا شرع القادة السياسيون فى خطوات لتحقيق ذلك .

وقام بتوجيه رسالة مماثلة فى كتاب آخر صدر فى نفس العام باللغة الإنجليزية .. وردد سيد مرعى نفس هذه الافكار فى عدة خطب ومقابلات خلال مدة رئاسته لمجلس الغذاء العالمى وبعدها .

ويعبر سيد مرعى عن فلسفته قائلا : ارى ان حل مشكلة الغذاء فى الدول النامية يتطلب عقد مؤتمر يجمع هذه الدول لمناقشة مشاكلهم وتبادل الخبرات فيما بينهم .. اى الاعتماد على الذات وليس على الدعم الخارجى .. ويمكن تطبيق تجربة الصين التى تعمل بشعار : « نحن نعمل بأنفسنا من اجل أنفسنا » .

وبدا يركز اهتمامه للتمويل العربى لتحقيق تنمية زراعية عربية مع تركيز الجهود على المنظمة العربية للاستثمارات الزراعية والتنمية ... وهى وكالة تعمل برأسمال عربى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتى نفذت برنامج تنمية طموح فى السودان فى عام ١٩٧٧ .

ولاشك ان تحول أنظاره عن « الجهود الدولية لوضع حل لازمة الغذاء » .. واهتمامه « بدول العالم الثالث والدول العربية » يعكس شعوره بالإحباط تجاه ممثلى دول الغرب فى مجلس الغذاء العالمى والصندوق الدولى للتنمية الزراعية .

وليس غريبا ان يشعر سيد مرعى بالاستياء والغضب نتيجة عناد دول المجموعة الاوروبية والتي تؤثر بشكل كبير على أعمال مؤتمر الغذاء العالمى ومجلس الغذاء العالمى حتى أنهم نجحوا فى تحويلها لجزء لايتجزأ من البيروقراطية الدولية .

وربما شعر أنهم يأخذون مواقف اتجاهه .. وقد تأكد من صدق هذا الكلام بعد ذلك حيث بدأ الهمس فى الآذان بعدم تأييد ترشيح سيد مرعى رئيسا لمجلس الغذاء العالمى لفترة ثالية فى الاجتماع الثالث للمجلس الذى يعقد فى مانىلا بالفلبين فى شهر يونيه عام ١٩٧٧ .

واعلنت دول الغرب ان سبب عدم تأييد ترشيح مرعى لفترة رئاسة تالية ترجع لانه لم يعط كل وقته للمجلس حيث استمر فى ممارسة مهامه السياسية فى مصر .. وكان هذا طبعا هو السبب الوحيد المعلن .

وبالرغم من محاولات دول الغرب فى إقصائه عن وظيفته اعلن فى ١١ مارس عن نيته فى إعادة ترشيح نفسه رئيسا لمجلس الغذاء العالمى ..

وعلى مدى الشهرين التاليين كتفت وزارة الخارجية المصرية اتصالاتها لدعم سيد مرعى .. لكن تبين فى منتصف شهر مايو ان دول المجموعة الاوروبية سوف تعترض على ترشيحه وأنه لن يحصل على الأصوات الكافية لوصوله لكرسى الرئاسة .. بعدها مباشرة أعلن سيد مرعى قراره بالانسحاب من الترشيح لهذه الوظيفة .. وفى اجتماع مانىلا فى شهر يونيه أعلن عن تولى ارثورو تانكو وزير الزراعة الفلبينى رئاسة مجلس الغذاء العالمى .

والمثير ان المصريين كانوا ينظرون بريبة لتعيين سيد مرعى الرأسمالى فى وظيفة تتعلق بتخفيف الآم الفقراء فى العالم ضد جشع وفساد دول العالم الاول أو العالم المتقدم .

بينما كان سيد مرعى يرى ضرورة تنشيط المفاوضات لحل أزمة الغذاء لصالح مصدرى ومستوردى الغذاء وكان يتمنى ان تتفهم الدول الكبرى الموقف وان تعرف ان أرباح صادراتها من التكنولوجيا يمكنها تعويض أى خسائر نتيجة انخفاض صادرات الغذاء .

وربما كانت صدمة بالنسبة له حين تأكد ان هناك حدودا واسوارا لا يمكن تعديها وان هناك عادات وتقاليد دولية راسخة لايمكن الاقتراب منها .. وطالما ان الطريق لا يؤدي لآى شئ فإن عليه التخلى عن رئاسة المجلس ولو فى هذه المرحلة حتى تتغير الظروف ..

والحقيقة ان تصريحاته التي تدل على أنه يفضل التجربة الصينية والاعتماد على النفس في تحقيق التنمية الزراعية توضح أنه قد فقد الثقة في جهود دول الغرب .

وفي نفس الوقت الذي كان يرأس فيه مجلس الغذاء العالمى كان يشرف فيه على تغيير سياسى طموح فى مصر لم يسبق له مثيل منذ بداية الخمسينات حين شرع عبد الناصر فى تجاربه السياسية

وكرئيس لمجلس الشعب كان يراقب برنامج الديمقراطية الذى بدأه السادات عام ١٩٧٤ وهو البرنامج الذى وصل للمنحنى الحرج فى بداية صيف عام ١٩٧٧ .

الباب التاسع

سيد موسى
في مجلس الشعب

الفصل الأول

الحرية السياسية

في أعقاب حرب ١٩٧٣ إستأنف السادات تجارب الديمقراطية التي بدأها في بداية عام ١٩٧٢ وتوقفت في ربيع عام ١٩٧٣ لوضع حد للشغب وحالة السخط العام وتهيئة المناخ للمعركة مع إسرائيل .

وقد قرر السادات استئناف تجاربه لعدة اعتبارات أولها أن الرئيس يفضل النظام السياسي المفتوح أو النظام الديمقراطي على النظام السياسي المغلق لعبد الناصر .. ولكنه كان حريصا ألا يفلت من يده زمام الحكم في هوجة الديمقراطية . والاعتبار الثاني أن السادات قد خرج من الحرب أكثر ثقة بعد أن تقلد لقب « بطل العبور » وأصبح يرى أن الحرية السياسية تخفف عن كاهله كثيرا من اعباء الحكم - التي كان يتحملها عبد الناصر على سبيل المثال - وإن عليه فقط أن يجلس على كرسى العرش ويراقب المعارك السياسية التي تحدث تحته ويتدخل في بعض الأوقات ضمانا للنتائج التي يود تحقيقها .

والاعتبار الثالث هو السياسة الخارجية التي لعبت دورا كبيرا في اتجاهه نحو الديمقراطية حيث اتجه السادات بأنظاره للغرب وخاصة الولايات المتحدة وكان ذلك في حد ذاته يستدعى قليلا من الديمقراطية .

فقد كان السادات في حاجة لدعم الولايات المتحدة في مفاوضاته مع إسرائيل وكان يتمنى أن ترى الولايات المتحدة « مصر » أكثر بريقا من باقي الدول العربية وكان هناك اعتبار رابع وهو بدء المفاوضات وحرب الكلمات بين نظام الحكم في مصر والأنظمة العربية بعد أن شعر الحكام العرب أن مصر تسير بالتدريج في طريق السلام المنفرد والواقعي مع إسرائيل ولاشك أن تحقيق قدر من الديمقراطية في مصر يعمل على إثارة المعارضة في الدول العربية التي لايسمح حكامها بأي حريات سياسية . والجدير بالذكر أن الديمقراطية لم تولد في مصر في السبعينات بصورة طبيعية .. فقد بدأها السادات ومارسها وفقا لاعتبارات تكتيكية وكان لها حدود غير مسموح بتعديها .

ويبدو ان الديمقراطية قد تعدت الحدود المسموح بها في نهاية ربيع عام ١٩٧٨ عندما خرج حزب الوفد الجديد من القمم التاريخي ليتحالف مع الناصريين اليساريين وأصحاب الاتجاه الإسلامي مهددين باقتناص السلطة من أيدي السادات .

ومنذ ذلك الوقت بدأ منحني الديمقراطية يعلو ويهبط . وقد شهدت الديمقراطية - قبل غيرها من المشروعات - مرحلة أولى إنتهت في ربيع عام ١٩٧٤ حين أصدر الرئيس السادات ورقة أكتوبر ورسم فيها حدود الديمقراطية .

وفي شهر يولييه عام ١٩٧٥ أعلن في المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي أنه سيسمح بتكوين احزاب من خلال الاتحاد الاشتراكي .. وكان الرئيس بذلك يكرر نفس ما قاله في النصف الاول من عام ١٩٧٢ .

وقد عهد السادات للاتحاد الاشتراكي بأن يتولى مسئولية هذه الاحزاب حتى يتحكم في الحصان واللجام وتأخذ الديمقراطية مسارها من اعلى إلى اسفل وليس العكس .

ويبدو ان رجل الشارع لايرضى بالمسكنات ولذلك بدأ يتذمر من هذه الديمقراطية المصطنعة مما اضطر السادات لدفع عجلة الحرية السياسية للأمام مرغما .

وعندما أعلن السادات في يولييه عام ١٩٧٥ قراره بتأسيس الاحزاب صفق أعضاء الاتحاد الاشتراكي للرئيس لكنهم كانوا في شك مريب من هذا الكلام .. فلم يكن احد يعرف ان كان السادات جادا فيما يقوله ام لا !! وهل من الواجب التجاوب مع ماقاله الرئيس ام يجب الاكتفاء بالتصفيق .

وعرف الناس ان السادات صادق هذه المرة فاندفعوا في تشكيل الاحزاب .. وفي يناير عام ١٩٧٦ وصل عدد الأحزاب المسجلة مايفوق الاربعين حزبا وهو عدد كبير طبعاً .. وتم تشكيل لجنة الأحزاب برئاسة سيد مرعى لتقييم الموقف .

وفي ربيع عام ١٩٧٦ قامت اللجنة بتصنيف الاربعين حزبا وفقا لاتجاهاتها السياسية في ثلاثة احزاب فقط : اليسار .. واليمين .. والوسط .. على اعتبار ان رئيس الوزراء هو رئيس حزب الوسط وأجريت انتخابات عام ١٩٧٦ وخاضتها الأحزاب الثلاثة بالإضافة لقائمة المستقلين .. وكان للناخب بالفعل حرية التصويت .. لكن استخدمت الحكومة في هذه الانتخابات كل مخالفها الإدارية لضمان تفوق حزب الوسط .

وشعر الرئيس بالثقة في قدراته لأنه يمارس الحكم من خلال نظام سياسي أكثر انفتاحا .. ولم يكن السادات يعرف أنه سيتعرض لاختبار صدق النوايا .

وفي ١٨ ، ١٩ يناير عام ١٩٧٧ شهدت مصر أحداث شغب لم تشهد مثيلا لها إلا في نهاية عصر « فاروق » ولم يكن أمام السادات إلا أن يَشدد قبضته على المعارضة الرسمية وتلك المعارضة التي تعمل « تحت الأرض » .. وقام بفصل عضو بارز بمجلس الشعب .

وطالب الرئيس بإجراء استطلاع للرأى حتى يتمكن من فرض عقوبات مشددة على السياسيين مثيرى الشغب .

ويبدو ان السادات قد قرر ان يعطى الحرية السياسية فرصة أخرى من خلال إطار عمل محدد ومحكم .. وصدر - بالفعل قانون جديد للأحزاب السياسية بعد أن وافق عليه البرلمان في منتصف يونيه عام ١٩٧٧ .

والمؤكد أن السادات لم يتدد الأمور بدقة - حيث أنه بالرغم من يد الحكومة القوية - خرج حزب الوفد الجديد للفوز وكذلك اليمين الاسلامى بالاضافة للحزب التقدمى الوجدوى الذى يرأسه خالد محيى الدين احد الضباط الاحرار السابقين ... ولم تكتف هذه الاحزاب بتهديد سياسات السادات داخليا بل لم تنجح سياساته الخارجية من ان تلوكها الألسنة حيث انتقدت مبادرة السلام ورحلة القدس وتوقيع معاهدة سلام منفرد مع إسرائيل .

وفي ربيع عام ١٩٧٨ شرع السادات في البحث عن وسيلة ما لاحتواء معارضيه .. وبدأ في التلويح بأصابه داخل القفاز الأسود لإثارة الفزع في قلوب هؤلاء المعارضين .. والواضح ان القفازات السوداء لاتخيف إلا الأطفال .. وعندما اكتشف أنه لا جدوى من ذلك بدأ على الفور في توجيه ضرباته حيث أعاد حزب الوفد الجديد إلى مكانه في متحف التاريخ وقام بتكميم اليسار واليمين . وأعلن السادات بعدها تأسيس حزب الرئيس .

وقد لعب سيد مرعى دورا حيويا على مدى تلك السنوات الأربع الدرامية بالرغم من مسئولياته في مؤتمر الغذاء العالمى ومجلس الغذاء العالمى حيث رسم السادات المخطوط العريضة لخطة تطبيق الديمقراطية وترك الفرصة لسيد مرعى لينفذها عمليا .

وقام سيد مرعى بدور الوسيط او السمسار بين الرئيس السادات وبين مختلف الجهات التى تسعى للسلطة والنفوذ في ذلك النظام السياسى المتقلب .

ووفقا لدوره كوسيط يقوم بوضع حدود للمناقشات المصرح بها تحت القبة في مختلف الموضوعات وفقا لتصور السادات .. وبذلك يكون السادات بعيدا عن الألعاب القذرة التى تجرى في كواليس المسرح السياسى .. ويترك لسيد مرعى دور الرجل القاسى او الشرير الذى لايتيح الفرصة للمعارضة لتوضيح وجهة نظرها .

وكان على سيد مرعى أن يؤدي دوره كرئيس للمجلس بالسير في خط الرئيس سواء اتبع خطأ مستقيما او متعرجا او عاد للوراء .. فإن عليه ان يتبع تناقضات الرئيس أيضا .

ويمكن القول إن جلسات مجلس الشعب المسجلة تليفزيونيا تعكس جزءا ضئيلا من دوره كوسيط .. والجزء الاكبر من دوره يؤديه خلف الكواليس .. وقد كان سيد مرعى يعرف جيدا انه يتعامل مع سياسيين وانه من المضحك ان يظل يردد أمامهم آراء وأفكار السادات .. ويعنى ذلك انه لابد من توسيع مساحة الجلسات الخاصة حيث يتمكن من القيام بمناوراته السياسية .. وخلف الأبواب المغلقة يقول رايه بصراحة في كثير من سياسات السادات - حتى يكسب ثقة هؤلاء السياسيين ويمكن إقناعهم بعد ذلك بسهولة بالموافقة على سياسات السادات .

أى أن عليه أن ينتقد السادات وسياساته مع توضيح تأييده الشديد لانتقادات المعارضة في مناسبات خاصة .

ومن الخطأ أن ينظر البعض لهذه التصرفات على أنها مجرد سمسة سياسية .. فمن المؤكد أن سيد مرعى لم يكن مقتنعا بكل آراء السادات ولكنه لا يستطيع ان يعارض آراءه حتى لا يفقد وظيفته بسرعة .. وعلى أى حال فقد كان يعارض سياسات أعضاء مجتمع الصفوة السياسية .. وقد أقدم على ذلك كثيرا وهو يعرف ان هذه السياسات يوافق عليها السادات طبعاً وربما كان وراءها .

وبالرغم من انه لم يكن يتمنى ان يكون مجرد منفذ لسياسات غيره .. وكان يكره طبعاً ان يظهر أمام الناس وهو يقوم « بتكثيف المعارضة » وتبرير سياسات الرئيس . فقد كان يأمل في توضيح وجهة نظره المختلفة عن وجهة نظر الرئيس بالنسبة لمختلف القضايا .. حتى الكثيرين كانوا يعتبرونه مختلفاً عن باقى أفراد النخبة حيث يعتبرونه « تقدماً حراً » .

الفصل الثانى

مرعى « بديل » الرئيس

وكان عليه هنا ان يتحدث باسم الرئيس دون ان يشير اليه من قريب او بعيد .. وربما يغير السادات رأيه ويسير فى الاتجاه المعاكس .. ولا يجد سيد مرعى مفرا من الاتجاه للخلف فتجده يرفض اقتراحات سبق أن وافق عليها . وبالنسبة للسياسة الخارجية .. على سبيل المثال - فقد التزم سيد مرعى بخط الرئيس بأمانة مؤكدا أن مصر لن تخذل الاشقاء العرب وسوف تساندهم فى مواجهة التهديد الاسرائيلى .

والجدير بالذكر أن سيد مرعى قد أدى دوره بنجاح كمنسق للمقاطعة العربية للبترول من خلال دوره كضابط اتصال مع الدول العربية وكصديق مقرب سابق من محمد حسنين هيكل المعروف بميوله للعرب .

وبالرغم من انه يرتبط شخصيا وأيديولوجيا بهذه الدول الا انه بارك الجولة الثانية من مفاوضات سيناء وظهر ذلك واضحا فى خطاب إعادة انتخابه كرئيس لمجلس الشعب فى اكتوبر عام ١٩٧٥ .. وعندما أعلن السادات عن رغبته فى الذهاب للقدس فى نوفمبر عام ١٩٧٧ لم يجد سيد مرعى مفرا من مساندة هذا القرار .

وكالعادة قام بتأمين موافقة المجلس على مبادرة السادات بينما وقف حائلا بين اعضاء المجلس المعارضين وبين الميكروفون حتى لا يتمكنوا من إعلان سخطهم . وقد لعبها سيد مرعى ببراعة - وبدلا من مناقشة رحلة الرئيس للقدس تحت قبة المجلس مباشرة - عقد اجتماعا للأعضاء بمكتبه ووضع امامهم الصورة كاملة .. وعلى اى حال - لاتجرؤ قيادات حزب الوسط على معارضة سياسة الرئيس فى البرلمان .. وقد حرصت هذه المجموعة على إصدار بيان باسم اعضاء المجلس فى ١٩ نوفمبر أعلنت فيه مساندتها لمبادرة الرئيس من اجل تحقيق السلام .

وكان يتعامل مع احزاب المعارضة من واقع وظيفته كبديل للرئيس فهو يفضل الاحزاب التى يفضلها الرئيس .. وفى الاول من نوفمبر عام ١٩٧٤ اى بعد انتخابه رئيسا لمجلس الشعب بيوم واحد أشار فى كلمته امام طلاب جامعة الاسكندرية الى ان المعارضة ضرورية فى مجلس الشعب لمعرفة الراى والراى الآخر .. ولكننى لا أتخيل ان نجلس القرفصاء ونطالب بالاحزاب .. ان علينا ان نفعل شيئا .

وبعد هذا الكلام بستة اسابيع فقط سأله صحفى بالأهرام عن حقيقة ما يتردد عن تأسيس أحزاب للمعارضة ! .. فأجاب سيد مرعى بأن المعارضة موجودة في المجلس بالفعل من خلال اختلاف الآراء بين الأعضاء .. وأوضح أن تجربة الأحزاب في العهد البائد كانت لها سلبياتها مما لايشجع على تكرارها .

وفي نهاية عام ١٩٧٥ - اى بعد اسبوع من تعيينه رئيسا للجنة المائة .. لوحظ ان سيد مرعى يتعمد وضع حدود للمناقشات .. وكان ذلك تحذيرا من الإفراط في التفاؤل حول مستقبل الحرية السياسية في مصر .

وفي الجلسة الافتتاحية للجنة المائة يوم ٢ فبراير عام ١٩٧٦ سأله احد الاعضاء : هل قرارات هذه اللجنة ملزمة ولها قوة القانون ام ستكون مجرد اقتراحات ؟ .. ورد على الفور بأنها مجرد اقتراحات وسوف تعرض على الرئيس السادات لبحثها وفقا لاعتبارات .

وفي لقاء مع صحفى بجريدة القبس الكويتية .. نفى سيد مرعى بشدة ما يتردد حول تأسيس أحزاب سياسية .. وقال إن الاتجاه العام ضد تكوين أحزاب في الوقت الراهن .

بعدها بوقت قصير حدث عكس هذا الكلام حيث بدأت الاستعدادات الخاصة بالانتخابات وفقا لتقرير اللجنة .. وبدا واضحا ان المعارضة غير متجانسة حيث تضم فئة من المستقلين بجانب أعضاء حزبي اليمين واليسار الذين طالبوا بإعادة تقسيم المراكز الانتخابية قبل الشروع في اجراء الانتخابات .. وقد رفض سيد مرعى هذا الطلب .

وطالب آخرون بإشراف حكومة محايدة على الانتخابات خاصة . وان ممدوح سالم رئيس الوزراء هو رئيس حزب الوسط .. فأجاب بأنه ليس هناك مايدعو للخوف من إشراف الحكومة الحالية على الانتخابات حيث أن ذلك ما يحدث في جميع بلاد العالم .. وفي بريطانيا على سبيل المثال - أشرفت حكومة حزب العمال على الانتخابات ومع ذلك نجح حزب المحافظين .

وفي ١٤ سبتمبر اى قبل يومين فقط من الانتخابات أصدرت الحكومة امرا عسكريا يقضى بتحصيل غرامات مالية كبيرة من مالك العقار في حالة ثبوت تقاضيه خلو الرجل .. وتضمن الامر العسكرى أيضا فرض ضرائب على عائدات هذه العقارات .. وكان المقصود من ذلك احتواء ازمة المساكن قبل الانتخابات .

وكان الامر العسكرى بمثابة استفزاز لمشاعر الملاك .. مما جعل البعض يعبر عن سخريته من وعود الحكومة بالحرية .. وربما لايعرف البعض ان الدستور المصرى يفرض على مجلس الشعب الموافقة على كل القرارات التى تتعلق بالضرائب ..

مع ان فرض هذه الضرائب يتناقض مع اسس العدالة الاجتماعية التى يكفلها الدستور نفسه .

اى ان فرض ضرائب على هذه الشريحة من المواطنين بالذات يعد قرارا غير دستورى .. وقد كان من المفروض ان يدافع رئيس مجلس الشعب عن الحق الدستورى للمجلس ويمتنع عن مناقشة مثل هذه القرارات .. ولكنه لم يفعل ذلك .

ومن الطبيعى الا يتعاطف سيد مرعى أو غيره مع هذا الأمر العسكرى .. ومع ذلك فقد دافع عنه .. وقد أجاب عن سؤال وجهه احد الصحفيين مؤكدا ان الدستور يجيز إصدار مثل هذه الاوامر العسكرية لأننا فى دولة حرب .. وأشار الى أن هذا الامر العسكرى سوف يعرض على مجلس الشعب فى بداية جلسته فى شكل مشروع قانون مع القانون المقترح الخاص بالضرائب ..

ويحدث مالم يكن فى الحسبان فقد وافق مجلس الشعب على قانون الضرائب كما وافق على بنود الأمر العسكرى ولكن رفض الرئيس السادات تنفيذه . وعلى أى حال فقد كان سيد مرعى يخرج عن القواعد فى بعض الأحيان - والمقصود بالقواعد هنا هو خط الرئيس السادات - فقد رفض استخدام مضبطة المجلس للتحقيق فى بعض قضايا انحرافات الأعضاء او ما يطلق عليه قضايا الفساد . وبالرغم من ان مجلس الشعب يضم عدة أجهزة للتحقيقات إلا انه لم ينجح فى كشف طلاس قضية واحدة .. ولذلك أشار جمال الدين الحامصى الصحفى بالاخبار الى ضرورة استعانة هذا الجهاز ببعض التنفيذيين من الخارج .

وذكر سيد مرعى - فى خطاب لجريدة الاخبار ردا على اقتراح الحامصى - ان ذلك يضر باستقلالية المجلس وان مضبطة هذا المجلس فوق مستوى هذه التحقيقات والشبهات .

وعندما سجلت احزاب المعارضة إعتراضها - على إرسال رجال الصاعقة المصريين للارناكا للقبض على الارهابيين الذين قتلوا يوسف السباعى رئيس مجلس إدارة مؤسسة الأهرام فى فبراير عام ١٩٧٨ - لم يجد سيد مرعى مفرأ من الدفاع عن قرار الرئيس بالرغم من ان رجال الصاعقة المصريين لم يتمكنوا من قتل أو القبض على اى من هؤلاء الارهابيين .

وكانت المعارضة وحملة الانتقادات تشتد فى بعض الأحيان .. وربما يهوى البعض قيادة سيارة الديمقراطية بأقصى سرعة مع أن الرئيس قد وضع سلفا حدودا للسرعة وهنا يأتى دور سيد مرعى « كفرملة يد » .

والمؤكد أن سيد مرعى لم يكن راضيا عن دوره كمتحدث باسم الرئيس ومدافع عن قراراته .. فقد كانت مواهبه تتيح له وظيفة أكثر بريقا يمكن أن يعبر من خلالها عن فكره التقدمي وثقته في قدراته على الحوار ومناظرة الحجة بالحجة .
ولاشك أن طموح سيد مرعى ورغبته في الصعود لقمة الهرم السياسى هى التى أرغمته على التودد للرأى العام بينما يقف بالمرصاد لآى محاولة لتهديد سلطة الرئاسة .

الفصل الثالث

سياسات حزبية

وبالرغم من قربيه من السادات وسياساته غير المقبولة شعبيا .. قرر سيد مرعى إقامة علاقات مع نواب المعارضة المرموقين بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية . وعلى اى حال فقد كان الاسلاميون لا يثقون بسيد مرعى على اعتبار انه علمانى .. وبالفعل - قام رئيس مجلس الشعب بمساعدة جمال العطيفى وكيل المجلس الأكثر ميولا للعلمانية بإحباط محاولة الاسلاميين لتطبيق بعض بنود الشريعة الاسلامية ومنها منع تعاطى الخمر على سبيل المثال .

وفى نهاية صيف عام ١٩٧٧ تم عقد جلسه مشتركة فى القاهرة للبرلمانين المصرى والسودانى .. ووجدها الاسلاميون المصريون والسودانيون فرصة لاثارة كثير من القضايا التى تتعلق بالشريعة الاسلامية مع الوضع فى الاعتبار ان نسبة كبيرة من البرلمانين السودانين من الاسلاميين .

وحرص سيد مرعى فى هذا اللقاء على تجنب المواجهة وأعلن تعاطفه مع قضاياهم ومطالبهم بشأن تطبيق الشريعة .. لكنه حذر من ان الوقت ليس مناسباً بعد لتطبيقها .

والمعروف ان مصر كانت تجرى مفاوضاتها مع إسرائيل فى ذلك الوقت .. وربما كانت فى حاجة لدعم دول الغرب للضغط على إسرائيل لقبول التنازلات .. وقد نصح سيد مرعى الأصوليين بالتريث فيما يتعلق بتطبيق الشريعة حتى لا يترجمه الغرب المسيحى ترجمة خاطئة مما يعطى ذريعة للأعداء .

وعندما كان أمينا للاتحاد الاشتراكى - اى قبل هذا اللقاء بعدة أعوام - قرر الذهاب للحج بعد أن اتهمه البعض بأنه اشتراكى ملحد .. وحرص ايضا على اضافة آيات من القرآن الكريم لخطبه .

والمؤكد ان هؤلاء الاسلاميين قد كسبوا أرضا شاسعة فى فترة السبعينيات ولذلك بدأ مرعى فى تكثيف اتصالاته برجال الدين الرسميين - على سبيل المثال - إلتقى بشيخ الازهر وأبدى دعمه لفكرة إنشاء فرع لجامعة الازهر بالقازيق بمحافظة الشرقية .

وفي نهاية شهر يناير عام ١٩٧٧ تطوع للقاء طلاب جامعة الأزهر الذين كانوا يهددون بالقيام بمظاهرة .. وواظب خلال هذه الفترة على الظهور بجانب الرئيس السادات وكبار رجال الدين في صلاة الجمعة .

وبالرغم من كل ذلك فشل سيد مرعى في كسب ثقة الاسلاميين اليمينيين .. وكان النواب الأصوليون الذين يمثلون محافظات الصعيد اكثرهم عداء له .. ولم يكن غريبا ان يشكو لصحفي كويتي من هجوم الأئمة عليه وعلى السادات في خطب الجمعة .. وبالرغم من كل مشاعر الكراهية حرص على عدم إغلاق خطوط الاتصال بالاسلاميين .

وهناك مجموعة أخرى تكره سيد مرعى كراهية الخمر وهم « طلبة الجامعة » وقد تعامل معهم بنفس الأسلوب الذي تعامل به مع الإسلاميين . ومنذ بداية عمله كأمين للاتحاد الاشتراكي في بداية عام ١٩٧٨ كان هدفا لضربات طلبة الجامعة التي كانوا يوجهونها للنظام الحاكم .

وعندما كان أمينا للاتحاد الاشتراكي كان الطلبة يطلقون عليه « الاقطاعي .. الرأسعالي » .. وخلال مظاهرات طلبة الجامعة عام ١٩٧٥ وعام ١٩٧٧ - إعتراضا على رفع أسعار السلع الغذائية - سمع كل الناس الهتاف الشهير : « سيد بيه .. سيد بيه .. كيلو اللحمه باتنين جنيه » .

وفي أحداث ١٨ ، ١٩ يناير عام ١٩٧٧ مرت المظاهرة من امام مجلس الشعب وظهر سيد مرعى للحظات مطلا من البلكونة - حيث كان وقتها بمكتبه - ورأه أحد المتظاهرين وأخذ يهتف : « الحرامى أهه .. الحرامى أهه » .

والحقيقة ان سيد مرعى كان دائما حساسا فيما يتعلق بمظهره وكرامته .. ولذلك حاول منع مراسل مجلة « تايم » الامريكية من كتابة هذه القصة حيث اتصل سكرتيه بالمجلة لوقف نشر هذه القصة لكن المجلة رفضت ذلك طبعا .

وبالرغم من هذا العداء السافر .. حرص على مد الجسور مع طلبة الجامعة ولم يتجنبهم كما فعل باقى حاشية الرئيس السادات .

وعلى مدى شهور الاضطرابات الساخنة على مدى عامى ١٩٧٤ - ١٩٧٥ - عندما تظاهر الطلبة في الشوارع إحتجاجا على الظروف الاقتصادية السيئة وعدم وفاء الحكومة بوعودها بشأن الحرية السياسية - قام سيد مرعى بعقد سلسلة من اللقاءات بطلبة الجامعة .

وخلال هذه اللقاءات كان واضحا أنه حريص على مد الجسور والقنوات المفتوحة مع الطلبة حيث أبدى تعاطفه مع قضاياهم .. ووجه اللوم للحكومة على اعتبار انها المسئولة عن هذه الأحداث وعلى رأسها عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء لانها لم

تحسن تنفيذ سياسة الانفتاح الاقتصادي .. ووجه اللوم أيضا للاتحاد الاشتراكي وعلى رأسه محمد حافظ غانم « الأمين » لانه فشل في فتح قنوات الاتصال مع الطلبة . ومع « نبرة الصلح » التي تبدو من هذا الحوار والتي ادت لقلق حجازي وشعور حافظ غانم بالحرج إلا أنه كان لابد من وسيلة ما لتهدئة الطلاب .

والمؤكد ان سيد مرعى قد نال إعجاب مجموعة - يطلق عليها - « أعداء الرئيس » وهم اليساريون حيث استطاع ان يحقق معهم ما فشل في تحقيقه مع مجموعات أخرى .

وفي معسكر محمد حسنين هيكل - في فترة حكم عبد الناصر - تعرف سيد مرعى على عدد كبير من المثقفين اليساريين وخاصة هؤلاء الذين لهم علاقة بجريدة الاهرام وخاصة الكاتب لطفى الخولى رئيس تحرير مجلة الطليعة .

وخلال أحداث ١٨ - ١٩ يناير قام السادات بطرد لطفى الخولى من الاهرام .. وحرص الرئيس على توجيه كلمة له في خطاب على شاشات التليفزيون ذكر فيه : « إنه لايمكن أن يعمل الكافر صحفيا » .

وكان لطفى الخولى حريصا على عدم إحراج سيد مرعى حيث توقف عن زيارته ولكن لم تنقطع الاتصالات التليفونية بينهما .

وحرص على التعرف بالجيل الجديد من الصحفيين اليساريين .. واستطاع إقناع السادات بالإفراج عن محمد سلماوى الصحفى بالاهرام وهو في نفس الوقت ابن أحد أفراد شلة سيد مرعى بكلية الزراعة عام ١٩٣٧ .

وكان قد تم القبض على « سلماوى » في أعقاب أحداث يناير عام ١٩٧٧ واتهم باثارة الشغب .. وتم إسقاط هذه التهمة بعد ذلك .

وقد وصف ابو سيف يوسف الكاتب اليسارى بمجلة الطليعة وعضو الاتحاد الاشتراكي سيد مرعى بأنه من الاحرار التقدميين لكنه يتميز بشخصية محافظة .. وربما يكون ذلك هو رأى اليساريين فيه .. حيث أن كثيرا منهم يرون أن أفكاره مطابقة لأرائهم . وانه من أكثر رجال حاشية الرئيس دعما للديمقراطية .

والكل يعرف أنه قد تعرض لهجوم شديد من ناحية اليمين المحافظ خلال مناقشات تطوير الاتحاد الاشتراكي عام ١٩٧٢ .. واتهمه محمد محمود عضو الاتحاد الاشتراكي عن منطقة الصعيد - والذي أصبح احد علامات حزب الوسط بعد ذلك - بأنه قد فتح الباب على مصراعيه للناصريين واليساريين والشيوعيين .

وربما يفسر ذلك عدم إدانة اليساريين لسيد مرعى أثناء قيامه بتحجيم مناقشات أعضاء الاتحاد الاشتراكي حيث تفهموا جيدا دوره كوسيط للرئيس .. وكانوا يعرفون انه يحاول قدر جهده أن يجعل الباب مفتوحا ولو قليلا .

ويرى اليساريون انهم متفقون تماما مع سيد مرعى حول سياسة الانفتاح الاقتصادى حيث يعتقد مرعى انها سياسة جيدة من الناحية النظرية ولكن لم تنفذ بالصورة الصحيحة .. وكان يوجه انتقاداته للحكومة لأنها قد وعدت بالكثير بينما تستطيع ان تفى بالأساسيات كالملابس الرخيصة وحل مشكلة الإسكان .

وانتقد بشدة المزايا والإعفاءات التى تمنح للشركات بالسوق الحرة ببورسعيد حيث ان سياسة الانفتاح عليها ان تشجع الاستثمارات فى مؤسسات إنتاجية كبرى . والمؤكد أن هذه التصريحات تشير إلى أن سيد مرعى يسير فى خط مشابه لخط عزيز صدقى رئيس الوزراء الأسبق .. وربما يخسر بها اصحاب المال والتجارة ولكنه يكسب كل أصحاب الأعلام الحمراء .

وعندما فقد « مرعى » شقيق سيد مرعى وظيفته كرئيس لمجلس إدارة الشركة العامة للكيماويات بعد بيعها للقطاع الخاص عام ١٩٧٥ .. قام سيد مرعى بجمع العاملين بالشركة وألقى خطبة عصماء أوضح فيها أن القطاع الخاص نظام طفيلى يعتمد على الاستيراد أكثر مما يعتمد على الإنتاج .. وقد اشتهر سيد مرعى بهذا الحادث مما أهله للحصول على أوراق اعتماده كأحد المدافعين عن القطاع العام . وكان سيد مرعى يعرف عددا كبيرا من قيادات منظمة التحرير الفلسطينية .. وكان من مؤيدى الدعم المصرى للقضية الفلسطينية .. وظل يردد نفس الكلام بعد رحلة السادات للقدس واتفاقيات كامب ديفيد .

وفسر الكثيرون استقالته من رئاسة مجلس الشعب فى اكتوبر عام ١٩٧٨ بأنه « غير موافق » على السلام مع إسرائيل .. وسواء كان هذا التفسير صحيحا أم لا فإنه يلمح لموقفه من هذه القضية .

الفصل الرابع

مناورات مع المعارضة

وكانت مجموعة المستقلين - بمجلس الشعب - من المجموعات التي عانى سيد مرعى في التعامل معها حيث يشكلون جبهة من الصعب التحكم فيها .. وكان عدد أفراد هذه الجبهة ١٩ مستقلاً فازوا في الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٦ .. وكان هذا الوقت هو ربيع الديمقراطية .

وكان يجمع أفراد هذه الجبهة هدف واحد هو دفع قطار الديمقراطية بأقصى سرعة ممكنة بالضغط على الحكومة للحصول على امتيازات أكثر لصالح المعارضة ولم تكن هناك فرصة أمام سيد مرعى للتعرف على عدد كبير منهم حيث يشكلون جبهة تضم بعض أعضاء بحزب الوفد القديم وأعضاء سابقين بحزب مصر الفتاة وال الإخوان المسلمين كما تضم أعضاء سابقين بمجلس قيادة الثورة .. أى مجموعة غير متجانسة .

ودور سيد مرعى معروف سلفاً في مواجهة هذه الجبهة وهو « فرملة » قطار الديمقراطية الذى يركبونه بين الحين والآخر .

ويعد حلمى مراد واحداً من أبرز جبهة المستقلين وكان وزيراً للتربية والتعليم في الفترة بين عامى ١٩٦٨ - ١٩٦٩ وأحد أنصار حزب مصر الفتاة في العهد البائد وشقيق زوجة أحمد حسين مؤسس مصر الفتاة .

وقرر مراد شن هجوم على سيد مرعى بعد المعركة الانتخابية مباشرة مستخدماً القوة في فتح باب الحرية السياسية على مصراعيه .. فأرسل منشوراً لأحزاب المعارضة يوضح فيه رغبته في منع إعادة ترشيح مرعى رئيساً لمجلس الشعب .. وأرسل نسخة من هذا المنشور لجريدة الاهرام .

وأجلت جريدة الاهرام نشره حتى يقوم سيد مرعى بالرد عليه - وبالفعل - فوجيء القراء بالمنشور والرد عليه على صفحات الاهرام في عدد واحد .. وكان واضحاً ان مراد يعترض على إعادة ترشيح سيد مرعى رئيساً للمجلس لثلاثة أسباب أولها أنه لا بد من إتاحة الفرصة لقيادة جديدة في هذا الموقع وثانيها أن الدستور يحظر انتخاب

رئيس مجلس الشعب يمت بصلة قرابة أو نسب لرئيس الجمهورية .. وثالثها ان تحقيق العدالة يقتضى ان يكون رئيس المجلس مستقلا .. بينما سيد مرعى احد بطانة حزب الوسط الحاكم .

وكان رد سيد مرعى اكثر عنفا من عريضة مراد حيث ذكر فيه انه اذا كان « التجديد » فى حد ذاته مبدأ سارى المفعول فقد كان متوقعا ألا يفوز الدكتور مراد فى انتخابات عام ١٩٧٦ على اعتبار انه وجه سياسى قديم حيث شغل مناصب قيادية وقام بالتدريس فى الجامعة وبعدها عمل فى الوزارة .

وربما وجدها سيد مرعى فرصة ليهدد مراد حتى لا يكرر المحاولة فقال فى رده : انا لا أريد أن أناقش معه اليوم ما يردده دائما حول خلافه مع عبد الناصر .. لقد كنت شاهدا على هذه الواقعة .

- وربما يأتى يوم أسأل عنها - يومها سأقول الحقيقة مجردة .
ورد على مراد قائلا : الدستور المصرى لا يعترف بروابط المصاهرة .. والمصاهرة التى تربطنى بالرئيس من الامور العارضة التى لم أستفد منها ولم يكن لها تأثير على مشوارى السياسى .

وحرص فى رده على أن يتجنب اكثر الامور حساسية وهى انتماءه لحزب الوسط .. ولكنه ذكر ان حزب الوسط يشكل اغلبيه المجلس وله الحق فى اختيار رئيسه .

وارسل حلمى مراد عريضة أخرى لجريدة الاهرام يرد فيها على مقال سيد مرعى لكن رفضت جريدة الاهرام نشره .. وبذلك كان مرعى آخر من أدلى بدلوه . ولم ينته الموضوع عند هذا الحد فقد كتب حلمى مراد عريضة أخرى قام احمد حسين ناصر - العضو المستقل - بتوزيعها على الأعضاء .. يطالب فيها بترشيح العضو المستقل محمود القاضى رئيسا للمجلس .

وكان لسيد مرعى اليد العليا - طبعا - حيث حصل على ٣١١ صوتا مقابل ٣٥ صوتا لمحمود القاضى .

وبالرغم منه انه قد تعرف بالمستقلين فى ظروف توتر سيئة .. ولم يكن امامه إلا أن يكشر لهم عن أنيابه إلا أنه حرص على إقامة علاقات طيبة معهم فى الشهور التالية .
وحين وقف عبد المنعم القيسونى امام الميكروفون فى المجلس لإعلان إجراءاته الاقتصادية برفع الدعم عن عدد من السلع الأساسية .. ترك سيد مرعى مقعده على المنصة وجلس فى مقاعد الأعضاء بجانب حلمى مراد .

وكان تصرف مرعى بهذه الطريقة مقصودا طبعا .. وتعد رسالة موجهة بأنه برىء من هذه الإجراءات وأنه لم يتم مشاورته بشأنها .

وفي أعقاب المظاهرات التي اجتاحت الشوارع بعد بيان القيسونى .. حرص سيد مرعى على أن يداعب الأعضاء قائلًا .. إن حلمى مراد لديه حس سياسى وذكاء أكثر من الحكومة عندما توقع المظاهرات فى أعقاب البيان وكان بالطبع يخطب ود المستقلين بهذا الكلام .

وكان على سيد مرعى وحلمى مراد أن يندفعا معا جنبًا إلى جنب هذه المرة مع الأحداث - بعد أقل من شهر واحد - عندما ثارت ثائرة السادات عندما وصله خطاب إستفزازى من كمال الدين حسين عضو المجلس المستقل متجاهلاً فيه ان السادات قد أصبح رئيساً للجمهورية .. وكان حسين يعارض فى خطابه الاستفتاء الذى ينوى السادات إجراؤه لفرض عقوبات على مثيرى الشغب .

وقد اصدر السادات قراراً حاسماً كعادته حيث امر بفصل كمال الدين حسين من عضوية المجلس .. وقام حلمى مراد ليتحدث بالنيابة عن المستقلين بالمجلس خاصة ان كمال الدين حسين واحد منهم وكان على مراد ان يقترب أكثر من سيد مرعى حتى يحتفظ حسين بعضويته ولا مانع فى هذه الحالة من القيام بالوساطة للمصالحة . وكانت نوايا سيد مراعى واضحة وهى الا يتحول كمال الدين حسين عدوه اللدود الى شهيد بين يوم وليلة ولذلك وافق على تقديم وثيقة للرئيس من جبهة المستقلين يعبرون فيها عن أسفهم وإدانتهم لخطاب حسين .. لكن الرئيس أصر على موقفه . وتم فصل حسين من عضوية المجلس فى ١٤ فبراير بالرغم من ان ٢٤ عضواً قد عارضوا قرار الفصل - وعلى اى حال - فقد حاول سيد مرعى مساعدة مراد .. بل وفعل أكثر من ذلك حيث اختفى عن الانظار وترك لممدوح سالم المهمة الثقيلة وبذلك ظهر امام الجميع أبعد ما يكون عن تلك الامور الشائكة ليحظى بسمعه حسنة بين المستقلين .

وقد تحسنت - بالفعل - علاقته مع مراد ومجموعة المستقلين حتى تعدت هذه العلاقة حدود التعاون بينهما إلى المناورات البرلمانية المشتركة والتحالفات .

وربما لاتدوم العلاقات الطيبة .. وفى شهر مايو ويونيه خاض مجلس الشعب صراعاً للموافقة على مشروع قانون لتنظيم الاحزاب .. وكان البند الاول للقانون ينص على ضرورة موافقة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى على تأسيس اى حزب جديد وان ينضم لهذا الحزب ٢٠ عضواً بالمجلس .

وفى ٢٩ مايو وافقت الأغلبية وهم اعضاء حزب الوسط اتوماتيكيا على أربعة بنود من مشروع القانون - وشعر أعضاء احزاب المعارضة انهم ليسوا أكثر من ديكور - وفوجئ سيد مرعى بانسحاب اعضاء احزاب المعارضة من المجلس .

ودعا مرعى أحزاب المعارضة للتعبير عن آرائهم بدلا من الانسحاب .. وعاد الاعضاء للقاءة وعبروا عن رأيهم بضرورة إجراء بعض التعديلات في مشروع القانون .. وتم اقناع قيادات حزب الوسط بقبول هذه التعديلات كتنازلات هذه المرة ولكن لم يتغير بند القانون الذى ينص على ان تكوين حزب جديد يتطلب موافقة ٢٠ نائبا بالبرلمان على الانضمام اليه مع ضرورة موافقة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى .

وقد سبب هذا البند المزعج انسحابا آخر للمعارضة فى الجلسة التى عقدت يوم ١٢ يونيه .. وأدى ذلك لاصطدام سيد مرعى بالمعارضة مرة اخرى حيث وجه حديثه اليهم قائلا : إذا كان للانسحاب الأول سبب برلمانى .. فإن الانسحاب الذى حدث الآن ليس له أى معنى ديمقراطى لان الانسحاب المخطط ليس الا مناورة برلمانية .. وإذا كان البعض يعتقد أنه برلمانى قديم فقد مارست العمل البرلمانى قبله بسنوات طويلة .

وكان ذلك يعنى أن هناك حدودا لدعم سيد مرعى للمعارضة .. ويبدو أنهم قد تعدوا الحدود المسموح بها ولا بد من الرد عليهم .. وقد كانت المعارضة - على أى حال - ترى أن سيد مرعى يتحدث بلغة المنطق ويمكن معه ترتيب الاوراق . وبالرغم من أنه أحد رموز النظام إلا أن أحزاب المعارضة قد اعتمدته كسياسى لاريب فيه .. وقد توصل حلمى مراد ورفاقه من المستقلين لنتيجة واضحة وهى ان سيد مرعى أفضل من يشغل وظيفة رئيس مجلس الشعب ... والدليل على ذلك أنه عندما بدأ حملته لإعادة انتخابه رئيسا للمجلس فى نهاية عام ١٩٧٧ لم يعترضه أحد .

الفصل الخامس

الدفاع عن قطاع الزراعة

والمؤكد ان سيد مرعى لم يعد يحيط به أعوانه على مدى سنوات السبعينات كما كان الحال في فترة حكم عبد الناصر .. وليس غياب الاعوان من الأمور الغريبة في تلك الفترة حيث لم يشغل مرعى أى منصب رسمى في قطاع الزراعة بعد شهر يناير عام ١٩٧٢ ولذلك فقد القدرة على تعيين أبناء الأقارب والمعارف وأفراد الشلة في عزبة القطاع الحكومى التى كان يديرها بمعرفته في عصر عبد الناصر ..

والجدير بالذكر ان افراد شلة سيد مرعى ورفاقه القدامى قد وصلوا لسن المعاش في منتصف السبعينات وأصبحوا يبحثون عن وظائف لا تتطلب جهدا وتدر عائدا كبيرا .

وربما يرجع غياب الاعوان والاتباع لسبب أخروجه وهو أن الحكومة قد فقدت الكثير من نفوذها وجاذبيتها في عصر السادات لحساب القطاع الخاص الذى تألق وأصبح يعطى الكثير لموظفيه .

وبالرغم من أنه قد أصبح بعيدا عن قطاع الزراعة إلا أنه كان حريصا على ألا يستخدم القطاع الزراعى ضده في يوم من الايام كما حاول صدقى ان يفعل في عام ١٩٧٢ ولذلك عمل على الإطاحة بحكومة صدقى والتخلص من مصطفى الجبلى وزير الزراعة .. وعمل - بعد ذلك - على الحد من نفوذ الجبلى بالوزارة بقطع الذيل والأذناب .

وعندما قام ممدوح سالم بتشكيل الحكومة قرر تقديم خدمة خاصة لمصطفى الجبلى خاصة أنه يكره مرعى مثله تماما لذلك وضع ممدوح سالم كل ثقله لترشيح الجبلى مديرا لمنظمة الأغذية والزراعة .

ووجد سيد مرعى أنه لابد أن يفعل شيئا .. وأنه قد جاء الوقت ليستخدم نفوذه فذهب مباشرة إلى السادات وطلب منه ألا يساعد الجبلى في الوصول لهذا المنصب . وقامت وزارة الخارجية المصرية بإجراء مفاوضات مع الحكومات الأجنبية لجمع الأصوات دعما للجبلى وتركت الوزارة أصوات بعض الدول معلقة ممايعنى ان الاصوات بصفة عامة غير كافية لنجاحه .

وتقدم للترشيح في هذه الوظيفة إدوارد صوما اللبناى الجنسية وفاز بها .. وقد غضب الجبلى من سيد مرعى نتيجة هذه المكيدة ولكنه وجد سلواه في وظيفة إستشارية مع الحكومة العراقية .

وعلى اى حال فقد استطاع سيد مرعى أن يمنع أى شخص على شاكلة وقرار الجبلى من اقتحام منصب وزير الزراعة بعد عام ١٩٧٣ .. وقد نجح في تحقيق ذلك حفاظا على مكانته بقطاع الزراعة إلا في حالة واحدة وهى عيد العظيم أبو العطا . وتولى وزارة الزراعة في هذه الفترة وجوه يقبلها سيد مرعى ولهم خلفية سياسية أمثال عثمان بدران وابراهيم شكرى وعبد العزيز حسين .. ووزراء آخرون ليس لهم اى ثقل سياسى أمثال محمد زكى الذى تولى الوزارة عامى ١٩٧٤ - ١٩٧٥ في حكومة السادات « ومحمود عبد الآخر » الذى تولاهما في حكومة عبد العزيز حجازى . وكان عبد المحسن ابو النور وزيرا طموحا على قرار الجبلى ويعرف ماسوف يفعله ولم يعرف قطاع الزراعة وزيرا مثله منذ العهد البائد حيث كان على درجة عالية من الكفاءة بما يكفى لإثارة غيرة سيد مرعى .

ومع ان « ابو العطا » مهندس مدنى وقد عينه ممدوح سالم وزيرا للرى في وزارته الاولى .. ثم كسر كل القواعد والتقاليد وضم إليه وزارة الزراعة أيضا في الحكومة التى شكلها في ١٩ مارس عام ١٩٧٦ .

والمعروف أن هناك صراعا لاينتهى بين وزارتى الأشغال العامة التى يديرها مهندسو الرى .. والزراعة التى يديرها المهندسون الزراعيون .. وكان لضم « ابو العطا » للوزارتين معا معنى واحد هو ان وزارة الاشغال قد احتلت وزارة الزراعة . وقد عمل سيد مرعى مع « ابو العطا » لفترة لكن لم يكن بينهما صداقة ابداء ربما لان شقيق « ابو العطا » متزوج من اخت عدوه اللدود كمال الدين حسين .. وقد شغل ابو العطا أيضا منصب مدير مكتب مشتريات احتياجات السد العالى في موسكو .. وهو من انصار الخطط الطموحة لاستصلاح الاراضى بعكس سيد مرعى . وعرف ممدوح سالم أن « ابو العطا » هو الاختيار الافضل خاصة أن السادات يهتم كثيرا بخطط استصلاح الاراضى .. ويمكن للسادات ان يقارن بنفسه بين سلبية « مرعى » وإيجابية « أبو العطا » فيما يتعلق باستصلاح الاراضى .

وكان « سالم » يعرف أيضا ان مكائد سيد مرعى وغيره من المهندسين الزراعيين ضد « ابو العطا » سوف تذهب أدراج الرياح لان « ابو العطا » - ببساطة من محافظة المنوفية وكان السادات مشهورا بدعم أبناء محافظته طبعاً . وحرص « أبو العطا » ألا يخذل « سالم » فبدأ على الفور حملة دعاية واسعة النطاق لتجاريه في مجال استصلاح الاراضى .. وحرص ايضا على توثيق علاقته بكبار موظفى وزارة الزراعة واستصلاح الاراضى وخاصة « صلاح العبد » .

وكان صلاح العبد وكيلا أول لوزارة استصلاح الاراضى وكانت مجرد وزارة بالاسم فقط أو لافتة على ديوان حكومى - وقد قام « أبو العطا » بنقل « العبد » ليشغل منصب وكيل أول وزارة الزراعة .

والمؤكد ان صلاح العبد موظف مهم جدا بالنسبة لآى وزير يعمل فى قطاع الزراعة لانه المدير المصرى لبرنامج الغذاء العالمى وهو البرنامج الذى يقدم دعما سنويا لمصر قدره ١٢ مليون دولار .. وكان سيد مرعى قد عينه فى هذه الوظيفة .. حين كان وزيرا للزراعة .. وعين أيضا ابن عمه وأخيه فى وظائف عليا بقطاع الزراعة باعتبارهم اقارب لعبد القادر العبد احد افراد شلة سيد مرعى فى الجامعة .

وقد شعر سيد مرعى بانزعاج شديد حين عرف ان صلاح العبد بدأ يسعى للتقرب من « أبو العطا » راعى الوزارة الجديد .

وكان شك مرعى فى محله فعلا حيث ساعد « العبد » وزيره « أبو العطا » فى تنظيم حملة إنتخابية ضخمة تكلفت الكثير ... وفاز أبو العطا على كمال الدين رفعت وهو احد الضباط الاحرار بمنطقة الدقى وبعد ان فاز أبو العطا فى الانتخابات لم يعد يهتم بوزارة الزراعة... وبدأ رجال سيد مرعى بقطاع الزراعة يصرخون فى كل مكان ويشكون وزيرهم لطوب الأرض لأنه يستخدم كل امكانيات الوزارة من سيارات وموظفين وأموال لدعم مستتبلة السياسى .

ويبدو أن هذه الصرخات قد أزعجت ممدوح سالم فقام بإضافة إسم المهندس الزراعى عبد العزيز حسين وزيرا للدولة للزراعة وشئون السودان فى أول نوفمبر عام ١٩٧٦ تاركا « أبو العطا » على قمة القطاع الزراعى .

ولم يقتنع سيد مرعى وأعوانه بقطاع الزراعة بما فعله ممدوح سالم حيث كانوا يطلبون المزيد .. وكان على رئيس الوزراء ان يسلم - وبالفعل - قام بتنحية عبد العظيم أبو العطا من وزارة الزراعة ليكون وزيرا للرى فقط فى الحكومة التى شكلها فى الأول من فبراير عام ١٩٧٧ .

والمؤكد ان هذه الاوركسترا السياسية تكشف بوضوح حجم نفوذ سيد مرعى فى قطاع الزراعة فيما بعد عام ١٩٧٢ .. فقد عرف أتباعه أنه قد أصبح أحد المقربين من السادات وان عليهم أن يخطبوا وده بقدر المستطاع .

. وكان ممدوح سالم يعرف حجم هذا النفوذ ولذلك قام بمطاردة رجاله بمكاتب الوزارة الفاخرة للحد من هذا النفوذ .. وقد نجح فى ذلك فعلا لأن السادات كان يؤيده .. وبالرغم من أن سيد مرعى كان يبدو مثل البرج الشاهق بين حاشية الرئيس إلا أنه لم يعد قادرا على الدفاع عن عزبته القديمة .

الفصل السادس

مرعى ضد الاتحاد الاشتراكي

وبحكم منصبه كرئيس لمجلس الشعب كان عليه ان يخوض صراعا على النفوذ مع امين الاتحاد الاشتراكي ورئيس الوزراء ولايهم الاسماء هنا حيث انه من الطبيعي ان تحتدم المعارك بين الثلاثة .

واصبح هذا الصراع هو السمة المميزة للسياسة المصرية منذ عام ١٩٧١ حتى تم حل الاتحاد الاشتراكي عام ١٩٧٨ ... وبعد ذلك تحول مجلس الشعب ليصارع الحكومة .. ويرجع ذلك الى ان السادات كان يتبع « سياسة » « فرق تحكم » .

وبدا الصراع بين سيد مرعى والاتحاد الاشتراكي في أعقاب توليه منصبه كرئيس لمجلس الشعب في شهر اكتوبر عام ١٩٧٤ .

وكانت البداية حين قام السادات في ديسمبر عام ١٩٧٤ بتشكيل لجنة لتطوير الاتحاد الاشتراكي تتكون من سيد مرعى رئيسا وعضوية محمد حافظ غانم امين الاتحاد الاشتراكي وعبد العزيز حجازي رئيس الوزراء وممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .. وكان الهدف من هذه اللجنة هو انعاش الاتحاد الاشتراكي لاحتواء النشاط السياسي - وايا كان الهدف - فإن وضع سيد مرعى على قمة هذه اللجنة يعنى الاهانة للاتحاد الاشتراكي ولحافظ غانم . وربما يعطى مؤشرا بان اليد العليا قد أصبحت لسيد مرعى ومجلس الشعب .

وفي منتصف يناير عام ١٩٧٥ - وفي أعقاب موجة أخرى من مظاهرات الطلبة والعمال - قام سيد مرعى بإعداد التقرير الأول للجنة والذي تضمن مقترحات تطوير الاتحاد الاشتراكي النابعة - طبعا - من ورقة اكتوبر التي أعدها السادات والتي طالبت بتمثيل افضل للنقابات والاتحادات في اللجنة العامة للاتحاد الاشتراكي .. لكن احدا لم يلتفت لهذا التقرير في وسط تسوده الفوضى والاضطرابات .

ويبدو ان الاتحاد الاشتراكي بتكوينه التاريخي غير صالح لتحقيق شعار الحرية السياسية ولذلك بدأ سيد مرعى خطواته لتحقيق هذا الشعار من خلال مجلس الشعب بدلا من الاتحاد الاشتراكي .

وتزيد حدة المنافسة بين اللاعبين طالما ان اوراق اللعب مازالت على المائدة .. وفي مناقشات إعادة تنظيم وسائل التحكم في الصحافة .. قرر سيد مرعى إلغاء دور الاتحاد الاشتراكي في هذا الخصوص - خاصة أن الكرة في ملعبه - ولذلك طالب بتأسيس مجلس أعلى للصحافة .

وكان الاتحاد الاشتراكي قد قام بالتحفظ على نسخ العدد الاول من جريدة الحرية الاسبوعية والتي كان يرأس تحريرها محمد صبيح .

وبدأ سيد مرعى يلمح لقيادات الاتحاد الاشتراكي الذين كانوا يشكلون تهديدا على عدد كبير من الصحفيين وأشار الى ان هذه التجاوزات كانت نتيجة الحساسية والحرص الشديد على الاتحاد الاشتراكي . وبدأ يقارن بين الاتحاد الاشتراكي الذي لايقبل النقد وبين مجلس الشعب الذي يتحمل انتقادات الصحافة وبدأ يجنى ثمار خطته في شهر ابريل بتنكيس الاتحاد الاشتراكي تمهيدا لهدمه لسطح الارض حيث تم إعفاء حافظ غانم من منصبه كأمين للاتحاد الاشتراكي ليحل محله رفعت المحجوب .. وفي عام ١٩٧٥ أصبح واضحا ان الاتحاد الاشتراكي قد فقد عناصر وجوده وانه على فراش الموت .. وقد بدأ ينسحب فعلا من الساحة بعد أن أصبح المناخ لا يلائمه في ظل الحريات وتكوين الاحزاب .

ولوقف حملات التشهير ضد الاتحاد الاشتراكي قام رفعت المحجوب بمحاولة لادخال الفزع في قلوب الصحفيين بمؤسسة روزا اليوسف بالاطاحة برئيس تحريرها وتعيين رئيس تحرير جديد موال له .

ومع ذلك عادت مجلة روز اليوسف تهاجم المحجوب وتخرج له لسانها .. وانضمت إليها مجلة الطليعة اليسارية في مواجهة الاتحاد الاشتراكي تطالب بالحرية السياسية من خلال مجلس الشعب وليس الاتحاد الاشتراكي مما يعنى ان الرماح في حلبة المصارعة قد جعلت خطوات الثورة ثقيلة . ولم يعد أمام سيد مرعى أو « التوريرو المصرى » إلا أن يوجه له الضربة القاتلة .

وعهد الرئيس السادات إلى سيد مرعى مهمة تشكيل لجنة المنابر التي تأسست في نهاية عام ١٩٧٥ وشعور المحجوب معروف طبعا فيما يتعلق برئاسة سيد مرعى مرة ثانية للجنة تقوم بتطوير الاتحاد الاشتراكي .

ويبدو أنه تم تفويض السلطة لسيد مرعى ألا يضم لهذه اللجنة أعضاء الاتحاد الاشتراكي - وكان ذلك كثيرا على المحجوب الذي قرر إفساد أعمال هذه اللجنة بعقد سلسلة من الاجتماعات واللقاءات ضمت صناديد الاتحاد الاشتراكي في القاهرة والإسكندرية لإعلان تضامنهم ضد سيد مرعى وإصلاحاته .

وطالما أن أعضاء الاتحاد الاشتراكي يشعرون بالخوف على المستقبل بعد تكوين المنابر أو الأحزاب . لم يعد أمام سيد مرعى إلا أن يعمل على تهدئة نفوسهم مؤكدا لهم أن تكوين المنابر لن يدمر الاتحاد الاشتراكي وإنما سينظم المعارضة من خلاله ووعد بإعادة انتخاب أعضاء اللجنة المركزية للإشراف على المنابر الثلاثة المزمع تأسيسها .

ولكن ما حدث كان غير ذلك تماما حيث لم تجر انتخابات اللجنة المركزية على الإطلاق وتم فصل المحجوب من وظيفته وتولى مصطفى خليل صديق سيد مرعى القديم منصب أمين الاتحاد الاشتراكي .

وبدأ السادات في تركيز اهتمامه بحزب الوسط وأصبح الاتحاد الاشتراكي مجرد ذكريات حتى تم حله تماما في عام ١٩٧٨ .

وإذا كان الاتحاد الاشتراكي قد سقط قتيلًا فإن الفضل في ذلك يرجع لسيد مرعى الذي مهد لهذا الحدث ووجه إليه كثيرا من الضربات في الفترة بين ١٩٧٤ - ١٩٧٦ ولم يكن مجرد مصادفة أن يقوم بعد ذلك بضم سلطات الاتحاد الاشتراكي لمجلس الشعب ليصبح مركز ثقل النشاط السياسي في مصر كالغنائم والأسرى التي تسقط في الحروب .

الفصل السابع

مرعى ضد « حجازى » و « سالم »

كان الصراع بين سيد مرعى وعبد العزيز حجازى رئيس الوزراء قصيرا ولكنه حاد .. وكثرئيس لمجلس الشعب شن هجوما على حجازى باعتباره مسئولا عن المظاهرات التى اجتاحت شوارع مصر فى شهر يناير عام ١٩٧٥ . وفى هذا الهجوم لقن لرئيس الوزراء درسا فى السياسة .. واتهمه بانه يفتقر للحس السياسى .. وانه قد اهتم بالمبادئ الاقتصادية وتجاهل الحقائق السياسية .. وأنه قد خدع الجماهير بأمال كاذبة حيث أساء تقدير نتائج سياسة الانفتاح الاقتصادى مما يدل على أنه ضيق الأفق اكثر من سلفه عزيز صدقى . وعلى اى حال فقد كان حجازى نفسه يشك فى جدوى سياسة الانفتاح .. وربما كان يرى أن سيد مرعى على حق فى انتقاداته .. والدليل على ذلك أن حجازى حاول الاقتراب من مرعى ولكن الأخير رفض لانه لم يكن ينوى سلاما لأن الهدف هو كرسى رئيس الوزارة ولذلك تحالف مع ممدوح سالم الذى يسعى لنفس الهدف . وأصيب « حجازى » بالإحباط لأن كل الظروف ضده وبمرور الوقت أصبح رئيس الوزراء « مستهلكا » .. وفى ١٦ ابريل عام ١٩٧٥ تمت إقالته من منصبه ولم يكن قد تعدى الأشهر الستة فى هذا المنصب .

وتلقى سيد مرعى جائزة لاتليق به نظير جهوده فى الإطاحة بحكومة حجازى حيث ذهبت وظيفة رئيس الوزراء لممدوح سالم .. وذهبت وظيفة « نائب رئيس الجمهورية » - والتى أشيع أنها لسيد مرعى - لحسنى مبارك قائد القوات الجوية .. وبالمصادفة تم هذا يوم ١٦ ابريل وهو نفس يوم إقالة حجازى من منصبه . وقد فسر السادات هذا الموقف قائلا : هؤلاء الذين يقولون إننى أعد سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ليكون خلفا لى لم يقرأوا الدستور جيدا .. سيد مرعى هو الشخص الوحيد الذى لا يمكن أن يكون رئيسا للجمهورية .. الدستور يقول إنه فى حالة وفاة او استقالة رئيس الجمهورية فإن رئيس مجلس الشعب يتولى رئاسة الجمهورية لمدة ٦٠ يوما يتم خلالها انتخاب الرئيس الجديد .. وغير مصرح لرئيس مجلس الشعب ان يتقدم للترشيح لهذا المنصب وفقا للدستور .

وعرف سيد مرعى ان المنصب الوحيد المتاح امامه هو منصب رئيس الوزراء وليس اكثر من ذلك وفقا لاعتبارات السادات . وانه ليس امامه إلا أن يركز جهوده للتخلص من ممدوح سالم .

ولكنه من ناحية اخرى كان مشغولا بصراعه مع الاتحاد الاشتراكى ولم يكن يريد ان يحارب في جبهتين فقرّر تأجيل الجولة .

وتؤكد الظروف والملابسات انه قد ظل على علاقة طيبة برئيس الوزراء الجديد نحو ما يقرب من عام .. وكان يؤكد دائما على العلاقات الطيبة بين المجلس والحكومة . وقال سيد مرعى في نهاية الدورة البرلمانية في يولييه عام ١٩٧٥ - إنه قد كان هناك تعاون كامل بين الحكومة والمجلس .. وردد نفس الكلام في خطاب ألقاه بالبرلمان في ١٨ اكتوبر عام ١٩٧٥ . وهو عكس ما قاله في افتتاح الدورة البرلمانية منذ عام مضى حيث لفت فيها « حجازى » رئيس الوزراء درسا في مسؤولياته تجاه مجلس الشعب وحذره من عدم عدالة توزيع « ثمار التنمية الاقتصادية » على الناس بالتساوى . وعلى النقيض تماما .. قال سيد مرعى في خريف عام ١٩٧٥ إنه سيتم مواجهة مشاكل الجماهير بالتعاون الكامل بين المجلس والحكومة .. وكان « يخطب ود » ممدوح سالم بهذا التصريح .

ولكن تغيرت العلاقة تماما في ربيع عام ١٩٧٦ بعد ان تخلص من جحيم الاتحاد الاشتراكى وأصبح خالى اليدين ويمكنه التعامل مع الحكومة .

وبدأت المعركة الانتخابية بين الأحزاب الثلاثة وقام السادات بتعيين ممدوح سالم رئيسا لحزب الوسط وأصبح سيد مرعى عضوا بهذا الحزب - طبعاً - مرئوسا لسالم حيث لم يكن من المنطقى أن يذهب يمينا أو يسارا في اتجاه أحزاب المعارضة .. وكأحد افراد حاشية الرئيس لم يعد امامه إلا أن يلقي بنفسه في سلة حزب الوسط وان يقبل رئاسة سالم لهذا الحزب .

وكان يبدو ان هذا الوضع يؤرقه كثيرا واكتشف انه لم يعد امامه حل إلا ان يكون مستقلا عن أى حزب .. وفي احدى اللجان التى تناقش مستقبل العمل السياسى أوضح سيد مرعى ان رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الشعب وامين الاتحاد الاشتراكى لم يكونوا أبدا أعضاء فى أى حزب سياسى .

وفي يوم ٧ مايو .. قال فى تصريح رسمى إنه لن ينضم لأى أحزاب سياسية وانه سيتقدم للترشيح فى الانتخابات البرلمانية القادمة كمستقل .

وأدرك ممدوح سالم أن مرعى يلقي القفاز فى وجهه إيذانا بالحرب فقام بتعيين عبد العظيم ابو العطا وزيرا للزراعة بالرغم من انه ليس مهندسا زراعيا .

وعلى اى حال فقد كان « سالم » فى مركز أرقى من « مرعى » حيث انه رئيس لحزب الوسط ورئيس للوزراء فى نفس الوقت .

وقد تعرض سيد مرعى لهجوم أعضاء حزب الوسط وهو أمر متوقع بعد تصريحاته بأنه لا ينتمى لحزب الوسط .. ولكن يحدث دائما ما لم يكن في الحسبان حيث أنقذه « سالم » من هجوم قبيلة الوسط ولا أحد يعرف طبعا إن كان قد فعل ذلك من تلقاء نفسه أو أرغمه السادات على ذلك .

وربما شعر سيد مرعى أنه رجل بلا أعوان حين بدأ « سالم » فى الاستعانة بسعد هجرس أحد رجاله السابقين لتوجيه الضربات إليه .. وقد أصبح أحد قيادات حزب الوسط وهى جائزة منحت له نظير الخروج من تحت عباءة سيد مرعى .

ويبدو أن الظروف كلها أصبحت ضده وكانت القشة الأخيرة التى قصمت ظهر البعير هى تحالف « سالم » مع فؤاد محيى الدين وزير الدولة لشئون مجلس الشعب .

وكان فؤاد محيى الدين منافسا خطيرا لسيد مرعى لأنه كان حلقة الوصل بين السادات والمجلس وعلى أى حال فقد كان الرئيس يسعى لإحداث هذا التنافس .

والجدير بالذكر أن فؤاد محيى الدين كان يعمل طبيبا وهو سياسى طموح وله طبيعة هجومية كما أن له علاقات ممتازة بالجيش وكان يؤدى دور « الكبراج » امدوح سالم فى البرلمان حيث كان يدفع أعضاء حزب الوسط للتصويت وفقا لما يريده الرئيس وبذلك لم يعد لسيد مرعى أى دور تحت القبة .

ووجد أن الملجأ الوحيد أمامه هو المعارضة لتقوية مركزه .. وبدأت خطته تثمر خلال مظاهرات يناير حيث أعطته الفرصة للتعبير عن شكوكه فى قدرات سالم وعبد المنعم القيسونى وزير المالية .

وكانت علاقته مع المعارضة قد تحسنت منذ موقفه مع جبهة المستقلين اثناء أزمة كمال الدين حسين وأصبحت العلاقة أفضل عندما أخذ المعارضة فى أحضانها عندما كثرت الحكومة عن أنيابها بعد مظاهرات يناير .

وأصبح شغل الحكومة الشاغل هو منع تضامن ٢٠ عضوا بالمجلس لتكوين حزب كما ينص القانون الخاص بالأحزاب السياسية الذى صدر عام ١٩٧٧ .

وهددت الحكومة بفتح ملفات الفساد لأى عضو يترك حزب الوسط وينضم لأحزاب المعارضة وقد تم اتخاذ هذا الإجراء مع بعض مؤيدى سيد مرعى ومنهم أحمد يونس رئيس مجلس إدارة الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى الأسبق .

وقد كان لأحمد يونس دور كبير فى إلغاء مشروع قانون ضريبة البساتين التى اقترحها عزيز صدقى عام ١٩٧٢ .. وكان يشكل ثنائيا ~~جيدا~~ مع سيد مرعى .

وامام تهديدات الحكومة عبر أحمد يونس عن رغبته في ترك مقعده بحزب الوسط والانضمام لحزب الوفد الجديد .. وتحركت الحكومة بسرعة لتفادى ذلك وأشارت الصحف بعدها لقضايا الفساد الساكنة ضد أحمد يونس في الاتحاد التعاونى وبسرعة الصاروخ تم رفع الحصانة البرلمانية عنه وأعلنت الحكومة فتح ملف الاتحاد التعاونى .

وللاسف لم يكن سيد مرعى وقتها في وضع يسمح له بحماية أى شخص وكان كل ما يستطيعه هو أن يجلس على مقعده الوثير في المجلس ويتفرج على العرض الذى يقدمه ممدوح سالم يوميا ويقوم فيه بدور رئيس الحزب الحاكم ورئيس مجلس الشعب فى نفس الوقت ومع ذلك كان العامة يرون أن سيد مرعى أحد القلائل من أصحاب النفوذ فى مصر .

الفصل الثامن

معاش مبكر

ومع مرور الوقت إنكمش دور سيد مرعى كوسيط سياسى نتيجة لتغير سياسات مجتمع الصفوة . وبعد أن اصيب السادات بالفزع نتيجة لأحداث ١٨ ، ١٩ يناير لم يكن أمام سيد مرعى إلا الرضوخ لأوامر الرئيس ودعمه فى مواجهة كمال الدين حسين والآخرين الذين يطالبون بتأسيس أحزاب جديدة .

وبالرغم من أنه قد تمت صياغة قانون الأحزاب بحيث يفى بالمتطلبات وبالرغم من ارهاب الحكومة وأنيابها إلا أن ذلك كله لم يمنع من تسلل حزب الوفد الجديد الى الساحة السياسية بالشكل القانونى وفقا لقانون الأحزاب فى ٤ فبراير عام ١٩٧٨ .

وبدلا من أن يقوم الوفد بمواجهة اليسار المصرى كما كان السادات يتمنى تحرك الوفد الى مكانه فى التحالف مع باقى أحزاب المعارضة وفقا للرجبة المشتركة لتحقيق قدر أكبر من الديمقراطية .

وفى ١٢ مايو أدى حدث كبير لكهربية الجو السياسى حيث استقبلت الجماهير فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد الجديد إستقبال الأبطال وهتفت له بلقب « زعيم الامة » وهو لقب لم يطلق إلا على سعد زغلول .

وباختصار اصبح « سراج الدين » من الشخصيات التى تشكل تهديدا على الرئيس خاصة فى ظل انتقادات الحزب التقدمى الوحى لسياسات السادات الخارجية .

وفى ربيع عام ١٩٧٨ بات واضحا أن السادات يعيش بين نارين فهو غير قادر على التراجع عن خطته بشأن الحريات .. ومن ناحية أخرى أصبحت أحزاب المعارضة تهدد النظام .. واصبح من الممكن أن يأتى يوم ويسمح فيه لحزب مثل الوفد الجديد أو أى حزب آخر أو ائتلاف حزبى معارض بتشكيل الحكومة .. والصورة هكذا لايمكن تخيلها والأقرب للواقع أن يقوم السادات بالإطاحة بالمعارضة ويمارس الحكم بأسلوب ديكتاتورى .

وفي نهاية مارس بات واضحاً أن نوايا الرئيس ليست طيبة - وعلى أى حال - فقد كان حزب الوسط يعمل وفقاً لرغبات السادات . وقد طلب الحزب فصل « الشيخ عاشور محمد نصر » العضو الوفدى من المجلس .

وكان الشيخ عاشور قد أعلن استنكاره لما يجرى فى مجلس الشعب مشيراً إلى أن كل شىء يجرى تزييفه تحت القبة . وإن هذا المجلس قد سقط مع السادات . وفى حالة مثل حالة « الشيخ عاشور » .. لم يكن هناك مجال لحلول وسط . وعلى الفور قام ممدوح سالم رئيس الوزراء ورئيس حزب الوسط من مكانه ليقرأ عريضة اتهام « الشيخ عاشور » على أعضاء المجلس .. وعندما تقدم « حلمى مراد » للاعتراض على هذه العريضة وقف سيد مرعى رئيس المجلس له بالمرصاد .. ولذلك انسحب ٢٤ نائباً وفدياً من المجلس احتجاجاً على هذا الاجراء .

والمؤكد ان سيد مرعى قد أصبح « كارت محروق » كوسيط سياسى وأنه وصل إلى نهاية الطريق تقريباً .

واستمر السادات فى تجارب الديمقراطية حتى بدأ حزب الوفد الجديد فى تكثيف جهوده لشغل المقعد الذى خلا بطرد الشيخ عاشور .

وقرر السادات إرتداء قناع الديكتاتور مرة أخرى .. وأعلن عن استفتاء آخر فى ٢١ مايو .. وكان الهدف منه إحكام القبضة الحديدية على الصحافة ومنع بعض الجبهات من المشاركة السياسية وخاصة قيادات حزب الوفد الجديد وأعضاء مجلس الثورة القدامى واليساريين .

وفى هذا الجو البارد الجليدى تجمدت جهود دعم ومؤازرة مرشح حزب الوفد الجديد .. وفاز مرشح حزب الوسط بمقعد الشيخ عاشور .

وفى اليوم التالى للاستفتاء ظهر ان ٩٨,٢٩٪ من الأصوات قد أكدت مساندتها للرئيس . ومع هذا الواقع الحكومى لجأ حزب الوفد لإجراء لابد منه وهو تطهير صفوفه من أجل البقاء وهو إجراء مشابه لما حدث عام ١٩٥٢ وفقاً لأوامر مجلس قيادة الثورة .

وبعد أن ابتعد هذا الخصم المشاغب، او حزب الوفد الجديد - عن الطريق .. استدار السادات للصحفيين الذين يكتبون « بصراحة » .. وكانت القائمة تضم سبعة من هؤلاء الصحفيين - ومنهم محمد حسنين هيكل - وقد صدرت الأوامر بمنعهم من السفر بناء على الاتهام الموجه إليهم وهو نشر مقالات « تسيء لسمعة مصر » .. وأصبحوا هدفاً للتحقيقات بصفة مستمرة .

وجاء الدور على اليسار المصرى حيث أجريت التحقيقات مع خالد محيى الدين بشأن المقالات التى نشرت بجريدة الأهالى وتمت مصادرة الجريدة .

ولإدخال الفزع في القلوب لفترة طويلة قادمة .. جاءت الضربة الأخيرة يوم ٢٦ يونيه وكان سيد مرعى وقتها غائبا عن مقعده في المجلس - ووفقا لاستفتاء مايو - رفع أعضاء حزب الأغلبية أيديهم لأعلى بطريقة أتوماتيكية للتصويت لفصل « عبد الفتاح حسن » - أحد رجال فؤاد سراج الدين المقربين ووكيل حزب الوفد الجديد - من عضوية المجلس ومعه العضو اليسارى ابو العز الحريرى لمشاركتهم في إفساد الحياة السياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

ويبدو أنه لم يعد هناك حجرة أمنة تفصل بين الرئيس والمعارضة يمكن لسيد مرعى من خلالها أن يتدخل « كوسيط » .. والدليل على ذلك انه تم فصل ٤ أعضاء من المجلس في فترة تزيد قليلا على العام حتى أصبحت « الحصانة البرلمانية » مثارا لسخرية الناس بعد أن عطلت الحكومة نفسها قانون الأحزاب الذى أهده سيد مرعى للمعارضة .

وأصبح واضحا أن السادات قد رفع عصاه مما يعنى أنه سيتولى كل شئ وحده وصاحب ذلك تغيير في علاقات القوى داخل مجتمع الصفوة السياسية .. وبدأ الرئيس يستعين بممدوح سالم ضابط البوليس السابق وغيره من المتشددىين وذوى الأنياب من أعضاء حزب الوسط .. ولم يعد سيد مرعى مفيدا في تلك الفترة .. ربما لأن مواهبه تناسب مناخ الحريات .

وفضل سيد مرعى ان يعمل بعد ذلك في وظيفة تشبه إلى حد كبير « الإحالة للمعاش » وهى وظيفة « مساعد الرئيس » وعندما عرض عليه الرئيس السادات هذه الوظيفة في أكتوبر عام ١٩٧٨ لم يبد أى علامة من علامات عدم الرضا أو يعترض على ذلك .. بالرغم من أن هذه الوظيفة غير جذابة .

ولا يعنى قبوله لوظيفة مساعد الرئيس أنه قد أعطى ظهره للطموح السياسى .. فقد ظل يؤدي دوره كوسيط من خلال هذه الوظيفة .. وربما كان ينتظر فرصة موجة حريات جديدة أو تغييرا في نظام الحكم .

وعلى أى حال فقد ظل على مدى فترة طويلة عضوا بارزا في حاشية الرئيس وشغل وظائف عديدة . وكان يتميز في أدواره بأنه يتبع خط الرئيس ويعلن دائما تأييده له

ومن ناحية أخرى حرص على أن يقول كلاما آخر تماما في جلساته الخاصة مع قيادات المعارضة .. فهو يعبر في حرية عن عدم اقتناعه بسياسات السادات ولكنه كان حريصا الا يقول رأيه بصراحة فيما يتعلق بمفاوضات السلام مع إسرائيل .

ولكن الحقيقة المؤكدة أن سيد مرعى ليس من هواة العزلة عن العالم العربى ولم يكن يتمنى التعرض لهذا المأزق .. والحوار التالى لياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يؤكد هذه الحقيقة ..

● هل صحيح أنك تهدد الرئيس السادات ؟

●● ياسر عرفات : أؤكد أن السادات سوف يدفع الثمن فى وقت قريب أو بعيد .. أنا أعرف الشعب المصرى أكثر منك .. لقد قدم سيد مرعى إستقالته من منصبه فى مصر .. وبعث لى برسالة قال فيها بالحرف الواحد : « أنا أود أن يستريح ضميرى فليس لى شأن بها » .. (ويقصد بها طبعاً رحلة السادات للقدس) .

والسؤال هو لماذا أرسل سيد مرعى هذه الرسالة لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ؟ .. ربما يمكن تفسيرها بحدوث انهيار فى علاقته مع السادات . ويجب الإشارة إلى أن سيد مرعى قد التقى سرا بمناحم بيجين فى بوخارست فى ٢٥ أغسطس عام ١٩٧٧ لمناقشة إمكانية اجتماعه مع السادات .

وعلى أى حال فقد أدى سيد مرعى دوره كوسيط بفتح خطوط الاتصالات مع أعداء الرئيس بينما يعمل فى نفس الوقت على تنمية علاقته بالرئيس نفسه . وليس ذلك غريباً - فهذه هى سمة السياسة المصرية .

الفصل التاسع

خاتمة

وفي يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٨١ - وهي الذكرى الثامنة لحرب أكتوبر - تم اغتيال الرئيس السادات وهو يشاهد العرض العسكري .

وقد أدت طلقات الرصاص والقنابل اليدوية التي وجهت للمنصة إلى إصابة سيد مرعى الذى كان يجلس في الصف الأول ولايفصله عن السادات سوى المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة .

وخلال الأسابيع الثلاثة التي قضاها بمستشفى المعادى بعد الحادث عرض سيد مرعى إستقالته من منصبه كمساعد لرئيس الجمهورية .. وقبل الرئيس مبارك هذه الاستقالة .

وعين مبارك في هذا المنصب عبد العزيز حجازى ومصطفى خليل وممدوح سالم .. ويبدو أن الرئيس مبارك قد عقد العزم على التخلص من بعض رموز النظام الذى ورثه عن السادات .. ولا أحد يعرف إذا كان هذا « الخط الفاصل » هو نهاية مشوار سيد مرعى السياسى أو مجرد نكسة عابرة في مشواره السياسى .. المؤكد أن الأيام ستقول كلمتها .

فهرست

الموضوع	الصفحة
● المهندس سيد مرعى صفحات مضيئة	
● في تاريخ العمل الوطنى	٥
● مقدمة المؤلف	٩
● مقدمة المترجم	١١
● مقدمة الكتاب	١٣
● الباب الأول	
●● مهاجر من نجد	١٥
● الباب الثانى	
●● الشخصية السياسية فى العهد البائد	١٩
● الباب الثالث	
●● العائلة فى عالم السياسة	٢٥
● الفصل الأول : روابط المصاهرة مع عائلات ذات نفوذ	٢٧
● الفصل الثانى : العائلة شبكة للاتصالات	٢٣
● الباب الرابع	
●● التحالفات السياسية خارج نطاق العائلة	٣٩
● الفصل الأول : شلة الجامعة	٤١
● الفصل الثانى : الشلة السياسية	٤٨
● الفصل الثالث : التبعية السياسية	٥١
● الباب الخامس	
●● العائلة فى دنيا المال والتجارة	٥٥
● الفصل الأول : قائمة كبار ملاك الأراضى	٥٧
● الفصل الثانى : الإستثمارات فى المدينة	٦٠
● الفصل الثالث : إقتحام عالم البنوك	٦٢

● الباب السادس ●

- خير زراعى فى بداية عصر عبد الناصر ٦٥
- الفصل الأول : الطريق للجنة العليا للإصلاح الزراعى ٦٧
- الفصل الثانى : بناء الإمبراطورية ٧٤
- الفصل الثالث : السقوط ٨٢

● الباب السابع ●

- الفترة الأخيرة فى عصر عبد الناصر صراع من أجل البقاء ٨٩
- الفصل الأول : المناخ السياسى ٩١
- الفصل الثانى : دور مرعى فى عصر عبد الناصر ٩٣
- الفصل الثالث : العودة للمسرح السياسى ٩٥
- الفصل الرابع : قطاع الزراعة ٩٩
- الفصل الخامس : سيد مرعى على وشك التصفية كقطاعى ١٠٥
- الفصل السادس : العودة مرة ثانية ١٠٨
- الفصل السابع : التقلبات السياسية فى السنوات الأخيرة لعصر عبد الناصر ١١٢

● الباب الثامن ●

- مدير سياسى ودبلوماسى فى عصر السادات ١١٩
- الفصل الأول : دور الوسيط السياسى ١٢١
- الفصل الثانى : فى أعقاب موت عبد الناصر السادات .. أم على صبرى ١٢٣
- الفصل الثالث : إعادة بناء الاتحاد الاشتراكى ١٢٧
- الفصل الرابع : مرعى ضد صدقى ١٣٤
- الفصل الخامس : دبلوماسى فوق العادة ١٤٢
- الفصل السادس : مرعى مديرا لمجلس الغذاء العالمى ١٤٥

● الباب التاسع ●

- سيد مرعى فى مجلس الشعب ١٥١
- الفصل الأول : الحرية السياسية ١٥٣

- الفصل الثاني : مرعى « بديل » الرئيس ١٥٧
 - الفصل الثالث : سياسات حزبية ١٦١
 - الفصل الرابع : مناورات مع المعارضة ١٦٥
 - الفصل الخامس : الدفاع عن قطاع الزراعة ١٦٩
 - الفصل السادس : مرعى ضد الاتحاد الاشتراكي ١٧٢
 - الفصل السابع : مرعى ضد « حجازي » و « سالم » ١٧٥
 - الفصل الثامن : معاش مبكر ١٧٩
 - الفصل التاسع : خاتمة ١٨٣
-

الآراء والأفكار الواردة في هذا المطبوع مسئولية المؤلف

كافة حقوق النشر والنقل والطبع والترجمة محفوظة للناسر

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

رقم الايداع : ٢٤٤٧ / ٩٣
الترقيم الدولى : ٢ - ٠١٦ - ٢٢٩ - ٩٧٧

٥ جنيهاً

طبع بمطابع مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

Bibliotheca Alexandrina



0436281